تفسير المراغي

دراسة منهجية

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١١/٦/٠٠٠٠)

٢٧١.٢
شحروري ، أحمد داود محمد
تفسير المراغي دراسة منهجية/ أحمد داود محمد شحروري. _ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
(٢٨٠) ص
ر.أ.: (٢٠١١ /٦/٠٠٠٠).
الواصفات: / // /

❖أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



تفسير المراغي

دراسة منهجية

الدكتور

أحمد داود شحروري



دار المأمون للنّشر والتَوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أمي الحبيبة مدْرستي الأولى أطال الله عمرها في طاعة وعافية
إلى أبي طال العلم الشرعي حتى لقي ربه، يرحمه الله
إلى عمي - والد زوجتي – فضيلة مفتي حماة المحمية
الشيخ الشهيد محمد بشير المراد، ، يرحمه الله
إلى زوجتي أم أنس، التي عاشت معي دقائق هذا الكتاب وتفاصيله
إلى بناتي الأعزاء، مهجة القلب وقرة العين

أهدي هذا الكتاب وفاء ومحبة

أحمد داود شحروري

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وأجمعين، وبعد :

فيسرني غاية السرور ويشرفني جدا أن أقدم هذه الكلمات اليسيرة بين يدي بحث (المراغي ومنهجه في التفسير) الذي نال به الأخ الفاضل الدكتور أحمد شحروري درجة الماجستير في علوم القرآن والتفسير من الجامعة الأردنية، وقد عايشت جانبا من معاناته ونصبه في إعداد هذا البحث وجمع مادته العلمية من بطون الكتب، وخزائن المعلومات، ولما كانت المادة العلمية حول حياة المراغي قليلة حوله رحل إلى مصر بحثا عن دقائق تفاصيل حياة المراغي، وكان ذلك كله دليلا على جديته في البحث ورغبته في إخراج بحث متميز يليق بكاتبه وبالجامعة التي ينتسب إليها، وبعد رحلة المعاناة في جمع المادة وتهذيبها وتنسيقها كانت النهاية بالثمرة الحلوة التي يزول معها التعب، وهي لحظة الحصول على الدرجة العلمية، وكثيرا ما حدثني أخي الفاضل الدكتور أحمد شحروري عن رغبته في نشر هذا البحث، وعن اعتزازه الكبير به وبما أنجزه فيه، وأنا أوافقه الرأي في الأمرين وكثيرا ما شجعته على نشره، وبقيت الرغبة في النفس إلى أن تهيأ ذلك الآن، فالحمد لله على نعمه.

ويعد البحث في مناهج المفسرين أحد موضوعات البحوث التي تقدم لنيل درجة علمية في الجامعات، وفي هذه البحوث فوائد كثيرة تحصل للباحث ولمن يطلع على بحثه، حيث تقرب هذه البحوث المعلومة وتيسر لقارئها الإلمام بالتفسير المبحوث والوقوف على أهم ميزاته وأظهر جوانب شخصية المفسر ومنهجه، وأهم ما يؤخذ عليه إن وجد ذلك، ولما كانت هذه الموضوعات بهذه الأهمية كان اختيار الدكتور شحروري البحث في منهج أحد المفسرين وكان اختياره للمراغي لأسباب عديدة تأكد له كثير منها من خلال البحث فيه، فتفسير المراغي يعد أحد كتب التفسير الحديثة، وهو متأثر جدا بمدرسة محمد عبده ومحمد رشيد رضا المشهورة بمدرسة المنار ويعد أحد أشهر رجالاتها، ولذا فلا غرابة أن يمتلئ التفسير بأفكار هذه المدرسة وآراء رجالها.

وإن كان تفسير المراغي من كتب التفسير الحديثة من حيث الشكل وزمان التأليف إلا أنه سار فيه على النمط القديم في التأليف من حيث كثرة النقول والتأثر بمن سبقه، ولعل لطبيعة شخصية المفسر والمدة الزمنية التي عاش فيها دورا في هذه الصبغة للتفسير، ولعل هذا أيضا أحد أسباب عدم اشتهار هذا التفسير بين كتب التفسير الحديثة، ولعلي أنطلق من هذه النقطة إلى التعليق على ما يراه المتابع والباحث من كثرة كتب التفسير الحديثة وتعدد مناهج مؤلفيها بشكل يُدخل في النفس السرور والإعجاب من جانب، حين يرى الإقبال والاعتناء بكتاب الله من المؤلفين والباحثين، مع تعدد المناهج واختلاف الرؤى

وتباين الأساليب، ويُدخل في النفس ألما عظيما وحسرة كبيرة، حين يرى من لا علم له باللغة ولا بالتفسير يتجرأ على الخوض في هذا العلم الدقيق، فيهرف بما لا يعرف، ويأتي بالغرائب من الأقوال والآراء، ويظن نفسه مبدعا ومجددا، وهو بفعله هذا مع إحسان الظن به وبدوافعه على خطر عظيم، وفي طريق غير سوي ولا مأمون العواقب، وإن لم نحسن الظن به فهو محارب لله ولكتابه ولدينه، وله الويل والثبور على ما اقترف وأساء.

وأريد أن أغتنم هذه الفرصة العزيزة لأقول كلمة حق ووفاء لأخي مؤلف هذا الكتاب، فقد عرفته منذ أيام الصبا، حيث التقينا أول مرة في دار القرآن الكريم في المسجد الحسيني الكبير في عمّان، حيث تزامنا في التلمذة على شيخنا الجليل طاهر قاسم الأحمد رحمه الله، وحضرت حفل ختمه القرآن في تلك الدار، كما حضرت بعد ذلك بسنوات حفل ختمه القرآن على شيخه وهو في الوقت نفسه أحد أعز أصدقائنا الدكتور محمد عصام القضاة، فبداية المعرفة في دار القرآن، ومسيرة الصداقة والأخوة مع القرآن، وتعززت الصلة حين ترافقنا خلال سني الدراسة الجامعية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وبعدها، وتجاورنا في السكن مدة في عمّان وفي المدينة، وقضينا في الحضر والسفر الكثير من الأوقات النافعة الطيبة، وتزاملنا في حلقات علم عديدة، وفي مجلس إدارة جمعية المحافظة على القرآن الكريم، وكثير من المناسبات الاجتماعية والعائلية، فمعرفتي بأخي أبي أنس معرفة عميقة دقيقة، وأرغب أن أذكر هنا أنه لكثرة ما كان زملاؤنا يروننا مترافقين أطلقوا علينا اختصارا اسم (أحمد شكروري)، عرفته عن قرب، وعرفت فيه الكثير الكثير من الخصال الطيبة والأخلاق الحميدة، والمواقف النبيلة، ورأيت له مواقف مشهودة لا أنساها، تدل على عمق إيمانه، وقوة التزامه، وغزير علمه، وصدق أخوته، ورقة قلبه، كما عرفت فيه الجرأة في الحق، والحرص على الخير والمبادرة إليه، والالتزام بسمت أهل العلم، وتوخي الدقة التامة عند إرادة الإفتاء في مسألة ما، كل هذا مترافق عنده مع لين الجانب، والتواضع الجم، والتودد إلى الآخرين، وقد يظن بعض من يقرأ كلامي أني أبالغ أو أجامل، ولكن من يعرف المتكَلم عنه حق المعرفة يعلم أني مقصر غاية التقصير في إيفائه بعض حقه، وأن ما قلته لا يعدو أن يكون غيضا من فيض، وقطرة من بحر.

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسنات من أعده، وأن يجعلنا جميعا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته.

كتبه

أحمد شكري

كلية الشريعة – الجامعة الأردنية

٢٠١١/٧/٧

مقدمة

الحمد لله، أحمدك اللهم لأنك أهل للحمد كله والثناء كله والفضل كله، الحمد لله الذي بحمده يرفعنا وبفضله ينفعنا، الحمد لله الذي استخدمنا في درب كتابه، ويسَّر لنا هذا الدرب ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾ وندبنا إليه ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾، الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على هادي الأمم النبي الأمي الذي رسخ للعلم أقداماً وزيَّن لطلابه ومحبيه في هذا الميدان إقداماً، خصَّه الله تعالى بالوحي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾، كتاباً معجزاً وسنة فيها جوامع الكلم: (أوتيت القرآن ومثله معه) فجزاه الله عن أمته ودينه خير ما يجزي نبيّاً، ورضي الله عن صحابته مصابيح الهدى الذين فسروا لنا الكتاب وأوضحوا للأجيال فصل الخطاب، فكنا أحفادهم نرشف من معينهم الثر ولسنا أهلاً للمقارنة أو المقابلة، ولكن:

فتشـــــبهوا إن لم تكونـــــوا مثلـــــهم　　　إن التشـــــبه بـــــالكرام فـــــلاح

أما بعد:

فهذا الكتاب يخرج الى العلن بعد إحدى وعشرين سنة من تأليفه بحثا لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من الجامعة الأردنية، ساقتني إليه الأقدار ولم يكن من بين ثلاثة وعشرين مشروع بحث قدمتها مصحوبة بخططها المقترحة ومراجعها لقسم أصول الدين في الجامعة آنذاك، حتى جاء الفرج على يد رجل يشاء الله تعالى أن يرى هذا الكتاب النور وقد التحق بربه راضيا مرضيا إن شاء الله تعالى، انه صاحب الفضل فعلاً واسماً أستاذ الأجيال أ- د فضل حسن عباس عليه رحمة الله وسلاماته، وقد فجعت الأمة بفقده قبل أيام قليلة من كتابة هذه المقدمة، لقد شعر صاحب الفضل د. فضل بمعاناة استطالت وأوجعت، وأشهد أنه بادر دون سابق طلب لرفع هذه المعاناة حين استدعاني الى بيته العامر وقالها كلمات مختصره: أتريد أن تتخرج؟ ليس فيمن أكملوا من هذا القسم من هو أحق منك بالماجستير، لقد اقترحت لك موضوعاً ورضي به القسم، اكتب عن تفسير المراغي يا شحروري، تلقفت كلمة شيخي كما يتلقف المشرف على الموت المحقق جرعة الماء، واعتكفت

لقراءة التفسير بمجلداته العشر في نحو من ستة آلاف صفحة، فأتممت قراءته والتعليق على أطرافه بقلم الرصاص في واحد وثلاثين يوماً خرجت بعدها بالخطة، وكان الوليد، ولم يكتف فقيد الأمة العلامة د. فضل بما فعل بل لقد كان له موقف من مناقشة البحث _ ولم يكن أحد أعضاء اللجنة _ نصرني وعززني، كما لم يكن ذاك أول موقف يربه علي، وما كافأته والله، وما مثلي بمستطيع، فأحيله على الكريم الذي لا يضام ضيفه ولا تضيع عنده الصنائع، على أن الوفاء يحتم علي في هذا السياق أن أذكر شيخي ومشرفي على هذا العمل د. إبراهيم زيد الكيلاني أطال الله عمره في عافية وجزاه عن الدعوة والدعاة خيراً.

هذا الكتاب أيها القارئ الحبيب يندرج في مناهج المفسرين، ولكم كنت حريصاً على أن أتعرف على شخصية الشيخ أحمد المراغي صاحب التفسير الذي لم أجد ما يشفي فيما كتب عن حياته فشددت الرحال بصحبة أخ حبيب من طلبة العلم المجودين هو د. جمال محمود أبو حسان وقد كنا وقتها دون لقب إلا التشرف بخدمة العلم وطلبه ، شددنا الرحال الى مصر المحروسة، والتقينا شيخين كبيرين هناك من أبناء جيل الشيخ المراغي هما الشيخ محمد متولي شعراوي والشيخ أحمد سيد كومي رحمهما الله، وقد اتفقت كلمتهما على أن هذا الكتاب هو نقل لما في تفسير المنار لمحمد رشيد رضا حتى قال لي الشيخ الشعراوي رحمه الله بالعامية المصرية: ده تفريغ كتاب في كتاب، ربما آلمني ذلك في وقت إعداد البحث لكني ما أن أنهيت الدراسة حتى علمت أني درست تفسيري المنار والمراغي، وأشهد أني أفدت من ذلك كثيرا باطلاعي على مدرسة المنار بفروعها ومؤلفاتها ، نقدتها نعم ، وكان ذلك مدعاة سخط عليّ من مشرفي حفظه الله حتى قال لي: أتحسب أن المراغي رحمه الله واحدا من طلابك؟! فأقسمت له أني مستعد أن أستغني عن تحصيل الشهادة أن وقف على أي موضع في البحث أفتئت فيه على الشيخ أو أتصرف فيه بوقاحة مع العلماء !! ويحتم المقام علي أن أذكر بجزيل العرفان والثناء الحسن أستاذي وأخي الكبير د. أحمد نوفل حفظه الله الذي كان أحد المناقشين وأشهد أنه أنصفني فذكر ما في البحث من استقلال الباحث وأمانة النقل وقوة اللغة... وقد مضت السنون وكنت بعد تلك المناقشة بتسع سنوات في السودان أناقش رسالة الدكتوراه فذكرت في البحث النقاط التي ذكرها أستاذي أبو عمر بعينها وكأنها تقال في مجلس واحد، فتأثرت بذلك حتى بكيت.

لا تعجب أيها القارئ الكريم، فان لم تكن مقدمة الكتب مخصصة لسرد قصة حياة مؤلفيها فإن لهذا الكتاب جوا وذكريات تملي أن أوثق ما يحتم علي الوفاء توثيقه، وما أجد في صدري من زفرات لو لم أدعها تخرج لآذتني.

جزى الله كل الخير من أحسن إلي وسامح الله من أفترى حتى كأنه لم يقرأ ما كتب واكتفى بالتصفح، أكد لي ذلك مراجعتي لهذا البحث بعد عقدين من الزمان وفي يدي قلم الأستاذ بعد أن كنت كتبته بقلم الطالب.

وبعد الذي بعد:

فقد جعلت هذا الكتاب _ كما كان بحثا _ تسعة فصول

الفصل الأول: الشيخ أحمد المراغي: حياته

الفصل الثاني: البنية العامة لتفسير المراغي

الفصل الثالث: اللغة والبلاغة في تفسيره

الفصل الرابع: عنايته بمباحث علوم القرآن

الفصل الخامس: المسائل العقدية في تفسيره

الفصل السادس: مسائل الفقه وأصوله

الفصل السابع: الاتجاهات المعاصرة في تفسيره

الفصل الثامن: موقفه من الإسرائيليات

الفصل التاسع: تفسير المراغي، ما له وما عليه

واليوم وأنا أقدم للقارئ الكريم هذا الجهد البشري الضعيف أهمس في أذنه بأني لا أجد حاجة للإضافة على ما كتبته بحثا للماجستير أو التعديل إلا ما يمكن أن أعيد صياغته في مستقبل قريب إن شاء الله في فصل الإسرائيليات بتوسع في كلام العلماء فيها، أما موقف المراغي من التعامل معها فأرجو أن يكون واضحا، وقد تعمدت أن أقصر الفصل الأول على حياة الشيخ المراغي مع أني بحثت فيه عصره في أصل البحث، وعند المراجعة وجدت أن فيه حشوا كثيرا، فاكتفيت بأن يعلم القارئ زمان وفاة الشيخ (١٩٥٢م) وهو العام الذي قامت فيه ثورة ٢٣ يوليو، وذلك زمان يتحدث عن نفسه، ومن لم يعشه

فقد أصبح بالتواتر عالما بأحواله وهو المتعلق بأكبر دولة عربية من حيث عدد السكان وفي شأنه كتبت دراسات وتوثيقات لا حصر لها، وفيها الغناء إن شاء الله تعالى.

وقد أجريت تعديلاً واحداً على منهج الدراسة في التوثيق لما استشهدت به من تفسير المراغي، فعمدت إلى ذكر الجزء والصفحة فقط دون تكرار اسم تفسير المراغي بعد الاستشهاد الأول.

والله أسأل أن يجزي بالخير العميم كل من أسدى إلي معروفا ولم أذكره ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا وأكرر مسامحتي وصفحي عن كل من قصر أو أساء ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

وكتبه

د. أحمد داود شحروري

عمان في ١٤ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ

الموافق ٢٠١١/٢/١٧م

الفصل الأول

الشيخ أحمد المراغي

حياته

حياة المراغي (١٨٨٣ – ١٩٥٢)

١- الشيخ أحمد المراغي: مولده ونشأته

وهو الشيخ أحمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم القاضي. ولد ببلدة المراغة من أعمال مديرية جرجا بصعيد مصر سنة ١٣٠٠هـ – ١٨٨٣م من أسرة عريقة في خدمة العلم والقضاء، توارث القضاء فيها خلف عن سلف، ومن قِبَل هذا تلقب بأسرة القاضي[١].

والده وأخوانه

رغم أن أسرة الشيخ أحمد المراغي كانت أسرة علم، إلا أن والده مصطفى المراغي كان مزارعاً في المراغة، ولكن روح الأسرة واتجاهها العلمي كان يشده نحو ضرورة تنشئة أبنائه على العلم[٢]، وقد كان له ما أراد فاتجه أبناؤه جميعاً لدراسة العلم الشرعي وكان لهم شأن في تاريخ الأزهر الحديث، فابنه الشيخ محمد كان شيخ الأزهر لفترتين (من١٩٢٨ – ١٩٢٩م ومن ١٩٣٥ – ١٩٤٥م)[٣]، والشيخ عبد العزيز كان عالماً أزهرياً ضليعاً في معرفة الشريعة خبيراً بمذاهب أئمتها، أديباً متذوقاً، مؤرخاً واعياً لتطورات التاريخ الإسلامي وتقلب دوله[٤].

صفاته الخَلْقيّة:

كان – رحمه الله – متوسط الطول، نحيل القامة، أسمر البشرة، ملتحٍ[٥].

صفاته الخُلُقية:

كان الشيخ أحمد جمّ التواضع، بسيطاً، بشوشاً مرحاً، وكان – رحمه الله – هادئاً لين العريكة، يحاول تقديم المساعدة لمن لاحظ احتياجه لها عرفه أم لم يكن يعرفه[٦].

---

(١) تاريخ علوم البلاغة – أحمد المراغي ص٢١٩ ط. مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٠م.

(٢) من حديث شخصي مع ابن الشيخ أحمد الأستاذ عادل المراغي في القاهرة عصر الأربعاء ١٩٨٩/٣/١م. الأستاذ عادل (١٩٢٧م) سفير سابق في وزارة الخارجية بمصر.

(٣) مشيخة الأزهر منذ نشأتها حتى الآن – علي عبد العظيم ٢٤/٢ ط. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٩م.

(٤) الأزهر في ألف عام – محمد عبد المنعم الخفاجي ٤٨/٢ المنيرية بالأزهر ط١ (١٩٥٤م).

(٥) من حديث شخصي مع الأستاذ عادل في القاهرة.

(٦) من الحديث الشخصي مع الأستاذ عادل.

مذهبه:

الشيخ أحمد حنفي المذهب، ولكنه لم يكن متعصباً لمذهبه، ولا من خصوم التقليد المذهبي[1]، أما التقليد العقدي فقد شن عليه من خلال تفسيره حرباً شعواء، وهذا ما سيتضح عند الحديث عن المسائل العقدية في تفسيره إن شاء الله.

سيرته العامة:

لم يعرف عن الشيخ انخراط في عمل سياسي أو تنظيمي، ولكنه – رحمه الله – لم ينفصل عن هموم قومه وبلده، فقد بث في تفسيره كثيراً من التحذيرات من خطر الاستعمار في المجتمع سياسياً وثقافياً واجتماعياً، وهو ما سيجليه البحث عند الحديث عن آفات المجتمع في الاتجاهات المعاصرة في تفسيره إن شاء الله.

أما عن حالته المادية، فقد كان الرجل متوسط الحال، لا بالثري ولا بالفقير، وقد ساعده هذا الوضع في سير حياته الدراسية بشكل منتظم دون مواجهة عقبات مادية.

أدى الشيخ فريضة الحج في شبابه، وبالتحديد قبل ولادة ابنه الأستاذ عادل سنة ١٩٢٧م.

صلته بعلماء عصره:

كان بينه وبين الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية آنذاك صلة ودّ وزيارات، وكذلك الشيخ عبد اللطيف دراز وكيل الأزهر، والشيخ محمد الفحام وكيل الأزهر وشيخه فيما بعد، وكان مما يقربه منهم جميعاً إقامتهم معه في حلوان.

أبناؤه:

ولد للشيخ أحمد المراغي سبعة ذكور وأربع إناث، أما الذكور فقد حازوا على مراتب وظيفية عالية جلها متعلق بالقضاء والقانون، ولم يتخصص أحد منهم بدراسة العلم الشرعي كوالده. وأما الإناث فقد توقف تحصيلهن العلمي بعد الثانوية العامة.

٢- تعلمه وتعليمه

تعلمه:

التحق الشيخ أحمد بكتّاب قريته في سن السابعة، وحفظ القرآن فيه وجوّده، ورحل إلى الأزهر سنة (١٣١٤هـ - ١٨٩٧م)، ثم اتجهت عزيمته إلى دخول دار العلوم وكان قد شارف على النهاية في الدراسة الأزهرية، فانتظم في سلك طلبتها حتى تخرج فيها سنة (١٣٢٦هـ - ١٩٠٩م).. حفظ كثيراً

---

(١) الأستاذ عادل المراغي.

من المتون في تلك الحقبة.

أساتذته:

تلقى العلم على ثلة من أشياخه كالأستاذ محمد عبده ومحمد بخيت المطيعي ومحمد حسنين العدوي وأحمد الرفاعي الفيومي في جماعة آخرين[1].

تعليمه:

تولى الشيخ أحمد التدريس بالمدارس الأميرية، ثم عين ناظراً لمدرسة المعلمين بالفيوم، ثم سافر إلى السودان وتولى التدريس بكلية غردون أستاذاً للشريعة الإسلامية واللغة العربية لمدة أربع سنوات (١٩١٧ م – ١٩٢١م) ثم رجع إلى مصر أستاذاً للغة العربية والشريعة الإسلامية بمدارس دار العلوم، وقد نُدب لإقراء علوم البلاغة في كلية اللغة العربية شعبة البلاغة والأدب بالأزهر الشريف، وتخرج على يديه من تفخر بهم المعاهد الدينية من علماء التخصص[2].

أما عن تأثر طلبة العلم به خارج الأزهر ودار العلوم فالظاهر أنه كان محدوداً، إذ علمت من ابنه السيد عادل أن نشاطه العلمي خارج حدود التعليم النظامي كان مقتصراً على أداء درسين عقب صلاتي الفجر والمغرب في مسجد الجلاد قرب منزله بحلوان يجيب فيهما على استفسارات المصلين.

آثاره العلمية:

ترك الشيخ أحمد المراغي عدة كتب ورسائل كان للبلاغة وبعض علوم اللغة الأخرى فيها حظ وافر إلى جانب بعض الدراسات الفقهية والمتفرقة، أما كتبه فهي كما يلي:

١- تفسير القرآن الكريم المسمى «تفسير المراغي» وهو أكثر كتبه حظاً في الشهرة، وسنتعرف عليه عن كثب في هذه الدراسة إن شاء الله.

٢- علوم البلاغة: وهو كتاب جمع بين طريق عبد القاهر وطريق السكاكي في التأليف.

٣- هداية الطالب (جزءان): أحدهما في النحو والتصريف والثاني في علوم البلاغة الثلاثة، وقد وضع مُراعى فيه منهج الدراسة للمدارس الثانوية.

٤- مرشد الطالب: في علوم البلاغة وضع متبعاً فيه الطريق الاستنتاجية.

٥- تهذيب التوضيح: جزءان أحدهما في النحو والثاني في التصريف، وكان يدرس بالازهر.

---

(١) تاريخ علوم البلاغة – أحمد المراغي – ص٢١٩.

(٢) تاريخ علوم البلاغة – أحمد المراغي – ص٢١٩، وقد جهدت في محاولة التعرف على أسماء بعض تلامذته فلم أجد شيئاً في الكتب ولا عن طريق ابنه السيد عادل.

٦- بحوث وآراء: في فنون البلاغة.
٧- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها.
٨- الديانة والأخلاق.
٩- الموجز في الأدب العربي.
١٠- الموجز في الأصول.
١١- المطالعة العربية: للمدارس السودانية.
١٢- تعليقات على أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني.
١٣- تعليقات على دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني[١].

وأما رسائله فهي:

١- رسالة في مصطلح الحديث.
٢- رسالة في شرح ثلاثين حديثاً مختارة.
٣- تفسير جزء "إنما السبيل"
٤- زوجات النبي ﷺ.
٥- الحسبة في الإسلام[٢].
٦- الرفق بالحيوان في الإسلام.
٧- رؤية الهلال في رمضان.
٨- في الخطب والخطباء في الدولتين الأموية والعباسية[٣].

وفاته:

مضى الشيخ أحمد المراغي إلى جوار ربه في اليوم التاسع من الشهر السابع لسنة ثنتين وخمسين وتسعمئة وألف في العهد الملكي من تاريخ مصر الحديث أي قبل قيام ثورة يوليو (١٩٥٢/٧/٢٣م) بأسبوعين تقريباً، وكان ذلك بعد وفاة أخيه الأصغر الشيخ عبد العزيز المراغي (١٩٥٠م)[٤].

---

(١) انظر تاريخ علوم البلاغة – أحمد المراغي – ص٢١٩.

(٢) وقد اطلعت على هذه الرسالة المنشورة في مجلة الأزهر بالعدد الثامن محرم (١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م) ص٦٩٣ – ٧٠٠، وقد شملت العناوين التالية: الحسبة في اللغة، معنى الحسبة شرعاً، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب إحداث الحسبة، الشروط التي يجب أن تتوافر فيمن يتولى القيام بها، المحتسب (تعريفه) أصناف المحتسب والفرق بين المحتسب والقاضي.

(٣) تاريخ علوم البلاغة ص٢١٩.

(٤) الأزهر في ألف عام ٤٩/٢.

الفصل الثاني

البنية العامة لتفسير المراغي

المبحث الأول

طريقته في التفسير

قدم الشيخ المراغي لتفسيره بمقدمتين: مقدمة عامة قصيرة، ومقدمة في بعض علوم القرآن جعلها مدخلاً لتفسيره.

في المقدمة الأولى لخص سبب إقدامه على تفسير القرآن الكريم، وهو يرى اختلاف الزمان وتغيّر أمزجة الناس، حتى لم يعد من التفاسير الموجودة ما يناسبها، فقد حشيت بالكثير من مصطلحات الفنون من بلاغة ونحو وصرف وفقه وأصول وتوحيد إلى نحو أولئك مما كان عقبة كأداء أمام قارئيها، إلى ما فيها من أقاصيص مجانفة لوجه الصواب متنكبة عن حظيرة العقل ووجوه المعارف التي يصحّ تصديقها، إلى تفسير للقضايا العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم بحسب ما أيده العلم في تلك العصور، وقد أيد العلم في هذا العصر وأيّد الدليل والبرهان أنه لا ينبغي التعويل على مثل ما كان معروفاً حينئذ[1].

ووعد الشيخ في هذه المقدمة أن يكون تفسيره مشاكلاً لحاجة الناس في عصره في أسلوبه وطريقة رصفه ووضعه، كما ذكر أنه سيضمّن تفسيره آراء أهل الذكر من الباحثين في مختلف الفنون التي ألمع إليها القرآن الكريم على نحو ما أثبته العلم في العصر الحاضر[2].

وفي المقدمة الثانية يتحدث الشيخ في بعض علوم القرآن الكريم ويستهلها بالحديث عن عناية المسلمين بتفسير القرآن، وقاده هذا إلى التطرق لطبقات المفسرين، ثم تحدث عن الرسم العثماني وآراء العلماء في التزامه.. وكل ذلك سيتناوله البحث في فصل "عنايته بمباحث علوم القرآن" إن شاء الله، على أن الشيخ رحمه الله قد سار في مقدمته هذه على نهج كثير من المفسرين الأقدمين حيث ألفنا أن نجد في مقدمة تفاسيرهم حديثاً يطول أو يقصر في بعض مباحث علوم القرآن، يثبتون فيه آراءهم في كثير من القضايا القرآنية التي أضحت في زماننا مذاهب تنسب إليهم، وليس أدل على ذلك من الآراء التي جاءت في مقدمة تفسير الإمام الطبري رحمه الله ومن أبرزها رأيه في الأحرف السبعة[3].

---

(١) تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي ٣/١ دار إحياء التراث العربي – بيروت ط (٢).

(٢) ٤/١.

(٣) انظر تفسير الطبري المسمى جامع البيان في أحكام القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ٩/١–٢٥ ط. دار المعرفة – بيروت (١٩٨٣م) مصور عن الطبعة الاولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر (١٣٢٣هـ).

وقبل أن يحدثنا الشيخ عن منهجه في التفسير ألمح إلى أن تفسيره هذا هو من أواخر تصانيفه ومؤلفاته بعد أن قضى نحو نصف قرن درساً وتدريساً وتأليفاً وتصنيفاً، كل ذلك في مجال اللغة العربية وأساليبها في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر(١).

منهج الشيخ في تفسيره

اقتدى الشيخ المراغي بكثير ممن سبقه من المفسرين حين وضع بين أيدينا نهجه الذي سلكه في تفسيره(٢)، وقد جعله مبيناً في تسع نقاط، تذكر الآن على وجه الإجمال ويعرض البحث لها تحقيقاً وشرحاً، كل نقطة في مكانها المخصص في هذا الكتاب إن شاء الله.

١- ذكر الآيات في صدر البحث: وذكر أنه ساق الآيات مجموعات تؤدي غرضاً واحداً، وفي ذلك إلماح إلى محاولة العناية بالتفسير الموضوعي كما سيأتي بيانه.

٢- شرح المفردات.

٣- المعنى الجملي للآيات: وبيّن أن معناه التطرق إلى صورة مجملة عن معنى الآيات.

٤- أسباب النزول التي تصح لدى المفسرين بالمأثور.

٥- الإعراض عن ذكر مصطلحات العلوم من نحو وصرف وبلاغة.

٦- أسلوب المفسرين: وهنا ذكر أن للمفسرين السابقين أسلوبهم في الإيجاز الذي كان يعتبر في أوانهم بلاغة، ولما تغيّر الحال بتغير الزمان صار لزاماً أن يُتبع الأسلوب الموافق لأمزجة الناس، فأساس التخاطب أن لكل مقام مقالاً(٣).

ولم يغفل الشيخ اعتماده على آراء كثير من المفسرين السابقين اعترافاً بفضلهم زيادة على أنه اتبع أقوال علماء الفنون العصرية المختلفة طبّاً وفلكاً وتاريخاً واعتبر ذلك مما يثري البحوث والمؤلفات ويجعلها مسايرة لعصر المؤلف ما وجد إلى ذلك سبيلاً(٤).

٧- ميزة العصر الحاضر في وسائل التفاهم: يبين الشيخ هنا كيفية صياغته لأفكار هذا التفسير، وأنه كان يقرأ التفاسير الكثيرة ذات النزعات المختلفة والفترات المتباينة حتى إذا هضمها عبّر

---

(١) ١٦/١.

(٢) فقد اتبع هذا الأسلوب قبله أبو حيان في البحر المحيط، انظر ٤/١ منه والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣/١ منه، وابن جزي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، انظر ٣/١ منه.

(٣) المراغي ١٧/١.

(٤) المراغي ١٨/١.

عنها بأسلوب العصر الحاضر، ذاكراً أن الذي حمله على هذه الطريقة على صعوبتها هو انصراف القارئين عن قراءة كتب التفسير التي بين أيدينا بدعوى أنها صعبة المدخل مفعمة بكثير من المصطلحات التي لا يعلمها إلا من أتقن هذه الفنون[1].

٨- تمحيص روايات كتب التفسير: وعد الشيخ ألاّ يذكر من روايات كتب التفسير إلاّ ما تلقاه العلم بالقبول ولم يرد فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التي لا خلاف فيها بين أهله، وهو يرى أن ذلك أسلم للمعرفة الصادقة وأشرف لتفسير القرآن العظيم وأجذب لقلوب المثقفين ثقافة علمية لا يقنعها إلا الدليل والبرهان[2].

٩- عدد أجزاء هذا التفسير: بين الشيخ أنه جعل تفسيره في ثلاثين جزءاً لكل جزء من القرآن جزء خاص من التفسير ليسهل حمله في الحل والترحال[3]، ولكن المتوافر اليوم في الأسواق عشرة أجزاء في كل منها تفسير ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم.

وفي نهاية تقديم الشيخ لتفسيره ذكر مراجعه التي اعتمدها فيه، وسيأتي بيان ذلك ودراسته بتوسع في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله.

وهذه جولة في أهم معالم تفسير المراغي مما يضيف مزيداً من التوضيح لمنهج الشيخ في تفسيره:

١- قبل البدء في تفسير السورة تعودنا أن نجد مقدمة لها يذكر فيها الشيخ أموراً أربعة هي: مكان نزول السورة، وعدد آياتها، ووجه اتصالها بما قبلها، وترتيب نزولها، وقد جعل هذا خطاً عاماً لتفسيره وواحداً من معالم منهجه حتى إنه لم يتركه إلا نادراً، تجد ذلك في مقدمة تفسير سورة آل عمران فقد أغفل ذكر ترتيب نزولها وذكر الأمور الثلاثة الأخرى فقال: "هذه السورة مدنية وعدد آياتها مئتان باتفاق العادين ووجه اتصالها بما قبلها أمور" عدها خمسة[4]. ومن أمثلة تمامها ما جاء في تقديمه لتفسير سورة هود عليه السلام: "وهي مكية كالتي قبلها وعدد آياتها ثلاث وعشرون ومئة، نزلت بعد سورة يونس وتضمنت ما تضمنته تلك من أصول الإسلام وهي التوحيد والنبوة والبعث والحساب والجزاء، وفصّل فيها ما أجمل في سابقتها من قصص الرسل عليهم السلام، وهي مناسبة لها في فاتحتها وخاتمتها وتفصيل الدعوة في أثنائها،

---

(١) المرجع السابق ١٨/١.

(٢) وهو بهذا يشير إلى طبيعة العصر من ناحية تأثره بالنهضة الأوروبية الحديثة.

(٣) ٢٠/١.

(٤) . ١٠/٢.

فقد افتتحتا بذكر القرآن بعد (الر) وذكر رسالة النبي المبلغ عن ربه وبيان أن وظيفة الرسول إنما هي التبشير والإنذار، وفي أثنائها ذكر التحدي بالقرآن والرد على الذين زعموا أن الرسول ﷺ قد افتراه ومحاجّة المشركين في أصول الدين، وختمتا بخطاب الناس بالدعوة إلى ما جاء به الرسول ﷺ، ثم أمر الرسول ﷺ في الأولى بالصبر حتى يحكم الله بينه وبين الكافرين وفي الثانية بانتظار هذا الحكم منه تعالى مع الاستقامة على عبادته والتوكل عليه، وعلى الجملة فقد أجمل في كل منهما ما فصّل في الأخرى مع فوائد انفردت بها كل منهما، فقد اتفقتا موضوعاً في الأكثر واختلفتا نظماً وأسلوباً، مما لا مجال للشك في أنهما من كلام الرحمن الذي علم الإنسان البيان"[1].

٢- قد يذكر المراغي في مقدمة تفسير السورة ما يزيد على الأمور الأربعة السابقة مما يجده ضرورياً لإلقاء مزيد من الضوء على السورة من قضايا علوم القرآن وغيرها مثل:

أ- أسماء السورة

ب- بعض قضايا التفسير الموضوعي.

ج- فضل السورة.

فمن ذكره لقضايا علوم القرآن ما تجده واضحاً ومسهباً في مقدمة تفسير سورة الفاتحة حين عرّف السورة بأنها طائفة من القرآن مؤلفة من ثلاث آيات فأكثر لها اسم يعرف بطريق الرواية[2]، وكذلك ما ذكره من نزول القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الحوادث التي دعت إلى ذلك، وأماكن نزوله وميزات كل من القرآن المكي والمدني[3].. وفي مقدمة سورة براءة يذكر الشيخ أن التسمية لم ترد في أولها لأنها لم تنزل معها[4].

ومن أمثلة ذكره لتعدد أسماء السور ما ورد في تفسير الفاتحة، قال: "وقد روي لهذه السورة عدة أسماء اشتهر منها أم الكتاب، أم القرآن (لاشتمالها على مقاصد القرآن من الثناء على الله والتعبد بأمره

---

(١) ١١/١٦٧.

(٢) ١/٢٣.

(٣) ١/٢٤ و ٢٥.

(٤) ١٠/٥١.

ونهيه وبيان وعده ووعيده)، والسبع المثاني لأنها تثنّى في الصلاة، والفاتحة لأنها أول القرآن في هذا الترتيب أو أول سورة نزلت"[١].

كذلك ما ذكره من أسماء سورة المائدة: "هذه السورة تسمى سورة المائدة وسورة العقود وسورة المنقذة[٢]، وأسماء سورة التوبة قال: "ولها أسماء كثيرة منها الفاضحة لما تضمنته من ذكر أسماء المنافقين وأنبائهم، بما في قلوبهم من الكفر وسوء النيات، والمدمدمة، والمخزية"[٣].

ومن قضايا التفسير الموضوعي التي يثيرها في مقدمة تفسير السور، ما ورد في مقدمة سورة الفاتحة، فقد ذكر أن هذه السورة مشتملة على مقاصد القرآن على سبيل الإجمال، قال: "وبيان هذا أن القرآن الكريم اشتمل على التوحيد، وعلى وعد من أخذ به بحسن المثوبة، ووعيد من تجافى عنه وتركه بسوء العقوبة، وعلى العبادة التي تحيي التوحيد في القلوب وتثبته في النفوس، وعلى بيان سبيل السعادة الموصل إلى نعيم الدنيا والآخرة، وعلى القصص الحاوي أخبار المهتدين الذين وقفوا عند الحدود التي سنها الله لعباده وفيها سعادتهم في دنياهم وآخرتهم، والضالين الذين تعدوا الحدود ونبذوا أحكام الشرائع وراءهم ظهرياً، وقد حوت الفاتحة هذه المعاني جملة[٤]...

وفي مقدمة تفسير سورة يونس عليه السلام بعد أن تحدث عن مناسبتها لما قبلها استطرد قائلاً: "وليس التناسب بين السور سبباً في هذا الترتيب الذي بينهما[٥]، فكثيراً ما نرى سورتين بينهما أكثر تناسب في موضوع الآيات، وقد فصل بينهما كما فعل بسورتي الهمزة واللهب وموضوعهما واحد، وقد يجمع بينهما تارة أخرى كما فعل بين سور الطواسين، وسور ال حاميم، وسورتي المرسلات والنبأ[٦].

---

(١) ٢٣/١، وهذا ليس صحيحاً فإن أول سورة نزلت العلق، وسيأتي تحقيق ذلك في الفصل الرابع إن شاء الله.

(٢) ٤١/٦.

(٣) ٥٠/١٠، والواقع ان السورة لم تذكر اسم منافق بعينه بل ذكرت أوصافهم.

(٤) ٢٣/١ و ٢٤.

(٥) كلامه هنا يوهم أنه لا يرى ترتيب السور في المصحف راجعاً للوحدة الموضوعية، ولكن إصراره على الربط بين كل سورة والتي تليها يؤكد اهتمامه بالربط الموضوعي بين السور، ولو أنه حدد جملته لكان أدق في الوصول إلى المعنى الذي يريده، فهو بالاستقراء وصل إلى أن التناسب بين موضوعات السورتين ليس (وحده) هو سبب تتابعهما في الترتيب.

(٦) ٥٨/١١.

أما ما جاء في مقدمة تفسير السورة من الحديث عن فضلها فمنه ما تجده في مقدمة سورة (ق) إذ يورد الشيخ ثلاثة أحاديث تدل على أن النبي ﷺ كان يقرؤها في العيدين والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلق، والبعث والنشور والمعاد والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب[1]، وهذا يدل على تنبيهه ﷺ على فضل السورة.

ولم يكن من منهج الشيخ أن يبحث عن فضائل السور المبثوثة في كتب التفسير بشكل كبير ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى أن كثيراً من الأحاديث التي ذكرت في فضل السور ضعيفة، وهذا ما وعد بأن يبتعد عنه في مقدمة التفسير حين تحدث عن تمحيص روايات كتب التفسير وقد سبق بيانه[2].

٣- من أبرز معالم هذا التفسير أنه اعتاد المراغي فيه بعد أن يفصل القول في معنى الآية ويستشهد لها بمثيلاتها من آي القرآن أن يجعل لتفصيل المعنى خلاصة تبين المراد المباشر من الآية كما يفهمه، ويجعل لذلك إشارات متعددة أكثرها وأشهرها أن يقول: "والخلاصة" كيت وكيت... ولا تكاد مجموعة من الآيات تخلو من هذه الخلاصة، ومن **أمثلتها: ما ورد عند** تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤].

فبعد أن تكلم في تفسيرها وعرّف النار وموقف أهل الحق منها، والوقود وغير ذلك من تفاصيل الآية، قال: "والخلاصة: فإن لم تفعلوا ما أمرتم به من الإتيان بالمثل بعد أن بذلتم المجهود – ولن تفعلوه فليس في استطاعتكم – فاحذروا من العناد واعترفوا بكونه منزلاً من عند الله لئلا تكونوا أنتم وأصنامكم وقود النار التي أعدت للكافرين"[3].

وقد يأتي بالخلاصة ليلخص فيها مجمل ما جاء في عدة آيات متصلة المعنى في موضوع واحد، ومثل ذلك ما جاء بعد تفسيره لآيات الصيام في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، إلى قوله سبحانه: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ

(١) ١٥٠/٢٦.

(٢) انظر ص ٢١ من هذا الكتاب و١٩/١ التفسير.

(٣) ٦٦/١ و ٦٧.

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ **[البقرة: ١٨٥]** قال: "وخلاصة ما تقدم أن المؤمنين في صيامهم أقسام ثلاثة..." وذكرهم[١].

وقد يرد هذا التلخيص بلفظ – والمعنى – كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٣]، **قال: "والمعنى: إنا قد أوحينا إليك هذا القرآن كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ممن يؤمن بهم[٢].**

وقد يعبر عنه بقوله: "وخلاصة المعنى" كما ورد عند تلخيصه لتفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠].

ويرد بنفس المعنى قوله: وإجمال ذلك – كما نرى في تفسير سورة يس عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [يس: ٤٧] قال: "وإجمال ذلك: أنهم لم يعظموا الخالق ولم يشفقوا على المخلوق"[٣].

ويستعمل للتلخيص كذلك قوله: – وقصارى ذلك –، تجد هذا التعبير في تفسيره للآية الأخيرة من سورة الملك إذ يقول: "وقصارى ذلك أنه تعالى فضلاً منه وكرماً أنبع لكم المياه وأجراها في سائر الأقطار بحسب حاجتكم إليها قلةً وكثرة، فله الحمد والمنّة"[٤].

وقد يستخدم الخلاصة لغير غرض التلخيص في بعض المواضع، فها هو عند قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، يحاول في الخلاصة أن يربط هذه الآية بالتي قبلها نزوعاً إلى منحى من نواحي التفسير الموضوعي، استمع إليه بعد تفسير الآية إذ يقول: "والخلاصة: أنه بعد أن دعا بني إسرائيل إلى الإيمان أمرهم بصالح العمل على الوجه المقبول عند الله، فطلب إليهم إقامة الصلاة لتطهر نفوسهم، كما طلب إليهم إيتاء الزكاة التي هي مظهر شكر الله على نعمه، والصلة العظيمة بين الناس لما فيها من بذل المال لمواساة عيال الله وهم الفقراء، ولما بين الناس من تكافل عام في

---

(١) ٢/٧٢.

(٢) ٢/٢١.

(٣) ٢٣/١٧.

(٤) ٢٩/٢٥.

هذه الحياة، فالغني في حاجة إلى الفقير والفقير في حاجة إلى الغني..."[1].

وهو بهذا توسع في الخلاصة أكثر من شرحه للآية.

وأخيراً فإن الشيخ المراغي يرى أحياناً حاجة خلاصته إلى مزيد تلخيص فتراه يتبعها بخلاصة لها، تجد ذلك في مواضيع عديدة في تفسيره:

منها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤]، يقول: "والخلاصة: إن ما تقوله لا يصدر إلا عمن أصيب بشيء اقتضى خروجه عن قانون العقل، فلا يعتد به لأنه من قبيل الخرافات والهذيانات التي لا تصدر إلا عن المجانين فكيف نؤمن بك؟ والخلاصة: إنهم ترقوا في حجاجه من سيء إلى أسوأ إذ قالوا أولاً ما جئتنا بالبيّنة ثم نفوا تصديقهم له مع كونه مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة أيضاً[2].

ومن ذلك ما جاء بعد تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، قال: وخلاصة ذلك: إن الله أعلم موسى حال هذا العلم وما أعلمه موضعه بعينه، فقال لا أزال أمشي حتى يجتمع البحران فيصيرا بحراً واحداً أو أمضي دهراً طويلاً حتى أَجده، ومجمل الأَمر: أنّه وطّن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر مهما طال به الزمان[3].

٤- اعتمد الشيخ أسلوب اختيار عنوان للمجموعة الواحدة من الآيات أحياناً ويكثر ذلك في النصف الثاني من التفسير، وأغلب ما يكون في القصص القرآني وتفصيلاته، ومن ذلك ما يرد في سورة يوسف حيث تقع الآيات (٢٦ – ٢٩) تحت عنوان: "**تحقيق زوجها وحكم قريبها وظهور براءة يوسف**"[4]، وكذلك الآيات (٣٠ – ٣٥) تحت عنوان "**حديث النسوة في المدينة ومكر امرأة العزيز بهن**"[5].

ومن ذلك ما تجده عند الآيات الأول من سورة طه حيث جعل الآيات (٩ – ١٦) تحت عنوان

---

(١) ١٠٣/١.
(٢) ٤٩/١٢.
(٣) ١٧٥/١٥.
(٤) ١٣٣/١٢.
(٥) ١٣٦/١٢.

"قصص موسى عليه السلام"[1]. **كذلك ورد في سورة الأنبياء عند قصة داود وسليمان عليهما** السلام، ولكنه جعل العنوان فيهما للشرح لا لنفس الآيات[2]. وفي سورة الأحقاف الآيات (**٢٩ – ٣٢**) جاءت تحت عنوان **"استماع الجن للقرآن"**[3].

٥- لا يدخر الشيخ جهداً في أن يتحدث عن خطوط عريضة من أسلوب القرآن الكريم في عرضه للحقائق وفوائد هذا الأسلوب، نجد أمثلة ذلك في أَماكن مختلفة من تفسيره:

ففي تفسيره للآيتين (**٤٢ و ٤٣**) من سورة الأعراف جعل المعنى الجملي لبيان أسلوب القرآن الكريم في الجمع بين وعيد أهل الكفر والمعاصي ووعد أهل الطاعات فقال: "وقد جرت سنة القرآن بالجمع بينهما، فيبدأ باحدهما لمناسبة سياق الكلام قبله ثم يقفوه بالآخر"[4].

وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، يقول: "وقلما ذكر عذاب الفاسقين إلا قرنه بذكر الرحمة والمغفرة للمحسنين حتى لا ييأس صالح مصلح من رحمة ربه بذنب عمله بجهالة، ولا يأمن مفسد من عقابه اغتراراً بعفوه وكرمه وهو مصرّ على ذنبه"[5].

وفي الآيات (**٢٨ – ٣١**) من سورة هود عليه السلام قال الشيخ: "بعد أن ذكر مقالتهم وطعنهم في نوح عليه السلام، وردّ شبهات أخرى قد تكون صدرت منهم ولم يحكها لعلمها من الرد عليها، وربما لم يقولوها وإن كان كلامهم يستلزمها، وهذا من خواص أسلوب الكتاب الكريم وسرّ من أسرار بلاغته"[6].

وعن أسلوب القرآن الكريم في الجمل المعترضة وفوائد هذا الأسلوب يتحدث الشيخ في المعنى الجملي للآية (**٣٥**) من سورة هود ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥]، يقول: "وللجمل والآيات المعترضة في القرآن الكريم حكم وفوائد، منها

---

(١) ١٦/٩٦.
(٢) ١٧/٥٨.
(٣) ٢٦/٣٤.
(٤) ٨/١٥٢.
(٥) ٩/٩٨.
(٦) ١٢/٢٦.

تنبيه الأذهان ومنع السآمة وتجديد النشاط بالانتقال من غرض إلى آخر والتشـــويق إلى سمـــاع بقيـــة الكلام"[1].

ويتحدث الشيخ أحياناً عن اختلاف أسلوب القرآن الكريم في عرض معلومة واحدة في أكثر من موضع من آياته، من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعـــالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٤]، من قصة لوط عليه السلام مع قومه إذ يقول: "وجاء في سورتي هود والحجر أنها حجارة من سجيل مسوّمة أي معلمة ببياض في حمرة"[2].

٦- تجنباً للتكرار في تفسيره فإنك تجد الشيخ يحيل في تفسير الآية إلى مواضع سبقت الإشارة فيها إلى المعنى المراد، وأمثلة ذلك منثورة في التفسير:

منها ما جاء في تفســير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢]، قال: قد مر تفسير هذا بإيضاح أول آية الكرسي[3]. وفي قولـــه ســـبحانه: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الرعد: ٢]، يقول: "وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس: ٣٨] وقوله: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس: ٣٩]، وإيضاح هذا ذكر في ســـورتي يـــونس وهود"[4].

كذلك في قوله سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٠]، إلى قوله: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٤]، يقول: "تقدم تفسير هذا في سالف القصص"[5].

وقد يجمل القول في تفسير الآية ويحيل على التفصيل في موضع متقدم، مثال ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان: ٥]، إذ يقول: "أي إن هؤلاء الذين ذكرت

---

(١) ٣٢/١٢.
(٢) ٢٠٦/٨.
(٣) ٩٥/٣.
(٤) ٦٤/١٢.
(٥) ٩٤/١٩.

أوصافهم على نور من ربهم، وأولئك الذين رجوا ما أملوا من ثوابه يوم القيامة، وقد تقدم مزيد إيضاح لهذا أول سورة البقرة"[١].

٧- يعدّ تفسير المراغي من التفاسير التي جمعت بين المأثور والرأي، فالناظر في هذا التفسير لن يبذل جهداً في الوقوف على هذه الحقيقة، لقد حاول الشيخ المراغي أن يحشد أكبر عدد ممكن من النصوص في تفسير ما هو بصدده من الآيات... فسر القرآن بالقرآن كثيراً، وبالسنة أقل من ذلك بقليل، أما أقوال الصحابة والتابعين فقد ظهر منها بشكل جليّ اعتماده على تفسير حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما، وكل ذلك سيكون مدار البحث والتمثيل بشكل واسع عند الحديث عن التفسير بالمأثور في فصل **"عنايته بمباحث علوم القرآن"** على أنه من المفيد أن يذكر أن الشيخ قد توسع في الاستشهاد بالآيات القرآنية حتى إنه ليحشد العدد الموفور منها في سبيل الوصول إلى قضية يريد تقريرها ما كان يستطيع الاستدلال لها من نفس الآية التي هو بصدد تفسيرها... من ذلك ما تجده عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فقد استشهد بآيات عدة استخلص منها تسع نقاط علميّة[٢]، وهو ما يقودنا للحديث عن التفسير بالرأي عند الشيخ، فقد جاء حرصه عليه واجتهاده فيه لدرجة لا تقل عن اهتمامه بالتفسير المأثور، بل إن النظرة إلى هذا التفسير بما احتواه من معالجة للقضايا العلمية والاجتماعية الكثيرة[٣] تلفت الباحث إلى دراسته واحداً من التفاسير المعاصرة التي كان لها باعها في الرأي، بغض النظر عن كونه مجدداً أو متأثراً بمدرسة فكرية معينة.

٨- وامتداداً للحديث عن التفسير بالرأي في تفسير المراغي تجدر الإشارة إلى اهتمام الشيخ في تفسيره بمواكبة النهضة العلمية، فقد راعى انبهار الناس في مصر بها وتأثرهم بأهلها، فأخذ على عاتقه أن يظهر للناس عدم معارضة القرآن للعلم الحديث أو تعارضه معه، وقد ذهب إلى أبعد من ذلك حين حاول إظهار كثير من آي القرآن وهي تجلّي حقائق علمية ثابتة، أو تشير إلى نظريات العلم المطروحة للبحث، وإنك لتجد حرصه على هذا المنهج في مقدمة تفسيره إذ

---

(١) ٧٢/٢١.

(٢) ١٦٩/٨ - ١٧١.

(٣) يأتي التمثيل على ذلك مع الشرح والتعليق في فصل الاتجاهات المعاصرة في تفسيره.

يقول: "ومن ثم رأينا ألاّ نذكر رواية مأثورة إلاّ إذا تلقاها العلم بالقبول ولم نر منها ما يتنافر مع قضايا الدين التي لا خلاف فيها بين أهله، وقد وجدنا أن ذلك أسلم لصادق المعرفة وأشرف لتفسير كتاب الله وأجذب لقلوب المثقفين ثقافة علمية لا يقنعها إلاّ الدليل والبرهان ونور المعرفة الصادقة"[١].

٩- ذكر الشيخ المراغي في مقدمته أنه توخى في هذا التفسير أن يكون سهل المنال مناسباً لطبيعة الناس ومستوياتهم الثقافية وأن ذلك جاء بناء على طلب الناس الاطلاع على تفسير هذه صفته[٢]، ومن هنا فإن القارئ لعبارات الشيخ في هذا الصدد يدرك أن الرجل لم يقصد في تفسيره أهل الاختصاص، وإنما كتبه للمتشوقين لفهم آيات القرآن وهم لا يطيقون الغوص في معاني عبارات الأقدمين ولا يستطيعون الوقوف على كثير من مراميها، وأن في أسلوب هذا التفسير ما يصدق توجه الشيخ ويؤكد وفاءه وعده، وهذه أمثلة على ذلك:

استعمل الشيخ أسلوب التمثيل لتقريب المعنى المراد في أكثر من موضع في التفسير ففي قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، يقول: "وتتمثل لكل فرد أعماله النفسية والبدنية في كتابه الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها كما تتمثل الوقائع مصورة في آلة الصور المتحركة (فيلم السينما)"[٣].

ويفي الشيخ بما قطعه على نفسه من عدم الخوض في مصطلحات العلوم من نحو وبلاغة وغيرها مما اهتم به قدماء المفسرين، ففي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، يقول: "إن رحمة الله قريبة من المحسنين أعمالهم"[٤] ويستطرد في شرح هذه العبارة بما يزيد على نصف صفحة لا نجده من خلالها يتطرق لسبب تذكير قوله (قريب) ولا يخوض في آراء المفسرين التي ندر أن يخلو من بعضها – على الأقل– تفسير من التفاسير السابقة.

وفي غير موضع من تفسيره يلجأ إلى الأمثال كما رأيناه يستعمل التمثيل من قبل، ففي قوله **تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، يقول: "المراد

---

(١) ١٧/١. والقضايا المأثورة الصحيحة في حقيقتها لا تتعارض مع العلم لأنها وحي أثبت من الإدراك العلمي للبشر.

(٢) ٣/١ و ٤.

(٣) تفسير المراغي ١٠١/٧ و ١٠٢.

(٤) المصدر السابق ١٧٩/٨.

منه تقريع المشركين وتيئيسهم مما علقوا عليه أطماعهم من شفاعتهم لهم، فهو وارد على نهج قولهم: إياك أعني واسمعي يا جارة[1].

١٠ – عدم كتابة هذا التفسير لأهل الاختصاص لم تمنع صاحبه أحياناً من أن يتوسع في تفسير الآية بذكر أكثر من وجه في فهمها إذا ما استحسنها جميعاً أو أراد أن يثبت وجهاً منها بذكر ما يخالفه، على أن هذا رغم توافر العديد من الأمثلة عليه لم يكن ديدن الشيخ في تفسيره، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصة المائدة فيما حكاه تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢]، قال: (أي قال لهم عيسى اتقوا الله أن تقترحوا عليه أمثال هذه المقترحات التي كان سلفكم يقترحها على موسى لئلا تكون فتنة لكم فإن شأن المؤمن الصادق ألا يجرب ربه باقتراح الآيات، وقد يكون المعنى: اتقوا الله وقوموا بما يوجبه الإيمان من العمل والتوكل عليه تعالى عسى أن يوفقكم إلى ذلك)[2].

وفي قوله تعالى: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [يونس: ١١]، يقول: "أي فنترك الذين لا يرجون لقاءنا ممن تقدم ذكرهم فيما هم فيه من طغيان في الكفر والتكذيب يترددون فيه متحيرين لا يهتدون سبيلاً للخروج منه. وقد يكون المراد: ولو يعجل الله للناس الشرّ الذي يستعجلونه بما يقتفونه من ظلم وفساد في الأرض لأهلكهم"[3].

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٣٩]، ذكر ثلاثة أقوال في تفسيرها فقال: (أي ولن ينفعكم في هذا اليوم اشتراككم في العذاب أنتم وقرناؤكم كما كان ينفع في الدنيا الاشتراك في المهام الدنيوية... وقد يكون المعنى: ولن ينفعكم ذلك من حيث التأسي فإن المكروب في الدنيا يتأسى ويستريح بوجدان المشارك في البلوى... وقد يكون المعنى: ولن ينفعكم اليوم الاعتذار والندم فأنتم وقرناؤكم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا)[4].

---

(١) تفسير المراغي ٩١/٢٢.

(٢) ٥٨/٧.

(٣) ٧٤/١١.

(٤) ٩٠/٢٥–٩١.

وترى الشيخ في بعض المواضع يقدم رأياً تلمس تفضيله على سواه دون تصريحه بذلك، مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [الرعد: ٥]، أي وأولئك مقيدون بسلاسل وأغلال من الضلال تصدهم عن النظر في الحق واتباع طريق الهدى والبعد عن طريق الهوى كما قال:

كيف الرشاد وقد خلقت من نفر   لهم عن الرشد أغلال وأقيادُ

وقد يكون المعنى: إنهم يوم القيامة عند العرض للحساب توضع الأغلال في أعناقهم كما يقاد الأسير الذليل بالغل، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١- ٧٢][1]، وهكذا، فمع أن الشيخ قد استشهد للرأيين إلاّ أنه قدّم المعنى المجازي على الحقيقي، ولعله يرى فيما قدمه مثالاً صادقاً ودقيقاً على حال أهل الضلال في الدنيا وسبب ضلالهم، مما يخدم أسلوبه في الإصلاح الاجتماعي.

١١-ومن أبرز ملامح هذا التفسير ذكر تلخيص للمواضيع التي حوتها السورة في ختامها غالباً، لم يتخلف عن هذا النهج سوى في سور قليلة العدد، منها ما كان يذكر تلخيص موضوعاته في أول السورة لا في ختامها كما هو الحال في سورة النساء فقد جاء عنوان "ما حوته السورة من موضوعات" في الصفحة الأولى من تفسيرها[2].

ومنها ما ترك تلخيص موضوعاتها بالكلية، تكرر ذلك في أكثر من سورة في جزء عمّ مثل سورة التين[3]، والقدر[4]، والبينة[5]، وما عدا ذلك فإنك تلاحظ حرص الشيخ على تلخيص موضوعات السورة التي يفسرها بنقاط مرتبة حسب ترتيب أفكار السورة في آياتها، من ذلك ما جاء في ختام تفسير سورة الملك، يقول: "ما حوته السورة من موضوعات:

١- وصف السماوات.

٢- بيان أن نظام العالم لا عوج فيه ولا اختلاف.

٣- وصف عذاب الكافرين في الدنيا والآخرة.

---

(١) ٧٠/١٣.

(٢) ١٧٣/٤.

(٣) ١٩٣/٣٠-١٩٦.

(٤) ٢٠٦/٣٠ -٢١٠.

(٥) ٢١١/٣٠-٢١٧.

٤- التذكير بخلق الإنسان ورزقه وأشباه ذلك [١].

١٢-الاتجاه الموضوعي في تفسير المراغي: القارئ في تفسير المراغي لا يسعه إغفال محاولة الرجل تكوين فكرة موضوعية عن الآيات التي يفسرها سواء كان ذلك في آيات السورة الواحدة أو في السور المتتابعة كذلك.

ومع أن هذا التفسير لم يصنف ليكون اتجاهه موضوعياً – فقد غلبت عليه الصفة التحليلية – إلا أنك تجد وجوهاً متعددة للتفسير الموضوعي فيه كذلك، تختلف في نسبة التركيز عليها ودقة معالجتها، وأهم هذه الوجوه:

أ -وجه اتصال السورة بما قبلها:

وهو أحد الأمور الأربعة التي يبدأ فيها تفسير السورة، وسبق الحديث عنها في النقطة [١]، يحاول الشيخ من خلاله تجلية الرابط بين موضوعات السورتين المتتاليتين، أو بين ختام الأولى وفاتحة التي تليها، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

فمن الأول: ما ورد في بداية سورة الحجر: "ومناسبتها لما قبلها من وجوه: ....، ويذكرها خمسة[٢].

ومن الثاني: ما جاء في مقدمة تفسير سورة الأنعام من أنّ مناسبتها لآخر سورة المائدة من وجوه، ذكر منها: "أن هذه افتتحت بالحمد وتلك اختتمت بفصل القضاء وبينهما تلازم كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٥][٣].

وما جاء في ربطه بين سورتي يس والصافات: "المشاكلة بين أولها وآخر سابقتها، ذلك أنه ذكر فيما قبلها قدرته تعالى على المعاد وإحياء الموتى، وعلل ذلك بأنه منشئهم وأنه إذا تعلقت إرادته بشيء كان، وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك وهو وحدانيته تعالى، إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة إيجاداً وإعداماً إلا إذا كان المريد واحداً..."[٤].

---

(١) ٢٩/٢٥.

(٢) ١٤/٣.

(٣) ٧ /٦٩.

(٤) ٢٣/٤١.

ب - تلخيص موضوعات السورة في آخرها

وقد سبق الحديث فيه والتمثيل عليه في النقطة (١١) ولكن الذي يضاف هنا أن هـذه الطريقـة التي اختطها الشيخ في عموم تفسيره تدل على استيعابه الموضوعي لما يفسر، واهتمامه بتقسيمه الآيـات القرآنية إلى موضوعات حيوية تشكل بمجموعها تعاليم هذا الكتاب العظيم.

ج -تقسيم السورة حسب موضوعاتها

في مقدمة تفسير السورة يحاول الشيخ أحياناً أن ينظر إلى موضوعاتها، فيقسم آياتها حسبها، ومن ذلك:

ما نراه في مقدمة سورة الحج: "وهي بحسب موضوعاتها أقسام ثلاثة:

١- البعث والدليل عليه وما يتبع ذلك.

٢- الحج والمسجد الحرام.

٣- أمور عامة كالقتال وهلاك الظالمين والاستدلال بنظام الدنيا على وجود الخالق، وضرب المثل بعجز الأصنام وعدم استطاعة خلق الذباب"[(١)].

وهذا يختلف عن تلخيص موضوعات السورة في آخرها فهو في آخر السورة يذكر الموضـوعات الجزئية التي تحتويها آياتها، ولكنه هنا يذكر المقاصد الرئيسة المستوحاة من هذه الآيات، يوضح ذلك مـا جاء في ختام سورة الحج نفسها من خلاصة لموضوعات السورة أوصلها إلى سبع عشرة نقطة، هـي في حقيقتها لا تخرج عن مقاصد السورة الرئيسة الثلاثة التي ذكرت قبل قليل[(٢)].

د - مناسبة الفاصلة القرآنية لمعنى الآية

وهي في غالبها إشارات موفقة إلى روعة اختيار الفاصلة القرآنية، وردت في مواطن متعددة مـن التفسير، يحاول فيها الشيخ أن يبين سبب مجيء الفاصلة على وجهها وتناسبها مع موضوع السياق.

ومن أمثلة ذلك: ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩].

يقول: "وإنما ختم هذه الآية بنفي الغفلة لأن صدهم عن الإسلام كان بضرب من المكر والكيـد ووجوه الحيل، وختم الآية السابقة بقوله "والله شهيد" لأن العمل الذي فيهـا وهـو الكفـر ظـاهر

---

(١) ١٧/٤١.

(٢) ١٧/١٥٠-١٥٢.

مشهود"[1].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، يقول: "وختم هذه الآية بالشكر إذ كان موضوعها الاهتداء بالعلم والعمل والإرشاد، والآية التي قبلها بالتذكر لمّا كان موضوعها الاعتبار والاستدلال"[2].

وعند قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، يقول: "وعبّر هنا بالعقل وفي خاتمة الآية السالفة بالتفكر من قبل أن الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية ظاهرة لا تحتاج إلا إلى العقل من غير تفكر ولا تأمّل، بل تدرك بالبديهة بخلاف الآثار السّفليّة من الزرع والنخيل والأعناب فهي تحتاج في دلالتها على وجود الصانع إلى فكر وتدبر ونظر شديد"[3].

هـ- حكمة تفريق الآيات في الموضوع الواحد

يتطرق الشيخ إلى ظاهرة انتشار الآيات ذات الموضوع الواحد في مواضع مختلفة من القرآن الكريم وعدم جمعها في مكان واحد، فتراه في المعنى الجملي للآيات (١١٧-١١٩) من سورة براءة يقول: "بعد أن استقصى سبحانه أحوال المتخلفين عن غزوة تبوك على النحو الذي سلف عاد مرة أخرى إلى الكلام في توبتهم، جرياً على سنة القرآن الكريم في تفريق الآيات في الموضوع الواحد لأنه أفعل في النفس، وأشد تأثيراً في القلب، وأجدى في تجديد الذكرى وأدنى ألاّ يسأم التالي لها في الصلاة وغيرها، إلى أنه مناسب لما قبله من النهي عن الاستغفار للمشركين، إذ كلّ مما يُتاب منه وكل عشرة يطلب منها الصفح والعفو"[4].

ويقول في موضع آخر في مقدمة سورة يونس: "ومن الحكمة في الفصل بين القوية التناسب[5] في المعاني أنه أدنى إلى تنشيط تالي القرآن، وأبعد به عن الملل، وأدعى له إلى التدبر، ولهذه الحكمة عينها تفرق مقاصد القرآن في السورة الواحدة كالعقائد والأحكام العملية والحكم الأدبية، والترغيب

---

(١) ١٣/٤.
(٢) ١٨٧/٨.
(٣) ٦٠/١٤.
(٤) ٣٩/١١.
(٥) صفة لموصوف محذوف هو "السور".

والترهيب والأمثال والقصص، والعمدة في كل ذلك التوقيف والسماع[1].

و- الربط بين الآيات المتتالية في السورة

وهو كثير ومنتشر في تفسير المراغي، فمن أمثلته: ما أورده الشيخ في الربط بين قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، والتي قبلها: "بعد أن ذكر حكمة العفو والرغبة فيه وذكر الوعيد على الغدر أرشد إلى بيان الحكمة في القصاص، إذ إن ذلك أدعى إلى ثبات الحكم في النفس وأدعى إلى الرغبة في العمل به فقال: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾"[2].

وفي الربط بين آية أصناف المحرمات والعفو فيها عند الاضطرار، وما بعدها مما يذكر فيه أصناف الطعام المحلل في سورة المائدة يقول: "ولما كان الأصل في الأشياء الحِلّ، لأن الله سخر لنا ما في السماوات والأرض جميعاً لننتفع به، والمحظور علينا هو ما يضرنا، ولكن الناس يتصدون أحياناً لفعل ما يضرهم وترك ما ينفعهم، كما كانت تفعل العرب إذ استباحت أكل الميتة والدّم، ونحوها من الخبائث، وحرّمت على نفسها بعض الطيبات من الأنعام بخرافات وأوهام باطلة كالبحيرة والسائبة ونحوهما... كانت الحاجة ماسّة إلى بيان ما يحله الله وما حرموه بعد بيان ما حرمه مما أحلوه، فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ ﴾ [المائدة: ٤][3]، وفي قوله سبحانه: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الإسراء: ٢]، يقول: "وقد جاءت هذه الآية عقب ذكر آية الإسراء بالنبي ﷺ من قبل أن موسى أوتي التوراة بمسيره إلى الطور كما أسرى محمد ﷺ إلى بيت المقدس"[4].

أهم العناوين التي اعتمدها المراغي في التفسير:

أما وقد تبينت أهم معالم هذا التفسير فقد آن للبحث أن يناقش أهم العناوين التي اعتمدها الشيخ وقامت عليها بنية تفسيره، وهي:

١- تفسير المفردات.

---

(١) ١١/٥٨.
(٢) ٢/٦٣.
(٣) ٦/٥٥ و٥٦.
(٤) ١٥/١٣.

٢- المعنى الجملي.

٣- الإيضاح.

أولاً: تفسير المفردات

اعتاد الشيخ المراغي أن يبيّن معاني المفردات الغامضة قبل الشروع في تفسير الآيات، حتى إذا تناول المعنى الكلّي كان من الواضح في نفس القارئ معنى كل مفردة فيه، فيسهل أن يوصله المعنى الجزئي لفهم كلّي للآية، وهذه ملحوظات حول منهجه في تفسير المفردات:

١. بادئ بدء فإن الشيخ يجعل تفسير المفردات أول عنوان بعد مجموعة الآيات المشتركة في سياق واحد، ويحاول أن يعرض لكل مفردة أو تركيب غامض دون تفريط في شيء، بل إنه ليعيد تفسير الكلمة الواحدة حين ورودها في أكثر من موضع، مثال ذلك ما ورد في تفسيره لكلمة تبارك في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]، حيث يقول: "فتبارك: أي تقدّس وتنزّه[1]، وكرر ذكر هذا المعنى في آخر آية من سورة الرحمن: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]، أي تقدّس وتنزّه ربّنا الذي أفاض على عباده نعمه".

٢. وحرصاً من الشيخ على الإلقاء بظلال المفردة كاملة في نفس القارئ فقد كان يلجأ أحياناً إلى الاستطراد فيذكر تحت عنوان – تفسير المفردات – ما يزيد على اختصاصه من إيضاح، تجد ذلك واضحاً عند تفسيره لمعنى "منذرين" من الآية (٢٩) الأحقاف: "منذرين: أي مخوفين لهم عواقب الضلال، روي أن هؤلاء الجن كانوا من جن نصّيبين من ديار بكر قريبة من الشام..."[2] وشرع بعد ذلك في بيان مكان اجتماعهم ومعلومات أخرى عنهم[3].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، يقول: "أصل الفتح إزالة الإغلاق، وفتح البلد: دخوله عنوة أو صلحاً، والمراد بالفتح هنا صلح الحديبية، وسمي هذا فتحاً لأنه كان سبباً لفتح مكة، قال الزهري: "لم يكن فتحاً أعظم من صلح الحديبية اختلط المسلمون بالمشركين وسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام من قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير كثر بهم سواد الإسلام، فما مضت تلك

---

(١) ٢٤/٨٧.

(٢) ٢٧/١٢٨.

(٣) ٢٦/٣٥.

السنون إلاّ والمسلمون جاءوا إلى مكة في عشرة آلاف ففتحوها، والخلاصة أنه كان من نتائج الصلح الأمور التالية..." وعدها[1].

وفي تفسيره لمعنى الحجرات يستطرد فيبيّن طبيعة حجرات نساء النبي ﷺ وعددها وشكلها وضمها إلى المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك وموقف الناس من ذلك[2].

٣. وإذا اقتضت طبيعة المفردة أن يعرض لأكثر من معنى من معانيها يخدم النص فإنه يقوم بتفصيل ذلك، ومن الأمثلة عليه:

- ما جاء في تفسيره لمعنى – الوحي – في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [النساء: ١٦٣]، قال: "الوحي لغة: الإيماء والإشارة... والإلهام الذي يقع في النفس... وما يكون غريزة دائمة... والإعلام في خفاء بأن تعلم إنساناً بأمر تخفيه على غيره.."[3].
- وقال في معنى (البأس) في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام: ٤٣]، "والبأس الشدة في الحرب، والعذاب الشديد، والشجاعة"[4].
- وفي معنى (الزعم) يقول: "الزعم بتثليث الزاي: القول المشكوك في صدقه، وقد يستعمل في معنى الكذب، حتى قال ابن عباس: كل موضع في كتاب الله ورد فيه (زعم) فهو كذب"[5].

٤. والأصل في تفسير المفردات أن تيسِّر فهم معنى الآية عند شرحها في الإيضاح، فمن الواجب إذاً أن تفسر الكلمة فيه كما فسّرت من قبل في المفردات، ولكنك تلحظ أن معنى المفردة قد يتغير لدى الشيخ عند شروعه في الإيضاح[6]، تجد ذلك في مواطن عدة، منها:

- ما جاء في معنى (صحاف) قال في تفسير المفردات: "والصحاف واحدها صحفة، وهي كالقصعة، قال الكسائي: أكبر أواني الأكل الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المئكلة"[7]، ثم قال

---

(١) ٢٦/٨٠-٨١.
(٢) ٢٦/١٢٣.
(٣) ٦/٢٠.
(٤) ٧/١٢٠.
(٥) ١٥/٦٢.
(٦) وهذه النقطة مشتركة بين تفسير المفردات والإيضاح ولكنها بالأول ألصق لأن المفردة هي موضوعها.
(٧) ٢٥/١٠٧.

قال في الإيضاح: يطاف عليهم بجفان من الذهب مترعة بألوان الأطعمة والحلوى"([1])، ففرقها هناك عن الجفنة وفسّرها هنا بها.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾ [المرسلات: ٣]، يفسر الناشرات في شرح المفردات بأنها الملائكة الناشرات لأجنحتهن عند نزولهن إلى الأرض، ثم يفسرها في الإيضاح على أنها الملائكة الذين ينشرون آثارهم في الأمم والنفوس الحية[2].

وقد يوحي لك اختلاف تفسيره للمفردة في الإيضاح عنه في معنى المفردات احتمال الآية للمعنيين، وأن هدفه من بيان الاختلاف الإيماء إلى هذه القضية، ولكن أمثلة هذه قليلة، منها:

ما ذكره في قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٣]، ففي شرح المفردات يقول: "أي في أي شيء أنت من أن تذكر لهم وقت حصولها وتبين لهم الزمان المعيّن لوقوعها"[3]، ويقول في الإيضاح: "أي ما هذه الذكرى الدائمة وما هذا الاهتمام الذي جعلك لا تألو جهداً في السؤال عنها"[4].

٥. أخيراً، فقد يرى الشيخ المراغي الاستغناء عن عنوان: تفسير المفردات، وما استعمله مكانه من تعبير[5]، ويلجأ إلى تضمين الإيضاح ما كان حقه أن يدرج تحت تفسير المفردات، تجد ذلك في أماكن متعددة من تفسيره: منها ما جاء في الآيات (٤٤-٤٦) من سورة براءة حيث بدأ بالمعنى الجملي وحين احتاج إلى تفسير بعض المفردات ذكره في الإيضاح[6]. ومثل ذلك في الآيات (٧٥-٨٢) من سورة الصافات[7]، والمجموعة الأولى من آيات سورة الفجر[8].

---

(١) ١٠٨/٢٥.

(٢) ١٧٨/٢٩ و ١٧٩.

(٣) ٣٥/٣٠.

(٤) ٣٦/٣٠.

(٥) فقد استعمل في الجزئين الأخيرين (التاسع والعشرين والثلاثين) عنوان "شرح المفردات" بدلاً من "تفسير المفردات" وجاء ذلك في تفسيره جميع سورهما.

(٦) ١٢٩/١٠.

(٧) ٦٧/٢٣.

(٨) ١٤٠/٣٠ و١٤١.

ثانياً: المعنى الجمْلي

سبقت الإشارة في بداية هذا المبحث إلى المعنى الجملي كما يريده الشيخ المراغي، وأنه من خلاله يريد أن يجمل معنى الآيات التي سيفصلها فيما بعد[1]، وهو بهذا يجعل مهمة هذا العنوان مقتصرة على ما ذكره، وفيما يلي التحقيق بدقة الأمر:

١- لابدّ أولاً من الإشارة إلى أن هذا المصطلح قد انفرد به الشيخ المراغي، فلست تجده في كتاب تفسير قبله ولا بعده، وللبحث في المعنى اللغوي للمعنى الجملي تجدر العناية بالصفة وهي كلمة (الجملي)، وقد سكّن الشيخ الميم فيها وترك الجيم دون تشكيل[2]، وهو يحتمل الفتح والضم – تبعاً للأصل الثلاثي للكلمة – فإن كانت بالفتح فهي نسبة إلى الجَمْل (بفتح الجيم وتسكين الميم)، وهو في اللغة: الجمع، يقول صاحب اللسان: وجَمَل الشيء: جمعه... وقد جَمَله يجمُلُه جمْلاً[3]...، وعلى هذا فإن مدى انطباقها على المعنى الذي يحدده المراغي في مقدمته (تقديم صورة مجملة) يظهر في العلاقة بين الإجمال والجمع، والحقيقة أن الجمع ليس بالضرورة إجمالاً.

وإذا كانت الجيم بالضم فهي نسبة إلى الجُملة (بضم الجيم وتسكين الميم) وكأنه يومئ بهذه النسبة – إن أرادها – إلى أن هذا العنوان يحصر في جملة قصيرة ما سيبسطه البحث في جمل طويلة في الإيضاح، ويقوّي هذا ما ذكره المراغي من أن المعنى الجملي هو تقديم صورة مجملة للآيات، ومع ذلك فإن استخدام هذه النسبة غير مباشرة في الدلالة على معنى الإجمال، ولو استخدم النسبة إلى إجمال – فجعله "المعنى الإجمالي"، لكان أكثر دقة ومباشرة في الدلالة على مراده، والله أعلم.

٢- لو قدر للقارئ أن يطّلع على طبيعة المعنى الجملي دون الرجوع إلى مقدمة الشيخ المراغي فإنه لا يتردد في تقرير أن أبرز مهمة لهذا العنوان من مبدأ التفسير إلى منتهاه هي الربط بين معاني الآيات المتتابعة، فلم يأل الشيخ جهداً في محاولة الوصول إلى رابط بين الآيات – تحت هذا العنوان – يجعل السورة لحمة واحدة، وهو ما سبقت إليه الإشارة عند الحديث عن الاتجاه الموضوعي في تفسير المراغي، وأمثلة ذلك كثيرة جداً منها:

---

(١) ١/١٦.

(٢) ١/١٦.

(٣) لسان العرب – ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ١١/١٢٧ دار صادر – بيروت.

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]: "المعنى الجملي: بعد أن أنحى باللائمة على اليهود في الآيات السالفة وبيّن ما حاق بهم من الذّلّ والمسكنة، وما نالهم من غضب الله جزاء ما اجترحوه من السيئات من كفر بآيات الله وقتل للنبيين وعصيان لأوامر الدين وترك لحدوده ومخالفة لشرائعه، ذكر هنا حال المستمسكين بحبل الدين المتين من كل أمّة وكل شعب ممن اهتدى بهدي نبي سابق وانتسب إلى شريعة من الشرائع الماضية، وصدق في الإيمان بالله واليوم الآخر وسطع على قلبه نور اليقين، وأرشد إلى أنهم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة"[(١)].

ويورد الشيخ ربطاً لطيفاً في المعنى الجملي بين شطري سورة العلق إذ يقول: "بعد أن ذكر سبحانه في مطلع السورة دلائل التوحيد الظاهرة، ومظاهر القدرة الباهرة وعلامات الحكمة، ودقة الصنع، وكان ذلك بحيث يبتعد عن العاقل ألاّ يلتفت إليه، أتبعه جلّ شأنه ببيان السبب الحقيقي في طغيان الإنسان وتكبره وتماديه، وهو حبه للدنيا واشتغاله بها وجعلها أكبر همه، وذلك يعمي قلبه ويجعله يغفل عن خالقه وما يجب له في عنقه من إجلال وتعظيم... الخ[(٢)].

وإنك لتلحظ أن الشيخ كثيراً ما يهمل (المعنى الجملي) عند بدايات السور، ذلك لأن أكبر همه أن يلفت القارئ للربط بين الآيات تحت هذا العنوان، وبداية السورة تفتتح عادة بمقدمة من محتوياتها الربط بين السورة وسابقتها، وفيه غنى عن المعنى الجملي[(٣)].

وقد يغفل ذكر المعنى الجملي في غير بدايات السور كما هو الحال عند تفسير الآية الخمسين من سورة الأحزاب[(٤)]، وأمثلة هذا قليلة.

٣- ومراد الشيخ من (المعنى الجملي)، وهو تقديم صورة مجملة للآيات يأتي في المرتبة الثانية مما يحتويه هذا العنوان فعلاً – بعد الربط بين معاني الآيات المتتابعة – وحقيقة هذا الإجمال أنه

---

(١) ١٣٣/١.

(٢) ٢٠١/٣٠.

(٣) انظر مقدمة سورة الفاتحة: ٢٩/١، ومقدمة الإسراء: ٤/١٥، ومقدمة العصر ٢٣٤/٣٠ وغيرها كثير.

(٤) ٢٢/٢٢.

إلقاء ضوء سريع على المفهوم الكلّي للآيات، وربما قام بتلخيص أفكارها في نقاط محدودة قبل الشروع في تحليلها في الإيضاح، ومن الأمثلة على ذلك:

ما احتواه المعنى الجملي لقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وما بعدها، إذ يقول: "كان الكلام في سابق الآيات في قصة أُحد وأهم أحداثها، ثم ذكرهم بوقعة بدر وما كتب لهم فيها من النصر على قلة عددهم وعُددهم، وفي هذه الآيات وما بعدها يذكرهم بسنن الله في خليقته، وأن من سار على نهجها أدى به ذلك إلى السعادة، ومن حاد عنها ضلّ وكانت عاقبته الشقاء والبوار، وأن الحق لابد أن ينتصر على الباطل مهما كانت له أول الأمر من صولة كما وعد الله على ألسنة رسله"[(١)].

- وفي قصة داود وسليمان عليهما السلام: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ ﴾ [الأنبياء: ٧٨] وما بعدها في المعنى الجملي: بعد أن ذكر ما أنعم الله به على نوح من النعم الجليلة ثنّى بذكر الإحسان العظيم الذي آتاه داود وسليمان عليهما السلام وهو قسمان:

(١) نِعَم مشتركة بينهما وبين غيرهما من النبيّين وهي العلم والفهم...

(٢) نِعَم خاصة بواحد دون الآخر:

أ- فأنعم على داود بتسخير الجبال والطير للتسبيح معه وتعليم صنعة الدروع للوقاية من أذى الحرب.

ب- وأنعم على سليمان بتسخير الريح العاصفة التي تجري بأمره وبتسخير الشياطين تغوص في البحار لتخرج له اللؤلؤ والمرجان وتعمل له أعمالاً أخرى غير ذلك"[(٢)].

- ومطلع سورة المنافقين يقول في المعنى الجملي: "وصف الله المنافقين بأوصاف هي منتهى الشناعة والقبح"، وعدها بأربع نقاط[(٣)].

٤- من الموضوعات التي تضمنها المعنى الجملي أسباب النزول، فقد كان الشيخ يذكرها بعد تلخيص المراد من الآيات، أو بعد ربطها بما قبلها، وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

---

(١) ٧٥/٤.

(٢) ٥٦/١٧-٥٧.

(٣) ٦/٨، ويلاحظ في المثالين السابقين بالإضافة إلى تلخيص مفهوم الآيات ربط لها بما سبقها أما المثال الثالث فهو بداية سورة اكتفى فيه بتلخيص مفهومها.

- ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾ [البقرة: ١٨٩] فقد ذكر في المعنى الجملي أنه "أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن أبي صالح عن ابن عباس أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنيمة قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لا يكون على حال، فنزلت الآية"[١].

- كذلك ما ورد في سبب نزول أول سورة النحل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ﴾ [النحل: ١] فقد اقتصر المعنى الجملي على ذكر سبب النزول وحسب[٢].

- وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] إلى آخر السورة ذكر الشيخ في المعنى الجملي أن الآيات نزلت في أبي بكر لما لمزه المشركون في إعتاق بلال بحجة أن له عليه يداً يربّها[٣].

يخلص البحث في نهاية الحديث عن المعنى الجملي إلى نقطتين مهمتين:

الأولى: عدم دقة العنوان في الدلالة على مقصد الشيخ المراغي.

الثانية: أنه ضمَّ تحته موضوعات أخرى إلى جانب (إجمال المعنى) الذي حصر الشيخ المراغي تعريف المعنى الجملي فيه.

ثالثاً: الإيضاح

وهنا يصل البحث إلى الحديث عن العنوان الذي يضم تحته تفسير الآيات كما يريده الشيخ المراغي، فقد كان تفسيره للمفردات ثم عرضه صورة مجملة لمعنى الآيات بمثابة مقدمة يدخل من خلالها إلى تحليل النص القرآني والتعرض لمراد الآيات كما يفهمها... وهذه أهم الملحوظات حول هذا العنوان:

يعتمد الشيخ في الإيضاح أسلوب التفسير التحليلي، فهو يأخذ الكلمة الواحدة، أو الجملة فيفصل القول فيها من جميع الجوانب التي يرى إيرادها، مثل معنى تلك الكلمة والاستشهاد عليه من القرآن أو السنة أو كلام العرب، وربما تطرق إلى شيء من إعرابها أو كلام أهل اللغة فيها، وما إلى ذلك

---

(١) ٢/٨٤.

(٢) ١٤/٥٢.

(٣) ٣٠/١٧٨.

من أمور... استمع إليه وهو يفسر الآية الأولى من سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، والحمد لغة: المدح على فعل صدر عن فاعله باختياره، سواء أسداه إلى الحامد أو إلى غيره، والمدح يعمّ هذا وغيره، فيقال: مدح المال ومدح الجبال ومدح الرياض، والثناء يستعمل في المدح والذم على السواء، فيقال: أثنى عليه شراً كما يقال: أثنى عليه خيراً، والشكر هو الاعتراف بالفضل إزاء نعمة صدرت من المشكور بالقلب أو باللسان أو باليد أو غيرها من الأعضاء كما قال شاعرهم:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

يريد أن يدي ولساني وقلبي لكم، فليس في القلب إلا نصحكم ومحبتكم ولا في اللسان إلا الثناء عليكم ومدحكم ولا في اليد وسائر الجوارح والأعضاء إلا مكافأتكم وخدمتكم، وورد في الأثر: "الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده"، وقد جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على من أسداها يشهرها بين الناس ويجعل صاحبها القدوة المؤتسى به، أما الشكر بالقلب فهو خفيّ قلّ من يعرفه، وكذلك بالجوارح فهو مبهم لا يستبين لكثير من الناس(1).

وهكذا فإن هذا المثال أنموذج من أسلوب الشيخ في التحليل والاستشهاد تستطيع أن ترى أمثلة كثيرة مثله في تفسيره.

١- وبتدبر أسلوب المراغي في الإيضاح ترى أنه يحاول تنظيم أفكاره وتقديمها بنقاط محددة مرتبة ما وسعه ذلك، يظهر هذا من الصفحات الأولى في التفسير. فها هو عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦- ٧] يقول عن الكافرين: "وسبب كفرهم:

(١) إما عناد للحق بعد معرفته.... الخ.

(٢) وإما إعراض عن معرفته واستكبار عن النظر فيه(2).

وهو ماض في هذا الأسلوب حتى آخر جزء في التفسير، ففي سورة النازعات يتحدث عن القسم في القرآن الكريم: "لو تدبرنا أمر القسم ببعض المخلوقات في الكتاب الكريم لوجدناه يرجع إلى أحد

(١) ٢٩/١ و٣٠.

(٢) ٤٧/١.

أمرين، ويذكرهما[١].

ثم تراه في السورة ذاتها بعد ذلك يرتب أقوال الكافرين في نقاط إذ يقول: "وقد حكى الله عنهم أقوالاً ثلاثة استبعدوا بها أمر البعث واستهزؤوا فيها بالرسول والمؤمنين..." ويعدها[٢].

٢- ومن معالم الإيضاح في تفسير المراغي أنه دأب على لمّ شتات الأفكار وحصرها وتلخيصها بعد بسطها وتحليلها، فكأنه يخشى أن يذهب التحليل بروعة مراد الآيات فيحاول تلخيص فحواها بقول "والخلاصة" أو "وقصارى ذلك" وغيرها، وقد مرّت الإشارة إلى ذلك والتمثيل له سابقاً.

ولعل حرصه على الخروج بخلاصة للكلام بعد الشرح كان أحد العوامل التي أطالت هذا التفسير وأخرجته بأجزائه العشرة، وهو ما سيتناوله البحث في الفصل التاسع إن شاء الله تعالى.

٣- وتحت هذا العنوان الرئيس (الإيضاح) كان الشيخ المراغي لا يجد بدّاً من بعض العناوين الجانبية، يكثر ذلك في قصص الأنبياء والتعرض للقضايا العلمية والملحوظات العامة.

- مثال ذلك ما جاء بعد تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، فقد بحث تحت عنوان جانبي افتراض (افتراء النبي ﷺ لهذا القرآن)[٣]، ثم أتبعه بعنوان جانبي آخر هو ما حوته قصص القرآن[٤]، كل ذلك جاء تحت العنوان الرئيس (الإيضاح).

- كذلك ما تجد الشيخ يبحثه في صدد تفسيره لقصة نوح في سورة هود عليهما السلام تحت عنوان: "تتمة لقصة نوح": هل كان الطوفان عاماً أو خاصاً؟[٥]

وأمثلة العناوين الجانبية في تفسير قصص القرآن كثيرة يضيق المقام بحصرها.

وفيما يتعلق بالقضايا العلمية تجد أمثلة على عناوين جانبية مقتضبة في سورة يس عند حديثه عن النظريات التي تتضمنها آيات السورة ويبينها بقوله الآية الأولى... الآية الثانية... وهكذا[٦].

---

(١) ٣٠/٢٣.

(٢) ٣٠/٢٥.

(٣) ١٢/١٣ ويلاحظ عدم دقة العنوان حيث كان يجب أن يقول: افتراض افتراء النبي ... تأدباً في العبارة.

(٤) ١٢/١٤.

(٥) ١٢/٤٤.

(٦) ٢٣/ ١١-١٣.

ومن الملحوظات العامة ما تجده تحت عنوان (تنبيه) عند تفسير الآية الأولى من ســـورة الطـــلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ .

وغالب العناوين الجانبية في تفسير المراغي هي من باب الاستطراد، وقد يكون ما تحتها مما لا ينبغي على المفسّر أن يبحثه، مثل مكان أصحاب الكهف[١]، وكثير من تفصيلات القصص القرآني[٢].

٤- ويتبع الإيضاح تلخيص محتويات السورة بعد الفراغ من تفسيرها وهو الحلقة الأخـــيرة مـــن حلقات تفسير الشيخ لكل سورة من سور القرآن الكريم، وقد سبق الحديث عن هذه الحلقة [٣] الـــتي يمكن اعتبارها تابعة للإيضاح ومكملة له على اعتبار محتوياتها تلخيصاً لما جاء فيه وصياغة كليّة لما تناوله بالتفصيل.

(١) ١٥/١٢٧.

(٢) وذلك مما لم يرد تفصيله في القرآن الكريم واعتمد في بيانه على الروايات التاريخية أو الأخبار الإســـرائيلية، وهـــذا واضح في تفسير المراغي حيثما وجد القصص القرآني انظر من سورة الكهف ١٥/١٧٢ و١٧٣ ومن سورة هـــود ١٢/٤٤ وغير ذلك كثير.

(٣) انظر نقطة (ب) في الاتجاه الموضوعي في تفسير المراغي ص ٣٦ في هذا الكتاب.

المبحث الثاني

مراجعه وموقفه من المفسرين

وضع الشيخ أحمد المراغي بين يدي القارئ – قبل البدء بتفسيره – قائمة بأهم مراجعه التي اعتمدها في التفسير، احتوت ثمانية عشر تفسيراً واثني عشر مرجعاً بعلوم متفرقة، وهي كما يلي:

١- تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ.

٢- تفسير الكشاف عن حقائق التتريل لأبي القاسم جار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

٣- حاشية شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي – المتوفى سنة ٧١٣هـ – على الكشاف[(١)].

٤- أنوار التتريل للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة ٦٩٢هـ.

٥- تفسير أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى في رأس المئة الخامسة[(٢)].

٦- تفسير البسيط للإمام أبي الحسن الواحدي النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨هـ.

٧- التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٤هـ.

٨- تفسير الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ.

٩- غرائب القرآن لنظام الدين الحسن بن محمد القمي.

١٠-تفسير الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤هـ.

١١-البحر المحيط لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ.

١٢-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ.

---

(١) مخطوط والصحيح أن سنة وفاته ٧٤٣، مكتبة صوفيا رقم ٣٦٨، المكتبة المحمدية بالجامع الزيواني بالموصل رقم ٩١: انظر معجم الدراسات القرآنية ص٢٨٩ د. ابتسام مرهون الصفار، جامعة بغداد سنة ٨٤. ويذكر أن اسم الحاشية فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: انظر فهرس مخطوطات خزانة القرويين محمد العابد الفاسي ص٧٩ – ٨٠ ط. دار الكتاب – الدار البيضاء ١٩٧٩م.

(٢) واسمه أسرار التأويل وغرة التتريل، مخطوط، نسخة محفوظة بالمتحف البريطاني رقم ٧٨٤، ٢٢٣ ورقة متوسطة الحجم، نسخة كتبت في القرن الحادي عشر بخط نسخ واضح بآخرها نقص، انظر معجم مصنفات القرآن الكريم د. علي شواخ إسحاق ص١١٢ ط. دار الرفاعي الرياض ١٩٨٤.

١٣-تفسير أبي مسلم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٥٩هـ[١].

١٤-تفسير القاضي أبي بكر الباقلاني[٢].

١٥-تفسير الخطيب الشربيني المسمّى بالسّراج المنير.

١٦-روح المعاني للعلاّمة الألوسي.

١٧-تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا وهو تفسير مقتبس من دروس الأستاذ الإمام محمد عبده، «وقد كان له فضل كبير فيما اقتبسناه أثناء تفسير الأجزاء التي فسرها[٣]».

١٨-تفسير الجواهر للأستاذ طنطاوي جوهري.

١٩-سيرة ابن هشام.

٢٠-شرح العلامة ابن حجر للبخاري[٤].

٢١-شرح العلامة العيني للبخاري[٥].

٢٢-لسان العرب لابن منظور الإفريقي المتوفى سنة ٧١١هـ.

٢٣-شرح القاموس للفيروز أبادي المتوفى سنة ٨١٦هـ.

٢٤-أساس البلاغة للزمخشري المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

٢٥-الأحاديث المختارة للضياء المقدسي.

٢٦-طبقات الشافعية لابن السبكي.

٢٧-الزواجر لابن حجر.

٢٨-أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية[٦].

---

(١) أخطأ الشيخ في سنة الوفاة، وأبو مسلم صاحب التفسير المعروف هو الأصفهاني المعتزلي الكاتب (ت٢٥٤) انظر معجم الدراسات القرآنية د. ابتسام الصفار ص٢٥٢، وتاريخ التراث العربي – فؤاد سزكين ص٢١٠، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة ١٩٧٠م.

(٢) لم أعثر للإمام الباقلاني على تفسير في المطبوع ولا في المخطوط، ولم ينبه له أحد ممن ذكروا آثار الرجل، ولعل الشيخ قد نقل بعض آراء الباقلاني في التفسير من بعض مؤلفاته.

(٣) يريد من هذه العبارة في قوله: ((فيما اقتبسناه أثناء تفسير الأجزاء...)) معنى: فيما اقتبسناه من تفسير الأجزاء. والعبارة كما هي، لا تستقيم لأن معناها أنه اقتبس منه أثناء كتابة محمد رشيد لتفسيره، وهذا غير مراد.

(٤) المسمى فتح الباري شرح صحيح البخاري.

(٥) المسمى عمدة القاري.

(٦) أخطأ الشيخ في نسبة هذا الكتاب، إذ نسبه لابن تيمية والصحيح أنه لابن قيم الجوزية.

٢٩-الإتقان في علوم القرآن للعلامة السيوطي.
٣٠-مقدمة ابن خلدون[١].

ولم يذكر الشيخ المراغي في قائمة مراجعه جميع الكتب التي نقل عنها أو استشهد بنصوص منها، فما جاء في قائمة المراجع هو باعتبار ما أفاده في تكوين بنية التفسير لا باعتبار ما نقله عن غيره وحسب.

ومن أمثلة الكتب التي نقل عنها ولم يذكرها في القائمة كتاب الملل والنحل للشهرستاني[٢]، والمصباح المنير للفيومي[٣]، وكتب: الروح[٤] والإغاثة الكبرى[٥] وإغاثة اللهفان[٦] لابن القيم، وتفسير وتفسير النسفي[٧] وتفسير القشيري[٨] وغيرها.

وقد يذكر اسم المؤلف دون الإشارة إلى الكتاب الذي نقل عنه – ربما لاعتقاده أنه معروف، كما يفعل كثيراً في تفسير المفردات، بقوله: قال الراغب[٩]، وفي نقله عن ابن العربي[١٠]، وعن أبي السعود[١١]، والقشيري[١٢]، والنسفي[١٣].

---

(١) انظر ١/٢١-٢٢.
(٢) انظر تفسير المراغي ٦/٢٧.
(٣) ويكثر ذلك في المفردات انظر ٨/١٨١.
(٤) ٩/١٠٤.
(٥) ١٣/٣٤.
(٦) ١٣/٤٩.
(٧) ١٩/٧٥.
(٨) ٢٩/١٤٩.
(٩) ٩/٨٨ وقد ذكر له في مراجعه تفسيراً، مرَّ أنه مخطوط.
(١٠) وهو يقصد تفسيره، ولكنه لا ينقل عبارته كما هي وإنما يختار منها جملاً متفرقة يضمها على غير ترتيب ابن العربي، وقد أقحم في كلام الرجل ما نقله عن سيبويه، دون أن يذكر ذلك، انظر ١٩/٣٧ وانظر أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي ٣/١٤٣٠ دار المعرفة بيروت ط (؟).
(١١) ١٩ /٥٧، وانظر تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ) ٦/٢٤١ دار إحياء التراث العربي – بيروت ط (؟).
(١٢) والمتبادر أنه يريد كتابة لطائف الإشارات ولكن المعنى المذكور في المراغي ٢٩/١٤٩ غير وارد في اللطائف.
(١٣) في تفسير الآيات (٨٣-٨٩) الشعراء انظر ١٩/٧٥، وهو يشير إلى التفسير المعروف، انظر النسفي ٣/٤٠٩ تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ط. مؤسسة الرسالة.

مراجعه حسب الأهمية:

يبحث هذا العنوان ترتيب المراجع التي اعتمدها المراغي حسب أهميتها عنده وإفادته منها[1]، فقد كان اقتباس الشيخ عن المراجع التي ذكرها في مقدمته بنسب مختلفة. صحيح أنها في مجملها أسهمت في تكوين بنية هذا التفسير، لكن ظهور أثر بعضها فيه كان يفوق غيره، وقد ترك الشيخ تحديد هذه القضية لاستقراء الباحثين، خلا ما ذكره في قائمة المراجع حين وصف تفسير المنار بأنه كان له فضل كبير فيما اقتبسه من أجزائه التي فسَّرها[2].

وهو بهذه الإشارة يؤكد حقيقة تأثره بمدرسة المنار، وما يراه لها عليه من فضل في تفسيره، لما تقدم، فإن تفسير المنار يأتي على رأس قائمة مراجع المراغي من حيث الأهمية والتأثير[3].

وفي المرتبة الثانية في قائمة مراجعه تأتي تفاسير الكشاف والطبري والرازي وابن كثير، اعتمد على الطبري وابن كثير في التفسير بالمأثور، واعتماده على الأول أكثر، واعتمد على الكشاف والرازي في التفسير بالرأي، واعتماده على الأول أكثر.

وقد أكثر من ذكر هذه التفاسير الأربعة ونقل عنها بالنص حيناً وبالمعنى حيناً آخر، فآراؤها مبثوثة في تفسيره واعتماده عليها ملحوظ.

وفي المرتبة الثالثة تأتي تفاسير أبي مسلم الأصفهاني والبحر المحيط والراغب الأصفهاني والألوسي والبيضاوي والبقاعي والقرطبي والجواهر لطنطاوي جوهري، ثم: حاشية شرف الدين علي الكشاف، والبسيط للنيسابوري والبغوي والقاضي الباقلاني والخطيب الشربيني.

وفي المرتبة الأخيرة تأتي المراجع المتفرقة التي حملت في قائمة مراجعه الأرقام (١٩ – ٣٠)[4]، وقد جاءت مساندة لبعض قضايا التفسير، فكتب الحديث كشرحي ابن حجر والعيني للبخاري اعتمد عليها في تفسير القرآن بالسنة، وتجد حشداً كبيراً من الأَحاديث الصحيحة في تفسيره كما سيأتي، وكتب العربية كلسان العرب وأساس البلاغة وشرح القاموس اعتمدها غالباً في تفسير المفردات أو في شرح بعض القضايا إذا اقتضى الأمر في الإيضاح، ومما اعتمده من الكتب المتفرقة كتاب (الإسلام والطب

---

(١) دون التوسع في أسلوب الاقتباس ومنهجه في ذلك ، فهذا ما ستوضحه العناوين الآتية.

(٢) ٢٢/١.

(٣) وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث التالي.

(٤) ٢٢/١.

الحديث لعبد العزيز باشا إسماعيل) وسيأتي ذكره في الحديث عن القضايا العلمية في الفصل السابع من هذا البحث إن شاء الله.

وفيما يلي أهم الملحوظات حول إفادته من مراجع التفسير:

١ - عزوه إلى المصادر

الناظر في تفسير المراغي يجد الشيخ يكثر من العزو إلى المصادر، ويعرض البحث لأمثلة من ذلك[(١)]:

ففي قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، قال: ويرى جمع من المفسرين منهم ابن كثير بسنده عن ابن جرير وعطاء أن هذا مثل لا قصة واقعة ضرب للعظة والتأمل فيما ينطوي عليه ليكون أفعل في النفس وأدعى إلى الزجر[(٢)].

وفي المعنى الجملي للآيات (١٥٢-١٥٥) من آل عمران يذكر الشيخ ما رواه ابن جرير الطبري عن السدي قال: لما برز رسول الله ﷺ إلى المشركين بأحد أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين، وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمنا...الخ[(٣)].

وفي قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٧٠] ، ينقل حرفياً عن الزمخشري: ((قال صاحب الكشاف: سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود))[(٤)].

وفي الحكم على حديث يروي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات: ٦]، ينقل الشيخ رأي ابن كثير والرازي فيه فيقول: "وقال ابن كثير: هذا من

---

(١) مع إرجاء الحديث عن علاقته بتفسير المنار إلى البحث الثالث من هذا الفصل.

(٢) ٢٠٨/٢ والصحيح: ابن جريج عن عطاء: انظر تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ٢٩٨/١، دار المعرفة بيروت ط (١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م).

(٣) ٩٩/٤ وانظر تفسير الطبري ١٨١/٤.

(٤) ١٢٩/١٦ وانظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ) ٥٤٥/٢، دار المعرفة للطبلعة والنشر، بيروت لبنان ط (؟).

أحسن ما روي في سبب نزول الآية، وقال الرازي: هذه الرواية ضعيفة لأن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لأنه توهم وظنَّ فأخطأ والمخطئ لا يُسمى فاسقاً، كيف والفاسق في أكثر المواضع يراد به من خرج عن ربقة الإيمان لقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠] (١).

ومن المرتبة الثالثة في مراجعه ما ينقله – مثلاً – عن البحر المحيط في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]، فقد ذكر الشيخ "أن هذه الآية من تتمة إقرار امرأة العزيز كما اختاره أبو حيان في البحر"(٢).

وينقل عن البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، فيقول: "قال البيضاوي في تفسيره: كان بين حيّين من العرب دماء في الجاهلية، وكان لأحدهما طول (فضل وشرف) على الآخر، فأقسموا لنقتلن الحرّ منكم بالعبد والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية وأمرهم أن يتبارؤوا (يتساووا)(٣).

وإلى جانب هذه النقولات الكثيرة التي يعزو فيها كلاً إلى مصدره(٤). نجد الشيخ ينقل أحياناً فلا يذكر المصدر، كقوله مثلاً: ويرى بعض المفسرين(٥)، ويأتي احياناً بأكثر من رأي في تفسير الآية دون أن

---

(١) ١٢٧/٢٦، وقد ذكر المراغي الآية خطأ فقال: ((إن الله لا يهدي القوم الفاسقين)) وانظر تفسير ابن كثير ٢٠٨/٤ – ٢٠٩ وتفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (٥٤٤هـ – ٦٠٤هـ) ١١٩/٢٨ دار الفكر للطباعة والتوزيع، ط٢ (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).

(٢) ٣/١٣ وانظر تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤هـ – ٧٥٤ هـ) ٣١٧/٥، دار الفكر ط٢ (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).

(٣) ٦٢/٢، وفي النص تصحيف في قوله: (فأمرهم أن يتبارؤوا) والصحيح (فأمرهم أن يتباوؤوا) انظر تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. ٢١٣/١–٢١٤. مؤسسة شعبان – بيروت ط(؟) والمعنى اللغوي يزيد ما ورد في البيضاوي، قال ابن منظور في لسان العرب (وباء دمه بوءاً وبواءاً: عد له، وباء فلان بفلان بواءً (ممدود) وأباءه وباوءه إذا قتل به وصار دمه بدمه) انظر (بوأ) ٣٧/١ منه.

(٤) ويشار هنا أن المراغي أخطأ مرتين في نسبه المصدر إلى صاحبه، فقد نسب إعلام الموقعين مرّة لابن تيمية في المراجع، وقد سبق بيانه، وأخرى في ٧٤/٣ فقد نسبه هناك لابن القيم والصحيح ابن قيم الجوزية.

(٥) ٨٦/١.

يذكر إن كان ذلك من فهمه أو أنه أفاد من غيره كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]، "أي إن أولئك الكاتمين لكتاب الله المتاجرين به ما يـأكلون في بطونهم من ثمنه إلا ما يكون سبباً لدخول النار وانتهاء مطامعهم بعذابها، وقد يكون المعنى: إنـه لا تمـلأ بطونهم إلا النّار أي لا يشبع جشعهم إلاّ النار التي يصيرون إليها..."[١].

ومثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، قـال: "والمـراد بالتقوى هنا تقوى الله المطلوبة في كل أمر، إذ العفو أكثر ثواباً وأجراً، أو المراد: تقوى الريبة بما يترتـب على الطلاق من التباغض إذ السماح بالمال يذهب هذا الأثر ويعيد الصفاء إلى القلوب"[٢].

٢ - طريقته في الاقتباس:

يلجأ الشيخ المراغي إلى أكثر من طريقة في اقتباسه آراء المفسرين واستشهاده بها، فتراه مرة يذكر قول المفسر حرفياً، ويشعرك بانتهاء ما اقتبس ليستأنف هو كلامه، ومرّة يشير إلى معنى ما ذكره أحـد المفسرين في تفسيره الآية أو الجملة، وفي حالة بينهما قد يذكر أغلب نصّ المفسر الذي يأخذ عنه ويغير بعض الكلمات أو يغير ترتيبها في الجملة.

فمن الأولى "الاقتباس الحرفي" ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩][٣].

ومنه ما جاء في تفسير قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء: ٣٥][٤].

ومن الثاني – الاقتباس بالمعنى – ما تراه في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧]، قال: "وأرضاً لم تطئوها وهي الأرضون التي سـيفتحها المسلمون حتى يوم القيامة قاله عكرمة واختاره أبو حيان"[٥]. وبالرجوع إلى البحر المحيط لأبي حيان فإن

---

(١) ٥٢/٢.
(٢) ١٩٨/٢.
(٣) ١١٦/٤ وانظر تفسير الرازي ٦٩/٥-٧٠.
(٤) ٥٧/١٩ وانظر تفسير أبي السعود ٢٤١/٦.
(٥) ١٥٠/٢١.

نصّه: "وأرضاً لم تطئوها، وعد صادق في فتح البلاد كالعراق والشام واليمن وسائر فتوح المسلمين"[1].

كذلك ما يثبته في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨]، قال: "وقد علمت أن المراد من هذا بيان طبيعة البشر وطبيعة الشيطان واستعدادهما واختيارهما في أعمالهما كما هو رأي بعض العلماء، وأيد ذلك الحافظ ابن كثير"[2]. وكان الشيخ المراغي قد استدل لهذه الآية بما ورد في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقد فهم الشيخ من كلام ابن كثير في تفسير هذه الآية والتي تليها ما نقله عنه، وتجد معناه في قول ابن كثير "أي مرجعكم كلكم إليّ فأجازيكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ"[3].

أما ما يقتبس من النصوص فيزيد عليه أو يقدم ويؤخر فمثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، قال: "قال صاحب الكشاف: هذا تمثيل لفعل الملائكة في قبض أرواح الظلمة بفعل الغريم الملحّ يبسط يده إلى من عليه الحق ليعنفه عليه في المطالبة ولا يمهله، ويقول له: أخرج ما لي عليك الساعة، ولا أريم – ولا أبرح – مكاني حتى أنزعه من أحداقك"[4]، وإذا رجعت إلى عبارة الكشاف وجدتها: "يبسطون إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم، أخرجوها إلينا من أجسادكم، وهذه عبارة عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال، وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلّط يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ويقول له: أخرج ما لي عليك الساعة، ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك"[5].

ومنه ما ينقص منه للاختصار كعزوه إلى تفسير الرازي عند قوله سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، قال: "وذكر

---

(١) البحر المحيط – أبو حيان – ٢٢٥/٧.
(٢) ١١٦/٨.
(٣) تفسير ابن كثير ٥٥١/٢.
(٤) ١٩٤/٧.
(٥) تفسير الكشاف للزمخشري ٣٦/٢.

الرازي في نفي التكذيب مع إثبات الجحود أربعة أوجه... وعدها[1]، وبالرجوع إلى تفسير الرازي تجد ما نقله المراغي، وفي كل وجه مما أثبته زيادة إيضاح وبيان، ترك الشيخ اقتباسها لحصول المقصود مما أورده[2].

مناقشة آراء المفسرين وموقفه من الخلافيات:

علمت أن الشيخ المراغي صنَّف تفسيره بداية لغير ذوي الاختصاص ، وبين في مقدمته كما مرَّ غير مرة أنه سيكون تفسيره سهل المنال كثير الفائدة للقارئ في الزمن القليل[3]، لذلك فلم يكن من منهجه أن يبرز خلاف المفسرين وآراءهم وأدلتهم عليها، بقدر ما كان يذكر من آرائهم ما يعين على فهم الآية وإيصال المراد بسهولة، وليس يعني هذا أن الشيخ لم يتطرق إلى الخلافيات قط، ولكنها إذا قورنت بما يقتبسه دون إظهار لها تبدو قليلة لا تشكل قاعدة في هذا التفسير.. على أي حال، لابد من التطرق لأسلوبه في عرض الآراء ومناقشتها والدفاع عما يتبناه منها.

قد ينقل الشيخ عن غيره حكاية اختلاف المفسرين دون التدخل في ترجيح أو إبداء رأي، مثاله ما ذكره في مطلع سورة براءة، فقد نقل عن ابن كثير اختلاف المفسرين في قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]، واكتفى بحكم ابن كثير ولم يعقب[4].

وقد يذكر الشيخ رأياً في تفسير الآية، ثم يورد عن بعض المفسرين ما يخالفه دون مناقشة أو ردّ، مثاله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: "أي إن علمه تعالى محيط بما يعلمون مما عبر عنه بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وبما لا يعلمون من شؤون سائر الكائنات، ويرى جمع من المفسرين منهم القفال والزمخشري أن الكلام تصوير لعظمته وتمثيل لكبريائه، ولا كرسي ولا قيام ولا قعود، وقد خاطبهم سبحانه في تعريف ذاته وصفاته، بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم"[5] ولم يناقش الشيخ هذا القول قبولاً أو رفضاً.

---

(١) ٧/١١٠-١١١.

(٢) انظر تفسير الرازي ٦/٢١٥-٢١٦.

(٣) انظر المقدمة ١/٣.

(٤) ١٠/٥٣، وانظر تفسير ابن كثير ٢/٣٣١.

(٥) ٣/ ١٤ وانظر الكشاف للزمخشري ١/٣٨٥ وقد ردَّ عليه الشيخ أحمد المنير في نفيه للكرسي والقيام والقعود رداً جميلاً، فينظر.

وأندر من الحالة السابقة أن يناقش المفسرين ويرد عليهم، ومثاله قوله تعالى في شأن عيسى عليه السلام ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[النساء: ١٥٨]، يقول: "ولكن المشهور بين جمهرة المفسرين وغيرهم أن الله تعالى رفعه بروحه وجسده إلى السماء بدليل حديث المعراج إذ إن النبي ﷺ رآه هو وابن خالته يحيى في السماء الثانية، وأنت ترى أنه لا دليل لهم في ذلك، إذ لو دلَّ هذا على ما يقولون لدلَّ على رفع يحيى وسائر من رآهم من الأنبياء في سائر السماوات ولا قائل بذلك"[(١)].

وقد ينقل عن غيره ترجيح رأي، ويوافق على هذا الترجيح في سياق كلامه، مثاله ما جاء في تفسيره للمنخنقة في أصناف المحرمات – آية ٣ المائدة – قال: "وقد روى ابن جرير في تفسيرها أقوالاً... وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: هي التي تنخنق إما من وثاقها أو بإدخال رأسها في الموضع الذي لا تقدر على التخلص منه فتنخنق حتى تموت، وهي بهذا المعنى من قبيل ما مات حتف أنفه من حيث إنه لم يمت بتذكية الإنسان له لأجل أكله فهي داخلة في الميتة"[(٢)].

وقد يذكر آراء المفسرين ثم يبين موقفه هو منها، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، قال: "وقد ذهب بعض مفسري السلف إلى أن الآية نزلت في أهل الكتاب إذ فرقوا دين إبراهيم وموسى وعيسى فجعلوه أدياناً مختلفة، وكل منها مذاهب تتعصب لها شيع مختلفة يتعادون ويتقاتلون فيه، وذهب بعض آخر إلى أنها نزلت في أهل البدع والفرق الإسلامية والمذاهب التي استحدثت فمزقت وحدة الامة، ولا مانع من الجمع بين الرأيين فإنه تعالى ذكر أهل الكتاب وشرعهم وأمر من استجاب لدعوة الإسلام بالوحدة وعدم التفرق كما تفرق من قبلهم"[(٣)].

وتراه حيناً آخر ينقل آراء المفسرين ويختار رأياً ليس في الآراء التي ينقلها، مثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣]، قال: "أي ولا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي، قاله الحسن، وقال الزهري: بالكبائر، وقال مقاتل: بالمنّ والأذى، وقال عطاء: بالنفاق والشرك، والأولى أن يراد به النهي عن كل سبب من الأسباب التي تكون سبباً في إبطال الأعمال كائناً ما كان بلا تخصيص

---

(١) ١٥/٦، وهذا الرأي مداره على إنكار نزول عيسى عليه السلام، وهو مذهب شيخه محمد عبده، وقد اقتبسه عن المنار: انظر المنار ١٨/٦.

(٢) ٤٩/٦ وانظر الطبري ٤٥/٦ وفيه كلام أتم مما ذكره المراغي.

(٣) ٨٣/٨ وقد أورد ابن كثير هذين الرأيين ولم يبين المراغي مصدرهما، انظر ابن كثير ١٩٦/٢.

بنوع معين"[1].

وتجده يورد أقوالاً يستبعدها، ليبين خطأها ويدحض وهمها، من ذلك ما ورد بعد تفسيره للآيات التي تحكي قضاء سيدنا داود بين الخصمين اللذين تسورا المحراب (٢١-٢٥) "ص"، قال: "وما جاء في بعض كتب التفسير من أن المراد بالنعاج النساء كما جاء كناية عن ذلك من كلام العرب كما قال: - كنعاج الفلا تعسّفن رملا - فذلك يتوقف على أن كلمة نعجة في اللغة العبرية تستعمل كناية عن المرأة كما هي في العربية، وتأباه كلمة (الخلطاء)، وكذلك ما يقال من أن الخصمين كانا ملكين فإن (تسوروا) تأباه لأن الملائكة أجسام نورانية لا أجسام كثيفة، فلا حاجة إلى التسور، إلى أن ما جاء من القصص عن ذكر السبب في مجيء الملكين مما يخلّ بمنصب النبوة، وفيه نسبة الكبائر إلى الأنبياء، فيجب علينا طرحه..."[2].

٤- خروجه عن إجماع المفسرين

خرج الشيخ عن المألوف من اتفاق المفسرين في عدد من المواضع وأغرب القول:

- من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: ١]، فذكر أن الآية لا تدل بظاهرها على أن المراد بالنفس آدم عليه السلام[3]. في حين اتفق المفسرون على القول بأن المراد منها آدم، وسيأتي تفصيل هذا ومناقشته في المبحث القادم[4].
- وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ [الصافات: ١٠]، أشار الشيخ المراغي إلى مخالفته لأقوال المفسرين[5]، حيث فسرها بقوله: "إلاّ من لاحت له بارقة من ذلك الجمال وعنّت له سانحة منه، فتخطفت بصيرته كالشهاب الثاقب فحنَّ إلى مثلها، وصبت نفسه

---

(١) ٧٥/٢٦، وذكر الشيخ سليمان الجمل طرفاً من هذه الأقوال: انظر حاشية الجمل على الجلالين المسماة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للشيخ سليمان الجمل ١٥٤/٤ دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ط(؟) واختار العموم النسفي انظر تفسيره ٤٥/٥.

(٢) ١١١/٢٢.

(٣) المصدر السابق ١٧٥/٤.

(٤) يأتي عند الحديث عن تأثره بمدرسة المنار.

(٥) ذكر ذلك في هامش ٤٤/٢٢، وأن الجمهور على أن الخطفة من الشيطان حين أراد أن يسترق السمع ويأخذ أخبار السماء، فأتبعه شهاب ثاقب فأحرقه ولم يستطع أخذ شيء منها وعصم الله وحيه وكتابه.

إلى أختها، وهام بذلك الملكوت العظيم باحثاً عن سرّ عظمته ومعرفة كنه جماله، وهم من اصطفاهم الله من عباده وآتاهم من لدنه وأيدهم بروح من عنده وهم أنبياؤه وأولياؤه الذين أنعم عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين[1].

وقد فسر الشيخ آيتين مشابهتين لآية الصافات هذه، الأولى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [١٦- ١٨]، والثانية في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[٩]، فقال في الأولى: "أي لكن من أراد اختطاف شيء من عالم الغيب مما يتحدث به الملائكة في الملأ الأعلى تبعه كوكب مشتعل ناراً ظاهراً للمبصرين فأحرقه ولم يصل إلى معرفة شيء مما يدبر في ملكوت السماوات"[2]. وقال في الثانية: "أي فمن يُرم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً رصداً لا يتخطاه ولا يتعداهُ بل يهلكه ويمحقه"[3].

وعند التحقيق تجد في الآيات الثلاث (آية الحجر وآية الصافات وآية الجن) تشابهاً واختلافاً، أما التشابه فمن جهات:

١- أن سياق الآيات الثلاث يتحدث عن جو السماء (ولقد جعلنا في السماء بروجاً، إنا زيّنا السماء الدنيا، وأنا لمسنا السماء).

٢- أن سياقها يتحدث عن علاقة الشياطين والجن بهذه السماء (وحفظناها من كل شيطان رجيم، وحفظاً من كل شيطان مارد، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع – على لسان الجن –).

٣- أن الآيات الثلاث تتحدث عن الشهاب الذي يلحق المسترقين (إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب، إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً).

وفيها جميعاً اختلاف في صفة الشهاب فهي على الترتيب: (شهاب مبين، شهاب ثاقب، شهاباً رصداً).

والمدقق فيما سبق، من تفسيره لآيتي الحجر والجن على شاكلة واحدة وخروجه عنها في آية

---

(١) ٢٢/٤٤.

(٢) ١٤/١٣-١٤.

(٣) ٢٩/٩٩.

الصافات، مع ما يلاحظ من تشابه في السياق وتقارب في المعنى، يستغرب هذا الإغراب في التأويل عند الشيخ المراغي، أما ما ورد من اختلاف صفات الشهاب فلا يعني اختلاف تفسير موضوع الآيات، فقد وصف الشهاب مرة بالوضوح وأخرى بالنفاذ وثالثة بالرصد والترقب وهي أوصاف يناسب اجتماعها معاً في موصوف واحد.

ثم إن خطف البصر لا يناسب المنحة الإلهية التي تحدث عنها الشيخ في تفسير آية الصافات، فالجمال لا يخطف البصر أو البصيرة، ولكنه يلفتها برفق، والحنان الذي عنه يتحدث لا يناسب ذكر الشهاب الذي ترتجف له الأوصال وتزوغ الأبصار برؤيته.

ولقد أغرق الشيخ المراغي في استخدام الإشارة في تفسير هذه الآية إلى حد لم يبلغه القشيري أحد أعلام هذا التفسي"[1]" فانظر.

هذه أهم النقاط التي وقف البحث من خلالها على أسلوب الشيخ في التعامل مع مراجعه، مع الإشارة إلى أن الحديث قد تركز في مراجعه من كتب التفسير، مع إيماءة سريعة في بداية المبحث لمراجعه من غيرها، وذلك لأن منهجه في العزو إلى المصادر المختلفة لا يكاد يختلف عنه في عزوه لكتب التفسير ولأن غيرها ليس على درجة من الأهمية والأثر في تفسير المراغي مثلها.

---

(١) يقول القشيري في هذه الآية: "كذلك إذا اغتنم الشيطان من الأولياء أن يلقي إليهم شيئاً من وساوسه تذكروا فإذا هم مبصرون، ورجعوا" ومع أنه تفسير غير مقبول كذلك، ولكنه لم يحوّل المراد من الشياطين إلى ملائكة كما فعل المراغي، انظر لطائف الإشارات لعبد الكريم القشيري ٥/٢٢٨ ط٢ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.

المبحث الثالث

أثر مدرسة المنار في هذا التفسير

سبقت الإشارة في المبحث الثاني من هذا الفصل إلى أن المراغي نوّه عند الحديث عن مراجعه بتفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا فقال: "وهو تفسير مقتبس من دروس الأستاذ محمد عبده، وقد كان له فضل كبير فيما اقتبسناه أثناء أجزاء هذا التفسير"(١)، ولم يكن تأثر الشيخ بالأستاذ محمد عبده مقتصراً على علاقته بتفسيره، ولكنه كان أحد تلاميذه الذين أخذوا عنه وأعجبوا بشخصيته(٢) حتى عدّ تفسيره واحداً من نتاج مدرسة الإمام في التفسير(٣)، وإنك لتجد هذه الحقيقة جلية منذ الصفحات الأولى لتفسير المراغي الذي وصف تفسيره بنفس ما وصف الشيخ محمد رشيد رضا تفسيره وهو أنه يريد الابتعاد عن مصطلحات الفنون(٤)، كما يريد أن يميل نحو السهولة(٥).

ويتناول البحث أثر مدرسة المنار في تفسير المراغي في ثلاثة مظاهر هي:

١- القضايا الاجتماعية والعلمية.

٢- قضايا العقيدة وموقفه فيها من حديث الآحاد.

٣- اقتباسه من المنار وإعجابه برأيه.

أولاً: القضايا الاجتماعية والعلمية

من أبرز ما ميّز مدرسة المنار في التفسير أنها قامت على أساس من الإصلاح الاجتماعي والتكيف مع التقدم العلمي والتقني الذي شهدته الفترة التي عاشها الشيخ محمد عبده، وقد سبقت الإشارة إلى دوره في هذا المجال، وظهر أثر ذلك في تفسير المنار لتلميذه الأستاذ محمد رشيد رضا الذي اقتبس

---

(١) ٢٢/١.

(٢) انظر الفصل الأول ص ١٣.

(٣) ذكره د. فضل عباس في الحديث عن المدرسة العقلية في التفسير فجعله خامس من تحدث عنهم من رجالاتها وعلى رأسهم محمد عبده: انظر اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا، رسالة دكتوراه ص٣٥٦ وما بعدها، وذكره د. فهد الرومي في منهج المدرسة العقلية في التفسير عند حديثه عن رجال هذه المدرسة، فجعله التاسع في قائمة على رأسها الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، انظر ص٢٠٨ منه، مؤسسة الرسالة ط٣ (١٤٠٧هـ).

(٤) ٣/١.

(٥) ٤/١، وانظر تفسير القرآن الكريم المسمى تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا: ١/١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط (١٩٧٢م).

تفسيره من محاضرات أستاذه.. وإنك لترى في تفسير المراغي صورة صادقة لما ينطق بـــه المنـــار فكـــراً وأسلوباً عند حديثه في القضايا الاجتماعية والعلمية، وتحسّ من كلمات الشيخ المراغـــي تـــأثراً كـــبيراً بالمنهج الإصلاحي لأستاذه الإمام وبمحاولته إخضاع القضايا العلمية والاجتماعية لهذا المنهج.. كل ذلك يطلعنا عليه المراغي من خلال تفسيره، ففي قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، يقول: "وما أشبه اليوم بالبارحة، فإنك الآن لترى أهل أوروبا يرســـلون الجيوش من القساوسة التي تفتح المدارس في بلاد الشرق ويقولون للمسلمين إن دينهم محشوٌّ بالخرافات والأكاذيب ويشككون فيه من تعلموا في تلك المدارس، ويصدق بعض غوغائهم تلك الأباطيل، حتى لقد قالوا إن هذا الدين لا يعيش في ظل العلم ولا يقبل الأفكار والآراء الراقية وهـــو والعلـــم عـــدوّان لا يجتمعان، ومما جعل لهم بعض المعذرة فيما يقولون حال المسلمين من الخمول وسوء الأحـــوال وقبـــيح المعتقدات والأعمال مما يجعلهم مضغة في أفواه الأمم المتمدينـــة ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، وإن الله لينسخ تلك الوساوس ويزيل هذه الأوهام، فقد تصدى كثير من ذوي المعرفـــة لدحض تلك المفتريات، فقام العالم الحكيم محمد عبده وألّف كتابه (الإسلام والنصرانية) ودفع كثيراً من مطاعن أولئك المبشرين، وقام بعده كثير من أهل الفقه بالدين فاحتذوا حذوه وواصلوا الليل بالنهار في دحض تلك الشبه، وإن الله ناصر دينه ولو كره الكافرون"[(١)].

وهكذا فإن الشيخ المراغي يقرر من خلال المثال السابق قضيتين:

الأولى: أن أعداء الإسلام يتهمونه بالقصور عن محاكاة التقدم العلمي المعاصر.

الثانية: أن الحال الاجتماعي السيء للمسلمين ساهم في الترويج لهذه التهمة، وعكس ذلك أثـــره السيء المتمثل بسوء الظن بالإسلام منهج حياة.

وهو إلى جانب هاتين القضيتين يقرر أن للشيخ محمد عبده أثراً في معالجتهما بالتوجـــه لإصـــلاح الأمة من جهة، وبالرَّد على أعدائها وتفنيد مزاعمهم من جهة أخرى.

ولقد حاول الشيخ المراغي أن يقتفي أثر شيخه في تفسيره، فلا تراه يجد مجالاً للتحدث في ظاهرة اجتماعية والتعرض لأبعادها إلا فعل، ولا يمرُّ بآية فيها إلماح لمسألة علمية من قريب أو بعيد إلا اجتهد في الاستشهاد لها من أقوال العلماء وآراء أهل الاختصاص، وهو ما وعد في مقدمته بالاجتهاد فيه.

---

(١) ١٢٩/١٧.

ثانياً: قضايا العقيدة وموقفه فيها من حديث الآحاد

سار الشيخ أحمد المراغي على نهج شيخه الإمام في رفضه لحديث الآحاد في العقائد، ويورد كلام الإمام بما يقرب من الحرفية دون الإشارة إلى اقتباسه في كثير من الأحيان، فمن ذلك رأي الشيخ محمد عبده في المراد بالرفع في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، فقد نقله المراغي بالإسهاب الذي ورد في تفسير المنار تقريباً، فذكر أن للعلماء في تأويل هذه الآية رأيين، وذكرهما، ثم خلص إلى القول: "وحديث الرفع والنزول آخر الزمان حديث آحاد يتعلق بأمر اعتقادي، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالدليل القاطع من قرآن أو حديث متواتر ولا يوجد هنا واحد منهما، أو أن المراد بنزوله وحكمه في الأرض غلبة روحه وسرّ رسالته على الناس بالأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها...".

ويستطرد الشيخ المراغي إلى أن يقول: "وأما الدجال فهو رمز الخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها، والقرآن أعظم هادٍ إلى الحكم والأسرار، وسنة الرسولﷺ مبينة لذلك"[(١)].

وبمزيد من الوضوح في رفض حديث الآحاد في العقائد يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، في صفة اللوح المحفوظ "وأما دعوى أنه جرم مخصوص في سماء معينة فمما لم يثبت عن المعصوم ﷺ بالتواتر فلا ينبغي أن يدخل في باب العقائد لدى المؤمنين"[(٢)].

وفي قصة نوح التي وردت في سورة هود عليهما السلام يبحث الشيخ تحت عنوان (تتمة لقصة نوح عليه السلام) سؤال: هل كان الطوفان عاماً أو خاصاً؟ فينقل عن الإمام أن ليس في القضية من الأحاديث ما يدل بالقطع على عموم رسالة نوح، وأن ما ورد من الأحاديث على فرض صحته فهو آحاد لا يوجب اليقين، والمطلوب في تقرير هذه الحقائق هو اليقين لا الظن، إذ عُدَّ اعتقادها من عقائد

---

(١) ١٦٩/٣-١٧٠، وهذه هي عبارات المنار في تفسير هذه الآية. انظر تفسير المنار ٢٦٠/٣-٢٦١.

(٢) ٤٥/٧، وتجد قريباً من هذه العباره فيما ينقله محمد رشيد رضا عن الإمام في تفسير سورة البروج: انظر المنار ٣٩٣/٧ وانظر تفسير البروج في تفسير جزء عمّ – محمد عبده ص٦٥، دار مكتبة الهلال، بيروت – لبنان ط (١٩٨٥م).

الدين[1].

وفي سورة الفلق ينقل نصاً مطولاً من كلام شيخه عن قصة سحر النبي ﷺ يقول: "قال الأستاذ الإمام ما خلاصته: وقد رووا ههنا أحاديث في أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم وأثر سحره فيه حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله أو يأتي شيئاً وهو لا يأتيه. إلى أن يقول: "والحديث على فرض صحته من أحاديث الآحاد التي لا يؤخذ بها في العقائد، وعصمة الأنبياء عقيدة لا يؤخذ فيها إلا باليقين..."[2].

والمستقرئ لتفسير المراغي يجد أنه نحا منحى تفسير المنار في جميع القضايا العقدية التي وردت بها أحاديث آحاد، فقد ردّها وعدها مما لا يعوّل عليه في اعتناق العقائد وأصول الدين، وتتلخص هذه القضايا في تفسيرهما بما يلي:

رفع المسيح إلى السماء ونزوله إلى الأرض آخر الزمان[3].

خروج الدجال[4].

ظهور المهدي[5].

حقيقة اللوح المحفوظ[6].

قصة سحر لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ [7].

معراجه عليه الصلاة والسلام من المسجد الأقصى إلى السماوات العلى بجسده[8].

ولهذه القضايا جميعاً مكانها من البحث في فصل (المسائل العقديّة في تفسيره) إن شاء الله تعالى، عند مناقشة الفكرة الأساس فيها جميعاً وهي حجيّة خبر الواحد في قضايا العقيدة.. ولا بأس من الإشارة مسبقاً إلى أنه في هذه القضايا جميعاً يعول على ما يفهمه من قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا

---

(١) ٤٤/١٢ وانظر تفسير المنار ٩٠/١٢.

(٢) ٢٦٨/٣٠، وانظر المنار ٥١/٧-٥٢ وتفسير جزء عم – محمد عبده ص١٨٥.

(٣) ومثالهما ما تقدم ١٦٩/٣-١٧٠.

(٤) ومثالهما ما تقدم ١٦٩/٣-١٧٠.

(٥) ١٣٥/٩.

(٦) تقدم ذكره، انظر ١٤٥/٧ وانظر المنار ٣٩٣/٧.

(٧) وردت في أكثر من موضع في التفسير انظر ٢٨/٩ و ٢٦٨/٣٠.

(٨) ١٥/٩ و ٢٧/٤٩.

﴿يَظُنُّونَ﴾[الجاثية: ٢٤]، وفيها يقول: "وفي الآية إشارة إلى أن القول بغير بيّنة ولا حجة لا ينبغي أن يعوّل عليه، وأن اتباع الظنّ منكر عند الله"[١]، ومما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦]، إذ يقول: "إن الظن لا يجعل صاحبه غنياً بعلم اليقين فيما يطلب فيه ذلك كالعقائد الدينية"[٢].

وفي قضايا العقيدة بشكل عام تبنى المراغي أسلوب الأستاذ الإمام وآراءه، فاقتبس منها واستدل لها، ويبدو ذلك واضحاً عند تحدثه عن طبيعة الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ﴾[٣] [البقرة: ٣٤]، وعند قصة خلق آدم ودخوله الجنة ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[٤] [البقرة: ٣٥]، وكيف تأثر بكلام الإمام في المنار واختاره رغم ما فيه من الإغراب. الإغراب.

ثالثاً: اقتباسه من المنار وإعجابه برأيه

تحدث المظهران السابقان عن تأثر المراغي بالإمام منهجياً، وهنا يجلي البحث مدى تأثره بالآراء الجزئية المختلفة المبثوثة في التفسير، كونه واحداً من أهم مراجعه، كما سبق.

يقتبس المراغي من كلام محمد عبده مرّة بالمعنى وأخرى باللفظ شأنه في الاقتباس من غيره.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلمسه القارئ من إعجاب المراغي برأي الإمام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، فبعد أن ذكر رأي مجاهد في أن المراد بالمسخ مسخ القلوب دون الصور، ورأي الجمهور القائل بمسخ الصور – على الحقيقة – أشار إلى أن الأستاذ الإمام يرجح رأي مجاهد فقال: (قال الأستاذ الإمام: والآية ليست نصّاً في رأي الجمهور، ولم يبق إلاّ النقل، ولو صحَّ لما كان في الآية عبرة ولا عظة للعصاة، لأنهم يعلمون بالمشاهدة أن الله لا يمسخ كل عاص فيخرجه من نوع الإنسان، إذ ليس ذلك من سننه في خلقه، وإنما العبرة الكبرى في العلم بأن من سنن الله في الذين خلوا من قبل أن من يفسق عن أمره ويتنكّب الصراط الذي شرعه له يترله عن مرتبة الإنسان،

---

(١) ١٥٩/٢٥.

(٢) ١٠٥/١١.

(٣) ٨٧/١.

(٤) انظر نقله عن الإمام ٩٤/١.

ويلحقه بعجماوات الحيوان، وسنة الله واحدة، فهو يعامل القرون الحاضرة بمثل ما عامل بـــه القـــرون الخالية)[1]، ويقوي المراغي هذا الرأي باختيار ابن كثير له[2].

والحقيقة أنه على فرض رجحان قول مجاهد على رأي الجمهور فإن ما احتج به الشيخ محمد عبده وتبعه فيه المراغي لا يسلّم، ففي قوله: (فسنة الله واحدة فهو يعامل القرون الحاضرة بمثـــل مـــا عامـــل القرون الخالية) يرد عليه أن من المعلوم تشديد الله تعالى التكاليف على بني إسرائيل بســـبب عنـــادهم واستكبارهم، وكون سنة الله الواحدة لا يتعارض مع إنزال العقوبة الرادعة في كل أمة بما يناسبها، فهذا في ذاته من سنة الله، ولا مانع عقلاً أن يمسخ الله صور اليهود بعد أن مسخوا هم قلوبهم وجوهرهم بمـــا تجبروا واستكبروا، فيكون في العقاب مشابهة للجرم، والله أعلم.

أما أن مسخ الصور لو صحّ لما كان فيه عبرة للعصاة لأنهم يعلمون أنـــه إن أصـــاب غيرهـــم لا يصيبهم فيجاب عنه أن عِلْمهم بأن هذا المسخ خاص وليس عامًّا فيه من الزجر لهم والتخويـــف، لأنـــه إشارة إلى أن من استحقوا هذا العقاب مع كونه ليس سنة في العصاة، هم أشنع العصاة ذنباً وأشـــدهم عتوّاً إلى درجة استحقوا معها الخروج بهم عن سنن العقاب المعهودة، فيكون في ذلك نوع من التبكيت لهم من جهة، والتأديب لمن هم على شاكلتهم من جهة أخرى.

وفي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، يقول المراغي: "وقال الأستاذ الإمام إن ظاهر الآية يأبى أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم لوجهين:

البحث العلمي والتاريخي المعارض لذلك.

إنه قال رجالاً كثيراً ونساء ولم يقل الرجال والنساء.

ولكن ليس في القرآن ما ينص على هذا الاعتقاد ولا ما أثبته إثباتاً قاطعـــاً لا يحتمـــل التأويـــل" أ.هـــ[3].

هذا مع أن محمد رشيد رضا يذكر أن جماهير الامة على أنَّ النفس المذكورة في الآية هي آدم عليه السلام، ولكنه يرى أنهم اخذوا هذا من المسلَّم عندهم لا من نصّ الآية أو ظاهرها، ومع ذلك فقـــد ردَّ على الوجهين اللذين دفع بهما الإمام محمد عبده تفسير الجمهور، قال في المنار: "على أنّه يمكن الجـــواب

---

(١) ١٣٩/١ وانظر المنار ٢٨٥/١

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٠٥/١-١٠٧.

(٣) ١٧٥/٤ وانظر المنار ٢٦٧/٤.

عن هذا الاخير – تنكير لفظ رجال ونساء – بأن التنكير لمن ولد منهما مباشرة، كأنه يقول: بث منهما كثيراً من الرجال والنساء، وبث من هؤلاء سائر الناس، وعن الأول بأنه لا يزال غير قطعي(١).

وترى في رأي الإمام محاولته التوفيق بين رأي الجمهور من جهة والبحث العلمي من جهة أخرى إذ ينقل عنه محمد رشيد أن الآية لا تنفي اعتقاد أن آدم هو أبو البشر، كما لا تثبته إثباتاً قطعياً(٢)، وهو بهذا يؤكد خشية الإمام من الاصطدام مع اتجاه يتخذه البحث العلمي حتى لا يؤخذ على القرآن وقوفه في وجه آراء علمية لا تزال بنص تلميذه غير قطعيّة.

ولا يكاد مفسر من السلف أو الخلف يخرج عن ان المراد بالنفس الواحدة في الآية آدم عليه السلام(٣). حتى إن الرازي يذكر إجماع المسلمين على ذلك(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[الزلزلة: ٥]، يقول المراغي: "أي أن ما يكون للأرض يومئذ إنما هو بأمر إلهي خاص فيقول لها: كوني خراباً كما قال لها حين بدء النشأة الأولى كوني أرضاً، وإنما سمى ذلك وحياً لأنه أتى على خلاف ما عُهد من نشأة الأرض، قاله الأستاذ الإمام"(٥).

وبعدها مباشرة يخلص إلى ما قاله الإمام في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]، ومفاده أن الحسنات لا تخلص الكافرين من النار بسبب كفرهم، وإن كانت تخفّف عنهم من العذاب الذي كان يرتقبهم من السيئات الأخرى(٦).

---

(١) انظر تفسير المنار ٢٦٦/٤-٢٦٧.

(٢) انظر المصدر السابق ٢٦٧/٤.

(٣) فقد ذهب إلى ذلك الإمام الطبري في تفسيره، انظر ١٥٠/٤، والزمخشري ٤٩٢/١، والنسفي ٢٨٧/١، وأبو حيان ١٥٤/٣، ويذكر أبو حيان في بحره أن قراءة ابن أبي عبلة (نفس واحد) على مراعاة المعنى إذ المراد به آدم، وذكر الألوسي في تفسيره – بعد أن نقل عن بعض الإمامية القول بوجود ثلاثين آدم بين كل آدم وآدم ألف سنة – أن مثل هذه الأخبار مما لا يراه أهل السنة، ونقل القول بكفر من يعتقد التعدد. انظر تفسير الألوسي المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت.١٢٧٠هـ): ١٨٠/٤ و١٨١ دار إحياء التراث العربي. بيروت – لبنان ط٤ (١٩٨٥م).

(٤) انظر تفسير الرازي ١٦٦/٥.

(٥) ٢١٩/٣٠، وانظر تفسير جزء عمّ لمحمد عبده ص١٤٤.

(٦) انظر ٢٢٢/٣٠ وانظر تفسير جزء عمّ للإمام ص١٤٥.

وفي قصة أصحاب الفيل، ينقل قول الإمام، يقول: "قال الأستاذ الإمام: فهذا الطاغية الـــذي أراد أن يهدم البيت أرسل الله عليه ما يوصل إليه مادة الجدري والحصبة فأهلكته وأهلكت قومـــه قبـــل أن يدخل مكة وهي نعمة من الله غمر بها أهل حرمه على وثنيتهم حفظاً لبيته حتى يرسل إليه من يحميه بقوة دينه ﷺ وإن كانت نقمة حلت بأعدائه أصحاب الفيل الذين أرادوا الاعتداء على البيت بـــدون جـــرم اجترمه ولا ذنب اقترفه أ.هـــ[1].

وفي سورة الماعون ينقل المراغي نصاً مطولاً مما قاله الإمام عن صفات المصلين الذين لا يأتون مـــن الأعمال إلاّ ما يرى الناس[2].

وهكذا فإن القارئ من خلال المظاهر الثلاثة التي توضح تأثر المراغي بأســـتاذه الإمـــام يســـتطيع الوقوف على أن الرجل كان يحاكي منهجه وفكره، على أنني أرجيء الكـــلام في كـــثير مـــن الأمثلـــة والشواهد لترد في الفصول المخصصة لموضوعاها، وعند اكتمال الصورة لن يجـــد القـــارئ جهـــداً في الوصول إلى أن تفسير المراغي هو تلخيص لكثير من وقفات المنار وأفكار صاحبه في الموضوعات العلمية والاجتماعية والعقدية والفقهية وغيرها[3]، وإذا كان كثير من تلاميذ الإمام قد كتبوا في التفسير فظهرت شخصياهم فيما كتبوا، فإن شدة إعجاب الشيخ المراغي بآراء أستاذه جعلته أشبه ما يكون بالراوية عنه في تفسير أسماه: تفسير المراغي.

---

(١) ٣٠/٢٤٤ وانظر تفسير جزء عم للإمام ص١٦٢.

(٢) ٣٠/٢٥٠-٢٥١ وتفسير جزء عمّ للإمام ص١٦٧-١٦٨.

(٣) أ. انظر اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا د. فضل عباس ٣٦٤ و ٣٦٥.وقد ذكر قريباً من هذا د. فهد الرومي في منهج المدرسة العقلية في التفسير ص٢١١.

الفصل الثالث

اللغة والبلاغة في تفسيره

تمهيد

١- اللغة العربيّة هي آلة تفسير كتاب الله تعالى، فهو الكتاب المنزّل على رسولنا محمد ﷺ بلغة عربية، كانت سر إعجازه ومبعث إكبار أهل اللغة لأسلوبه وطريقة سبكه... من هنا كان لابد لمن يتصدى لتفسير هذا الكتاب المعجز أن يبلغ من اللغة ناصيتها ومن البيان ذروته، حتى يشرف على معينها ويرقب أسرارها، فيخلص إلى فهم سليم وتذوق ممتع يشدّ القارئ إليه فيرقى به إلى معارج كمال القرآن، ويقوده برفق إلى فهم تراكيبه وألفاظه.

٢- أدرك الشيخ أحمد المراغي هذه الحقيقة، فلخّص اضطلاعه بها تحت عنوان: خدمتي للغة العربية والكتاب الكريم، وقال: "لقد سعدت بخدمتي للغة العربية نحو نصف قرن درساً وتدريساً وتأليفاً وتصنيفاً، أتتبع أساليبها في آي القرآن الحكيم وحديث رسول الله ﷺ والشعر والنثر، حتى وجدتني كلفاً بأن أتوج خدمتي لهذه اللغة بتفسير آي الذكر الحكيم مع تسميته تفسير المراغي[1].

٣- ولأن هذا التفسير رغم اضطلاع مؤلفه باللغة، لم يكتب لأهل الاختصاص فقد أضرب عن ذكر مصطلحات العلوم ومنها النحو والصرف والبلاغة على وجه الخصوص[2]، ولكن تطبيقات هذه المصطلحات متوافرة في تفسيره، ويأتي هذا الفصل لينبّه عليها ويشير إليها في محاولة للوصول إلى رؤية واضحة لأسلوب الشيخ المراغي في التعامل مع تطبيقات اللغة والبلاغة ورأيه في الخلافيات اللغوية من خلال هذه التطبيقات... فللرجل مذهبه في شيء من قضايا اللغة والبلاغة، لم يشأ أن يشرحها أو يخوض فيها، ولكنها تبدو واضحة في هذا التفسير تطبيقاً لا دراسة نظرية.

---

(١) ١/١٦.

(٢) ١/١٧.

المبحث الأول
اشتقاق الكلمة وأصولها وتصريفها

عني الشيخ المراغي بالنظر إلى المفردة القرآنية من الناحية الصرفية، يبحث في أصول الكلمات وكيفية اشتقاقها من هذه الأصول وأساليب تصريفها المختلفة.

وليس في معالجة الشيخ للمفردة القرآنية إظهار لخلاف أهل اللغة ولا وقوف عند مذاهبهم المختلفة، ولكن قصارى همه أن يجلي للقارئ طبيعة الكلمة ليأمن التباسها بغيرها، وهذا بيان لذلك:

١- أصل الكلمة واشتقاقها

بادئ بدء تكثر دراسة أصول الكلمات واشتقاقها من هذه الأصول عند تفسير الشيخ للمفردات، فهو في طريقه لإماطة اللثام عن معنى المفردة يزيد الأمر توضيحاً بتعريف القارئ بأصلها وكيفية الوصول إلى مبناها المستعمل في الآية، فتأخذ الكلمة في نفس القارئ عمقاً أكبر وفهماً أدق لمناسبة وقوعها من المعنى المراد في ذلك الموقع.

فهو عندما يعرض لكلمة (أميون) مثلاً، يفسرها بقوله: "وهو من لا يقرأ ولا يكتب" ويزيدك بعد ذلك بياناً لأصل هذه الكلمة فيقول: "أي إنه يكون كما ولدته أمه"(١).

وفي تفسيره لمعنى (الشقاق) يقول: "والشقاق هو العداء والتنازع، وهو أثر الاختلاف، وحقيقته أن يكون كل من الخصمين في شق، أي جانب، غير ما فيه الآخر"(٢).

وفي بيانه معنى إطلاق (المسيح) على سيدنا عيسى عليه السلام يقول: "وأطلق عليه المسيح وهو لقب الملك عندهم، لما مضت به تقاليدهم من مسح الكاهن كل من يتولى الملك بالدهن المقدس،

---

(١) ١/١٥٠، وهو بهذا الأسلوب قد نحا نحو كثير من المفسرين قبله، ولكنه يميل إلى الاختصار ففي كتب التفسير بسط لأصل اشتقاق كلمة "أمي" ولهم فيها أربعة آراء: (١) أنها نسبة الرجل إلى أمه حيث تختص بعدم القراءة والكتابة دون أبيه عند العرب (٢) نسبة لأمة العرب التي غالباً لم تكن تقرأ ولا تكتب (٣) نسبة لأم القرى فغالب أهلها لا يقرأون ولا يكتبون (٤) أنه نسبة إلى أمه حين ولدته فلم يكن يقرأ أو يكتب وهو رأي المراغي، انظر الطبري ١/٢٩٦، أبو السعود ١/١١٩، والجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٢/٥ دار الكتاب العربي ط٢ (١٣٧٢هـ-١٩٥٢م)، الألوسي ١/٣١ وحاشية الصاوي على الجلالين – أحمد الصاوي ١/٣٩ دار إحياء التراث العربي – بيروت ط (؟).

(٢) ٢/٥٠.

ويعبرون عن تولية الملك بالمسح، وعن الملك بالمسيح"(١).

وفي إطلاق التطيّر على التشاؤم يقول الشيخ: "وسرّ إطلاق التطير على التشاؤم أن العرب كانت تتوقع الخير والشرّ مما تراه من حركة الطير، فإذا طارت من جهة اليمين تيمنت بها ورجت الخير والبركة، وإذا طارت من جهة الشمال تشاءمت وتوقعت الشرّ، ويسمى الطائر الاول السانح والثاني البارح، وسموا الشؤم طيراً والتشاؤم تطيّراً"(٢).

وهو في الأمثلة السابقة لا يصرّح بأن مراده بيان أصل الكلمة واشتقاقها ولكنه في أماكن أخرى يومئ إلى ذلك:

ومثاله في قوله "والرّبا لغة: الزيادة، يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد، ومنه الرّابية لما علا من الأرض فزاد على ما حوله"(٣). وينقل عن ابن جرير أصل كلمة (المسوّمة) فيقول: "وقال ابن جرير: المسوّمة: المعلمة من السومة وهي العلامة"(٤). كذلك في كلمة (باؤوا) يقول: "أي لبثوا وحلّوا فيه، من المباءة وهي المكان ومنه تبوّأ فلان مترل كذا وبوأته إياه"(٥).

وهو في هذه الأمثلة الثلاثة يومئ إلى الأصل بقوله: من كذا أو منه كذا، كما رأيت. وقد صرح الشيخ بأن مراده بيان أصل الكلمة أو كيفية اشتقاقها، بشكل أوضح، ومثاله: ما ذكره عند تفسير معنى (القناطير المقنطرة) إذ يقول: "والعرب تريد بالقنطار المال الكثير، والمقنطرة مأخوذة منه على سبيل التوكيد، وقد جرت عادهم بأن يصفوا الشيء بما يشتق منه مبالغة كما قالوا ألوف مؤلفة وظل ظليل"(٦).

وفي تفسير كلمة (التحية) يقول: "والتحية مصدر حيّاه إذا قال له حيّاك الله وهي في الأصل الدعاء بالحياة، ثم صار اسماً لكل دعاء وثناء كقولهم انعم صباحاً وانعم مساءً..."(٧).

---

(١) ٣/١٥٤.

(٢) ٩/٤٠-٤١.

(٣) ٣/٥٤.

(٤) ٣/١١١ وانظر تفسير الطبري ٣/١٣٦: ولفظه: "المعلمة بالشيات الحسان.. لأن التسويم في كلام العرب هو الإعلام".

(٥) ٤/٢٨.

(٦) ٣/١١٠

(٧) ٥/١٠٨.

وفي معنى (حنفاء) يقول: "واحدهم حنيف، وهو في الأصل المائل المنحرف والمراد به المنحرف عن الزيغ إلى إسلام الوجه لله"[1]. وفي أصل (النميمة): "وأصل النميمة الحركة الخفيفة، ومنه أسكت الله نأمته أي ما ينمّ عليه من حركته"[2].

وبالجملة فقد حاول الشيخ المراغي تتبع المفردات في أصولها وطرق اشتقاقها ليظهر دقة القرآن في اختيار ألفاظه ومناسبة هذا الاختيار لمعنى الجملة القرآنية، وقد ورد ذلك لديه في أكثر من مئة وسبعة عشر موضعاً، اكتفى البحث بإيراد أمثلة منها تفي بالغرض، فقد رأيت كيف عرض الشيخ لأصول الكلمات مرّة دون الإشارة إلى أن مراده بيان أصلها، ومرّة بالإيماء إلى ذلك دون التصريح، وثالثة بالتصريح بذكر كلمة (الأصل) في عبارته.

٢- تصريف الكلمات

كما عني المراغي باشتقاق الكلمة عني بتصريفها من أصولها عند تفسير المفردات كذلك، وسار الشيخ في تصريف الكلمات على نحو واحد، بحيث يأتي بالكلمة ويتبعها تصريفها إلى أزمنة الفعل المختلفة، ويبين مصدرها إن كانت فعلاً أو فعلها إن كانت مصدراً، ولذا فلا بد من التمثيل ببعض الشواهد لتدلّ على أسلوب الشيخ في سائر المفردات التي تكلم في تصريفها، ومن ذلك:

- كلمة (حاق) قال: "حاق به المكروه يحيق حيقاً: أحاط به فلم يكن له منه مخلص"[3].
- (العيْلة): قال: "العيْلة: الفقر، يقال: عال الرجل يعيل عيلاً وعيْلةً إذا افتقر، فهو عائل، وأعال: كثر عياله، وهو يعول عيالاً كثيرين: أي يمونهم ويكفيهم أمر معاشهم"[4].
- ومن كلمة (الخاطئ) يذكر هذه التصريفات: "الخاطئ هو الذي يأتي بالخطيئة عمداً، والمخطئ من إذا أراد الصواب صار إلى غيره، والخِطْء: الذنب، وخطّأته: قلت له أخطأت"[5].
- (الوزر): "والوزر: الإثم والذنب، يقال منه وزر يزر فهو وازر وهي وازِرة، أي نفس وازِرة"[6].

---

(١) ٣٠/٢١٢.
(٢) ٢٩/٣١.
(٣) ٧/٨١.
(٤) ١٠/٨٩.
(٥) ١٣/٣١.
(٦) ١٥/٢١.

- (يُحبرون): "يسرون، يقال: حبره يحبُره – بالضم – حَبْراً وحُبوراً إذا سرّه سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه أثره"[1].
- (وسطن): "أي توسطن، تقول: وسطت القوم أسِطُهم وَسْطاً: إذا صرت في وسطهم"[2].

وغير هذه الامثلة كثير مما تجده في أجزاء هذا التفسير، وضع البحث بين يديك منها أمثلة من مواضع متفرقة، وغيرها لا يختلف أسلوب الشيخ فيها عمّا رأيت.

---

(١) ٢١/٣٢-٣٣.

(٢) ٣٠/٢٢٢.

المبحث الثاني

الترادف

بين يدي رأي الشيخ المراغي في وقوع الترادف في ألفاظ القرآن الكريم، لابدّ أولاً من التعريج على هذه القضية لمعرفة رأي أهل اللغة والتفسير فيها، ثم الوقوف على منهج المراغي وموقفه التطبيقي من هذه الآراء، فإن معرفة رأي الشيخ فيها لا تحسن قبل معرفة حقيقة هذه المسألة وثمرة الخلاف فيها، وهذا بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

- الترادف لغة: التتابع، قال الأصمعي: تعاونوا عليه وترادفوا بمعنى[1]. ويقول ابن منظور في اللسان: "الرّدف ما تبع الشيء، كل شيء تبع شيئاً فهو ردفه وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف"[2].
- واصطلاحاً: عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد[3]، كالإنسان والبشر[4].

وهكذا فإنك ترى العلاقة بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي للترادف تأتي من تتابع ألفاظ مختلفة وتعاونها في الدلالة على معنى واحد.

وقضية الترادف قضية خلافية بين العلماء، فهم بين المثبت والنافي، ولعل من أبرز نفاة الترادف في اللغة الإمام اللغوي أبا هلال العسكري صاحب الفروق اللغوية الذي وضح في مقدمته سبب رفضه الترادف في لغة العرب فقال: "الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن

---

(١) الصحاح – إسماعيل بن حماد الجوهري – ١٣٦٤/٤ط.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١١٤/٩.

(٣) التعريفات للإمام الشريف علي بن محمد الجرجاني ص٥٦ دار الكتب العلمية بيروت ط١ (١٩٨٣م).

(٤) هذه زيادة الإبهاج شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي، تأليف شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي ٢٣٨/١ ط١ دار الكتب العلمية بيروت (١٩٨٤م). وللإمام الشوكاني كلام فيما يخرج بهذه القيود من محترزات التعريف، يقول فيخرج عن هذا دلالة اللفظين على مسمى واحد لا باعتبار واحد بل باعتبار صفتين كالصارم والمهند أو باعتبار الصفة وصفة الصفة كالفصيح والناطق، انظر إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول – الإمام محمد بن علي الشوكاني ص١٨، دار الفكر.

الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرّة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كلاً منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه"[1].

ويشير أبو هلال إلى أنه ليس منفرداً فيما ذهب إليه، وأن المبرد خلص إلى هذا الرأي في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، ورآى أن عطف شرعة على منهاج لأن الشرعة لأول الشيء والمنهاج لمعظمه ويتسعه، واستشهد لذلك بقولهم شرع فلان في كذا إذا ابتدأه، وأنهج البلى في الثوب إذا اتسع فيه، قال: "ويعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر، أما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ، لا تقول جاءني زيد وأبو عبد الله إذا كان زيد هو أبو عبد الله"[2].

ويرد أبو هلال على أنصار الترادف قائلاً: "فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن كثير من النحويين واللغويين، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها، ولم يعرف السامعون تلك العلل والفروق، فظنوا ما ظنّوه من ذلك وتأولوا على العرب ما لا يجوز في الحكم، وقال المحققون من أهل العربية لا يجوز أن تختلف الحركتان في الكلمتين ومعناهما واحد... وإذا كان اختلاف الحركات يوجب اختلاف المعاني، فاختلاف المعاني أنفسها أولى أن يكون كذلك"[3].

وإذا كان هناك اعتراض على هذا المذهب بأنه يتناقض مع إطلاقات أهل اللغة إذا أرادوا تفسير كلامهم في مثل قولهم: اللب هو العقل، فإن نفاة الترادف لا يخالفون العرب في ذلك ولكنهم يذهبون إلى أن اللبّ وإن كان هو العقل فإنه يفيد خلاف ما يفيد قولك العقل، وجميع ما في هذا الباب مما يظن به الترادف كذلك[4]، وأنهم ذهبوا إلى هذا مصيراً منهم إلى أن الأصل عند تعدد الأسماء تعدد المسميات

---

(١) انظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ١٠-١١ دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) المرجع نفسه ص١١.

(٣) المرجع السابق ١٢-١٣.

(٤) الفروق اللغوية ١٣-١٤.

واختصاص كل اسم بمسمى غير مسمّى الآخر، ويجيب الآمدي عن هذا بأنه لا سبيل إلى إنكار الجواز العقلي، فإنه لا يمتنع عقلاً أن يضع واحد لفظين على مسمى واحد ثم يتفق الكل عليه، أو أن تضع إحدى القبيلتين أحد الإسمين على مسمى وتضع الأخرى له اسماً آخر من غير شعور كل قبيلة بوضع الأخرى، ثم يشيع الوضعان بعد ذلك، كيف وإن ذلك جائز بل واقع النظر إلى لغتين ضرورة، فكان جائزاً بالنظر إلى قبيلتين(١).

وممن يثبتون الترادف الإمام الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول، ويذكر أنه رأي جمهور أهل اللغة، وسبب إثباته كما يرى الشوكاني إما تعدد الوضع أو توسيع دائرة التعبير وتكثير وسائله، وهو المسمى عند أهل هذا الشأن بالافتنان أو تسهيل مجال النظم والنثر وأنواع البديع، فإنه قد يحصل أحد اللفظين المترادفين للقافية أو الوزن أو السجعة دون الآخر، وقد يحصل التجنيس والتقابل والمطابقة ونحو ذلك، بهذا دون هذا، وبهذا يندفع ما قاله المانعون لوقوع الترادف في اللغة من أنه لو وقع لعرى عن الفائدة لكفاية أحدهما فيكون الثاني من باب العبث، ويندفع ما قالوه أيضاً من أنه يكون من تحصيل الحاصل، ولم يأتوا بحجة مقبولة في مقابلة ما هو معلوم بالضرورة من وقوع الترادف في لغة العرب مثل الأسد والليث، والحنطة والقمح، والجلوس والقعود وهذا كثير جداً وإنكاره مباهته، وقولهم إن ما يظن به الترادف هو من اختلاف الذات والصفة كالإنسان والبشر، أو الصفات كالخمر لتغطية العقل، والعقار لعقره، أو لمعاقرته، أو اختلاف الحالة السابقة كالقعود من القيام والجلوس من الاضطجاع تكلف ظاهر وتعسف بحت، وهو وإن أمكن تكلف مثله في بعض المواد المترادفة، فإنه لا يمكن في أكثرها، يعلم هذا كل عالم بلغة العرب(٢).

والحقيقة أن كلام الشوكاني رحمه الله يجاب عليه من جهتين:

الأولى: في قوله إن التفريق في مثل القيام والجلوس تكلف ظاهر، والتكلف منفي هنا فكيف بوصفه بالظهور؟!! إن هذه الفروق الدقيقة بين هذه الألفاظ هي التي تضفي على اللغة جمالها ومرونتها، ومتى كان البحث عن أصل معنى المفردة تكلّفاً؟ ثم إن هذه الفروق موجودة في أصل الوضع، والمبين لها ليس مدّعياً أو مخترعاً حتى يرمى بالتكلف.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للإمام سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ١/٢٤-٢٥.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ص١٨ – ١٩.

الثانية: قوله إن أمكن تكلف مثل هذا في بعض الكلمات فلا يمكن في كلها، ويجاب عنـــه بـــأن التصانيف التي وردت فيها عشرات الكلمات بل مئاتها تظهر أن هذه الكثرة دالة على إمكـــان إيجـــاد فروق بين هذه الكلمات الظاهر ترادفها رغم كثرتها، وأن من أشهدهم على قوله من العلمـــاء يقـــرّون بذلك، وفي عبارته بعد ذلك ما يدل على أنّه يعلم مذهب أكابر العلماء في المسألة وإن كان لا يقـــرّهم عليه[1].

ولقد عني المفسرون وعلماء القرآن في بحث الترادف من جهة عنايتهم ببلاغة الكلمة في الجملـــة القرآنية، فذهب المحققون منهم إلى أن غير هذه الكلمة مما يظن تساويها معها في المعنى لا يمكن أن تقـــوم مقامها، وأنها في مكانها الذي وضعت فيه هي الأفصح والأدلّ على المعنى المراد.

ومن هنا فإن من نفى الترادف في اللغة ذهب إلى الاستشهاد بكثير من مفردات القرآن الكـــريم وحاول أن يأتي بما يظن به الترادف معها وبيّن وهم ذلك، بما وضحه من اختلاف في المعـــنى باســـتعمال العرب، وهذا هو الإمام الزركشي يقول: "فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف مـــا أمكن فإن للتركيب معنى غير الإفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخـــر في التركيب وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد"[2].

ويمثل الزركشي بأمثلة عديدة الألفاظ يظن بها الترادف وليست كذلك، وهي برغم كثرتها غيض من فيض الإمام أبي هلال في فروقه، وفيها من الرد على الإمام الشوكاني ممـــا لا يخفـــى، ومـــن أمثلـــة الزركشي الفرق بين كلمات: الخوف والخشية، الشحّ والبخل، الغبطة والمنافسة، الحسد والحقد، السبيل والطريق، جاء وأتى، عمل وفعل، التمام والكمال... وغيرها[3].

ويبين الشيخ الخطابي في (بيان إعجاز القرآن) أن اختيار الألفاظ في مواقعها المناسبة هـــو عمـــود بلاغة القرآن الكريم، أصغ إليه وهو يقول: "ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات[4] هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الـــذي إذا

---

(١) فهو يتبع كلامه في إثبات الترادف قوله: "فالعجب من نسبة المنع في الوقوع إلى مثل ثعلب وابن فارس مع توسعهما في هذا العلم". انظر إرشاد الفحول ص١٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٤/٧٨ دار المعرفة بيروت، وفي كلامه إشـــارة إلى ظهور أثر الفرق اللغوي فيما ظن به الترادف إذا وضع في جملة بخلاف ما يظهر عليه وهو مفرد عنها.

(٣) البرهان ٤/٧٨ – ٨٥.

(٤) في الإشارة بـــ (هذه) إعادة إلى عبارة سابقة وصف فيها بلاغة القرآن.

أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام وإما ذهاب الرونق الذي يكـــون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر ،والبخل والشحّ، وكالنعت والصفة، وكقولـــك اقعد واجلس، وبلى ونعم، وذلك وذاك، ومن وعن ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصـــفات، والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بهـــا عـــن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها..." ثم يشرع الإمام الخطابي في بيان الفروق بين المفردات التي ذكرها ويفصل القول في ذلك[1].

وبعد هذا البيان في حقيقة الترادف ومذاهب الناس فيه، يخلص البحث إلى الموقف التطبيقي للشـــيخ المراغي من هذه القضية في تفسيره:

١- إذا نظرت إلى تفسير المراغي للكلمات التالية: الامتراء،الريب،المريه،الارتياب.وجدت ما يلي:

- في سورة البقرة يقول:والامتراء:الشك[2].
- وفي سورة براءة يقول:والريبة من الريب وهو اضطراب النفس وتردد الوهم والحيرة[3].
- وفي سورة هود يقول:والمرية: الشك[4].
- وفيها ايضاً: والريب: الظن والشك، يقال رابني الشيء يريبني إذا جعلك شاكاً[5].
- ومرة ثالثة في سورة هود يقول عند قوله تعالى﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠] أي وإن المكذبين به منهم لفي شك موقع في الريب والاضراب فلا يدرون أحق هو أم باطـــل[6].
- وفي سورة العنكبوت يفسر الارتياب بالشك[7].
- وفي سورة غافر يقول :.مرتاب أي شاكّ في دينه[8].

---

(١) انظر ثلاث رسائل في الإعجاز: رسالة (إعجاز القرآن) لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ص٢٩-٣٦، تحقيق وتعليق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر ط٢(١٣٨٧هـ-١٩٦٨م).

(٢) ٢/٩.

(٣) ١١/٢٤

(٤) ١٢/١٧

(٥) ١٢/٥٣

(٦) ١٢/٨٩

(٧) ٢١/٣

(٨) ٢٤/٦٦

- وفي قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فُصِّلَت: ٤٥]، يقول : أي وإن قومك لفي شك من أمر القرآن موجب لقلقهم واضطرابهم[١].

- وأخيراًفإنه في سورة فصلت كذلك يفسر المرية بالشك[٢]

٢- يفرق الشيخ بين الحول والعام من جهة، والسنة من جهة أخرى فيقول: الحول والعام يقعان في صيفة وشتوة كاملتين، والسنة تبتدىء من أي يوم عددته من العام الى مثله[٣].

٣- عرض الشيخ لمعنى كل من الافتراء والفرية.

- ففي سورة آل عمران يقول:"الافتراء: الكذب"[٤]

وفي موضع أخر من السورة يفرق بين الافتراء والفرية بقوله:الفرية: الكذب، والافتراء: اختلاق الكذب[٥].

- وفي سورة النساء يبحث في أصل الافتراء فيقول :"يقال افترى الكذب،إذا اعتمله واختلقه،وأصله من الفري بمعنى القطع.[٦]

٤- في كلمتي نصيب وكفل ،يفسر النصيب بالحظ، والكفل بالنصيب ،ثم يفرق بينهما بأن النصيب في الآية سمي كفلاً لأنه نصيب مكفول للشافع إذْ هو أثر عمله،أو نصيب محدود لأنه على قدره[٧]

٥- في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥].

يأتي للفلق بمرادفين هما الفتق فيقول: الفلق والفرق والفتق: الشق[٨]

وهكذا فإن الناظر في النماذج المتقدمة يرى عدم تفريقة بين الحول والعام ،ومساوته بين الكذب والافتراء، وتعريفه الكفل بالنصيب ابتداء، وجمعه بين الانبجاس والانفجار [٩] في معنى واحد،

---

(١) ١٤٢/٢٤

(٢) ٩/٢٥.

(٣) ١٨٤/٢.

(٤) ١٢٦/٣.

(٥) ٤/٤.

(٦) نفسه ٥٧/٥.

(٧) ١٧٢/٩.

(٨) ١٩٦/٧.

(٩) أشار الى ذلك في ٨٨/٩.

وميله الى ذلك كله قد تخلله بعض التفريق بين شيء من هذه المفردات: - فهو يبين مثلاً-إن الريب أضطراب النفس وتردد الوهم والحيرة ، كما رأيت في المثال الأول، وهو بهذا يشير الى أن الريب شك يصحبه اضطراب، ففيه زيادة في المعنى على الشكّ.

- ورغم تفسيرة الافتراء بالكذب ،ألا أنه في موضع آخر يفسرّ إفتراء الكذب باعتماله واختلاقه،كما في النقطة الثالثة.

- وبعد تفسيره الكفل بالنصيب ،يفرق بينهما بإن الكفل نصيب مخصوص بكونه مكفولاً[1].

والذي تخلص اليه الدراسة أن الشيخ رحمه الله تردد بين القول بالترادف وبين إيجاد الفروق اللغوية بين المفردات التي يدل ظاهرها على اتحاد المعنى فمنهجه مضطرب في هذه القضية، يظهر ذلك من خلال تطبيقاته في التفسير.

ويتبع القول في الترادف قضية تناوب حروف الجر في اللغة وتطبيق ذلك في جمل القرآن الكريم، فالذين نفوا الترادف في الأسماء نفوه في الحروف الواردة في كتاب الله تعالى، يظهر ذلك من كلام الأمام الخطابي الذي مرّسابقا ومنه قوله:

"ذلك أن في الكلام الفاظاًمتقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة ...ومن وعن[2].

فهو بهذا ينفي تساوي هذين الحرفين في المعنى،ويفهم منه عدم جواز وقوع أحدهما موقع الآخر في الكلام ،وينحسب ذلك على سائر الحروف، فذكره لهذين الحرفين جاء على سبيل التمثيل لا الحصر، كما هو ظاهر.

ورأي أبي هلال العسكري في حروف الجر لا يختلف عن رأيه في ترادف الكلمات، فهو يقول: "وإذا كان اختلاف الحركات يوجب اختلاف المعاني ، فإختلاف المعاني أنفسها أولى أن يكون كذلك، ولهذا المعنى أيضاً، قال المحققون من أهل العربية إن حروف الجرّ لا تتعاقب حتى قال ابن دستويه: في جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة وإفساد الحكمة فيها والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس، قال أبو

---

(١) وقد أجاد الدكتور فضل عباس في مذكرته(المفردة القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز)في بسط عرضه لما يظن فيه الترادف من الاسماء وليس كذلك انظر من ١٠-٣٢ منها.

(٢) رسالة الخطابي ص ٢٩.

هلال: "وذلك أنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها، ووقع كل واحد منها بمعنى الآخر ، فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد، فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعاني[1]

والحقيقة أن الخلاف في تناوب حروف الجر ظهر بين المدرستين البصرية والكوفية، فالبصريون على امتناع التناوب والكوفيون على جوازه[2]، وقد ذهب الشيخ المراغي الى جواز تناوب حروف الجر، حيث سار في تفسيره بناء على هذا المذهب، وهذه أمثلة من ذلك:-

(١) في قوله تعالى﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]

يقول:"وإلى بمعنى مع: أي لا تأكلوا أموالهم مخلوطة ومضمومة إلى أموالكم [3]

(٢) وفي قوله تعالى ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] يقول:

ولوقتها أي في وقتها[4] فجعل اللام بمعنى في.

(٣) وفي قوله سبحانه﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]

قال:"من أمر الله: أي بأمر الله وإعانته"[5] فجعل من بمعنى الباء.

(٤) وفي قوله:﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٧٧]

يقول: "على القوم الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا"[6] فجعل من بمعنى على

---

(١) الفروق اللغوية لابي هلال العسكري ص ١٣.

(٢) أنظر الجنى الداني في حروف المعاني – الحسن بن قاسم المرادي تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ص ٤٦ المكتبة العربية حلب ط ١(١٩٧٣م)

(٣) ٤/١٧٩، وذكر الرازي هذا الوجه الدال على تناوب الحروف ،ووجهاً اخر يجعل إلى بمعناها الأصلي، وتقدير المعنى: ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم في الانفاق حتى لا تفرقوا بين أَموالكم وأَموالهم في حل الانتفاع بها" بتقدير فعل (تضموا) انظر الرازي ١٧٦/٥.

(٤) ١٢٧/٩ وأبو حيان يبقي على اللام في تفسير الآية كما هي انظر البحر المحيط ٤٣٤/٤

(٥) ٧٤/١٣ وذكر الرازي ثلاثة تأويلات لمعنى (من أمر الله) الأول أنه على التقديم والتاخير، والتقدير: له معقبات من أمر الله يحفظونه، الثاني : أن فيه إضماراً: أي ذلك الحفظ من أمر الله مما أمر الله به فحذف الاسم وابقى خبره كما يكتب على الكيس ألفان والمراد الذي ألفان، والثالث: أن كلمته من معناها الباء والتقدير:يحفظونه بأمر الله وإعانته، انظر تفسير الرازي ٢١/١٠ .

(٦) ٥٥/١٧ يقول الزمخشري في الكشاف : وهو نصر الذي مطاوعه انتصر ، وسمعت هذلياًيدعو على سارق: اللهم انصرهم منه أي إجعلهم منتصرين منه" انظر الكشاف ٥٧٩/٢ .

(٥) وفي قوله تعالى﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]

يقول: "بها أي منها"[١] فجعل الباء بمعنى من .

(٦) وأخيراً ففي قوله تعالى﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤- ٥]

يقول: "وتقول وأوحيت له وأوحيت إليه ، ووحى له ووحى إليه"[٢]

فجعل اللام بمعنى إلى. وهكذا فإنك تجد الرجل ينيب حروف الجر بعضها عن بعض في جميع الأمثلة السابقة، ولإنصاف الشيخ تحسن الإشارة الى أنه وجه حرف الجر في قوله تعالى :﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ [النساء: ٥]

ولم ينب عن حرف (في) غيره ،فقال:"وقال فيها ولم يقل منها إشارة إلى أن الأموال تتخذ مكاناًللرزق بالتجارة فيها فتكون النفقات من الأرباح لا من صلب المال حتى لا يأكلها الإنفاق[٣]

ولا تكاد ترى غير هذا المثال في تفسير الشيخ يوجه فيه الحرف ولا ينيب عنه غيره في معناه.

---

(١) انظر ٢٩- ١٦٣ ، واختار البيضاوي في تفسيره أن يكون متعلق الجار والمجرور محذوفا وقدّره بقوله:"متلذذاً أو ممزوجاً بها"،ثم ذكر أقوالا أخرى مثل أن تكون الباء مزيدة أو بمعنى من . انظر البيضاوي ٥- ١٦٤.

(٢) انظر ٣٠- ٢١٨ ،نقل الرازي هذا الرأي عن أبي عبيدة ثم فسر ّاللام بمعناها الاصلي فقال :لما قال " لعله إنما قال (لها) أي فعلنا ذلك لأجلها حتى تتوسل الارض بذلك الى التشفي من العصاة"انظر تفسير الرازي ١٦- ٦٠ وقد أشار الشيخ الشوكاني الى هذا المعنى وإن لم يرجحه،انظر فتح القدير الجامع بين في الرواية الدراية من علم التفسير – محمد ابن على بن محمد الشوكاني ٥- ٤٧٩ ط . دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت .

(٣) انظر ١٨٧/٤ وأشار إلى هذا المعنى الألوسي في تفسيره ٢٠٣/٤ والبيضاوي ٦٨/٢.

المبحث الثالث

الاستشهاد بالشعر والأمثال

أولاً: الاستشهاد بالشعر

عني الشيخ المراغي كثيراً بالاستشهاد بالشعر في تفسيره، تبعاً لكثير من المفسرين قبله[1]، فهو لا يدع مجالاً يمكن فيه الاستشهاد ببيت أو أبيات من الشعر إلا استغله، ويدرس البحث منهج الشيخ في الاستشهاد بالشعر من خلال ما يلي:

١- أغراض استشهاده بالشعر:

أ- الاستدلال لمعنى كلمة أو تركيب لغوي:

يمكن القول إن هذا أوسع مجال استخدم فيه الشيخ المراغي الشعر، ليستدل من كلام العرب على معنى الكلمة أو التركيب اللغوي، ويكتفي البحث بإيراد بعض الأمثلة لتكون مؤشراً على أسلوبه في غيرها:

- ففي معنى سِنة يقول: "السِّنة: النعاس، وهو فتور يسبق النوم، قال عدي بن الرقاع:

وسنان أقصده النعاس فرنقت   في عينه سنة وليس بنائم"[2]

- وفي معنى الفتح يقول: "وفتح الله عليه: نصره، وفتح الحاكم بينهم، وما أحسن فتاحته: أي حكمه، كما قال شاعرهم:

ألا أبلغ بني وهب رسولاً   بأني عن فتاحتهم غنيُّ"[3]

- وفي معنى الاعتزال: "والاعتزال والتعزل: تجنب الشيء بالبدن وبالقلب كما قال:

يا بيت عاتكة التي اتعزل   حذر العدا وبه الفؤاد موكل"[1]

---

(١) وأقربهم إليه ممن تأثر بهم: الأستاذ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا في تفسير المنار.

(٢) ١١/٣، وانظر ديوان عدي بن الرقاع عن أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني تحقيق د.نوري القيسي ود. حاتم صالح صالح ص١٢٢ ط المجمع العلمي العراقي (١٩٨٧م).

(٣) ٧/٩ واستشهد صاحب اللسان ببيت للأشعر الجعفي يشبهه. انظر لسان العرب ٥٣٨/٢.

- وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] قال: "غراماً أي هلاكاً لازماً قال الأعشى:

إن يعاقب يكن غراماً وإن يُعطِ جزيلاً فإنه لا يبالي[٢]"

– وفي معنى (العارض): "العارض: السحاب الذي يعرض في أفق السماء، قال الأعشى:

يا من رأى عارضاً قد بتُّ أرمقه كأنما البرق في حافاته الشعل[٣]

- ولبيان معنى إطلاق (كرتين) يقول: "والمراد بقوله كرتين التكثير كقوله:

لوعُد قبر وقبر كان أكرمهم بيتاً وأبعدهم من منزل الذّام"[٤]

ويستشهد لمعنى (كبد) بأنه المشقة والتعب بقول لبيد يرثي أخاه:

يا عين هل رأيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد[٥]

ب- استخدام الشعر للوعظ والاعتبار:

من خلال تفسير الشيخ للآيات الكريمة يحاول كثيراً اعتماد أسلوب الوعظ المباشر وغير المباشر، ويستعين بالشعر في هذه المهمة، ما جاء منه لإيقاظ القلوب، ولفت الانتباه، وشدّ السامع إلى حقيقة من حقائق النفس أو الكون أو الغيب، تجد ذلك في أماكن كثيرة من التفسير، وهذه أمثلة منها:

- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا

---

(١) ١٢٤/١٥، هذا البيت للأحوص الأنصاري يمدح عمر بن عبد العزيز الأموي، وهو أول بيت في القصيدة، انظر خزانة الأدب ولباب لسان العرب – عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ٤٩/٢ ط مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٢) انظر ٣٥/١٠ وانظر ديوان الأعشى من قصيدة (خير من ألف ألف) يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمي ص١٦٧، ط دار صادر بيروت (١٩٦٠م) .

(٣) ٢٨/٢٦ وانظر ديوان الأعشى من قصيدة (ودع هريرة) قالها ليزيد بن مسهر ص١٤٤-١٤٦.

(٤) ٧/٢٩ وهو أحد شواهد خزانة الأدب وقائله عصام بن عبيد الزماني، ونسبه الجاحظ لهمام الرقاشي، انظر خزانة الأدب ٤٧٣/٧ والبيان والتبيين للجاحظ ٨٥/٤ شرح وتحقيق عبد السلام هارون ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٦١م).

(٥) ١٥٥/٣٠ وفي ديوان لبيد: يا عين هلاّ بكيت أربد إذ: قمنا وقام الخصوم في كبد، انظر شرح ديوان لبيد ابن ربيعة حققه وقدم له د. إحسان عباس، ط التراث العربي الكويت (١٩٦٢م).

﴿طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٦٨ - ١٦٩] بين الشيخ أن أمثال هؤلاء الكفار لا ينبغي أن ينتظروا غير هذا المصير، وأكد هذا المعنى بقول الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ[(١)]

وأنت ترى أن هذا نوع من الوعظ يلمس القلب ويحرك العقل، فيوقظ صاحبه على حقيقة يدل عمله أنه غافل عنها.

- يؤكد الشيخ أن ندم الكافرين حين يقفون على حقيقة كفرهم في الآخرة لا ينفع إذ فات الأوان، ويورد هذه الفكرة بقول الشاعر:

ندم البغاة ولات ساعة مندم ... والبغي مرتع مبتغيه وخيم[(٢)]

- وفي محاولة لتنبيه القارئ إلى نعم الله العظيمة في الكون يسرد الشيخ ثلاثة أبيات من الشعر، فيقول: "ولله در القائل:

تأمل في رياض الورد وانظر ... إلى آثار ما صنع المليكُ

عيون من لجين شاخصات ... على أهدابها ذهب سبيكُ

على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريكُ[(٣)]

- وفي سورة البروج التي افتتحت بآية الله تعالى في السماء ذات البروج واليوم الموعود والشاهد والمشهود يقول الشيخ: "والشاهد والمشهود: جميع ما خلق الله في هذا العالم فإن كل ما خلقه شاهد على جليل قدرته وعظيم حكمته[(٤)]: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[(٥)].

---

(١) ٢٦/٦، هذا البيت من قصيدة لأبي العتاهية مطلعها:

لا تأمن من الموت في طرف وفي نفس ... وإن تمنعت بالحجاب والحرس

انظر ديوان أبو العتاهية ص٢٣٠ دار صادر بيروت (١٩٨٠م).

(٢) ٧٩/١٦ وهو أحد شواهد ابن عقيل في شرحه للألفية قيل أنه لرجل من طيء، ولم يسموه وقال العيني قائله محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي ويقال: مهلهل بن مالك الكناني، انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣٢٠/١ ط (٢٠) دار التراث القاهرة (١٩٨٠م).

(٣) ٤٨/١٩.

(٤) وهذا غير التفسير المشهور عند المفسرين، انظر أقوال ابن كثير فيها ٤٩٢/٤ والزمخشري ٢٣٧/٤ وغيرهما.

(٥) ٢٩/٣٠، هذا البيت والذي قبله (تأمل في رياض الورد ...) من الأبيات المشهورة على الألسنة وتنسب لأبي نواس، ولم أجدها.

وأخيراً، ففي قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الأحزاب: ١٦].

- يقول الشيخ: "أي وإن نفعكم الفرار بأن دفع عنكم الموت فمتعتم، لم يكن ذلك التمتع إلا قليلاً، فإن أيام الحياة وإن طالت قصيرة، فعمر تأكله الدقائق قليل، وإن كثر، ولله در أحمد شوقي إذ يقول:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوانِ[1]

والناظر فيما يستدل به الشيخ المراغي من الشعر للوعظ والدعوة إلى التفكر يرى فيه مسحة رقيقة قريبة من روح التصوّف[2] ليس فيها جفاء ولا غلظة، تأخذ القلب وتحرك اللّب.

ج- تلخيص فكرة أو تأكيدها:

يلجأ الشيخ المراغي للشعر بعد الإسهاب في بيان فكرة أو معنى كلّي مبيِّن للآية التي يفسرها، فيعبر عن هذا المعنى مختصراً بشيء من الشعر يؤكده ويقويه، وهو كذلك كثير في هذا التفسير، ومن أمثلته:

- ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

فيذكر الشيخ أن من واجب الرجال وقد فضلوا على النساء درجة أن يعلموهن ما يلزم المجتمع من خدمتهن، ويؤكد هذا المعنى فيقول: "لله در حافظ إبراهيم حين يقول:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت جيلاً طيّب الأعراق"[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن

---

(١) ١٤٣/٢١ وهو من قصيدة في رثاء مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطني ت١٩٠٨م ومطلعها:

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مأتم والداني

انظر الشوقيات ١٥٨/٣ ط. دار الكتاب العربي بيروت..

(٢) والشيخ لم يكن من أهل التصوف، فقد حمل على المتصوفة في تفسيره كثيراً، وسيأتي تفصيل ذلك في فصل (العقيدة) إن شاء الله تعالى.

(٣) ١٦٨/٢، وانظر ديوان حافظ إبراهيم من قصيدة له بعنوان مدرسة البنات ببور سعيد ص٢٨٢ ط.دار العودة بيروت.

مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥].

يذكر الشيخ فوائد الصبر عن نكاح الإماء، وأن الحرة في البيت أجدر بحمل المسؤولية والتربية ويؤكد هذا بقول الشاعر:

إذا لم يكن في منزل المرء حرة تدبّره ضاعت مصالح داره[1]

وفي قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

- يقول: "ثم أرشده – أي أرشد نبيه – ﷺ إلى الترياق النافع في مخالطة الناس، وهو إحسان المرء إلى من يسيء إليه حتى تعود عداوته صداقة وعنته ليناً.. ويلخص هذا المعنى بقول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان[2]

د- في قضايا النحو والصرف

من أغراض الشعر في تفسير المراغي خدمة بعض قضايا النحو والصرف، وهذا إذا ما قيس بما قبله من الأغراض بدا قليلاً، وذلك لما سبقت الإشارة إليه من أن الرجل لم يحرص على الخوض في قضايا المصطلحات النحوية والصرفية وغيرها، وإنما عالج منها ما يتطلبه المقام بشكل مقتضب، ومن أمثلة ذلك:

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٨٨]

---

(١) ١٢/٥، وقد تضمنت عبارة الشيخ تشبيه الأمة بالحيوان، وفي هذا مزيد امتهان لها ولا تخفى عناية الشارع بتسمية العبيد والإماء إخواناً لأسيادهم. ينسب هذا البيت للإمام علي كرم الله وجهه، انظر عيون الأخبار بلفظ:
إذا لم يكن في منزل المرء حرّة مدبرة ضاعت مروءة داره،عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري مجلد ٤، ١٦٤/١٠ ط. دار الكتاب العربي (١٩٢٥م).

(٢) ٥٢/١٨، هذا البيت لأبي الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي من قصيدة (عنوان الحِكَم) انظر ديوان أبي الفتح الفتح صنفه وجمع زياداته د. محمد مرسي الخولي ص٣١٤ دار الأندلس ط١ (١٩٨٠م).

- ، قال: "والفاء زائدة[1] كما في قوله: فإذا هلكت فبعد ذلك فاجزعي"[2].

- وللدلالة على تصريف المصدر (رجم) إلى قولهم حديث مرجوم ومرجم يستشهد الشيخ بقول الشاعر:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجّم[3]

- وفي جمع (لبّ) يقول الشيخ: "وقد يجمع على ألبّ ويفك إدغامه في ضرورة الشعر، قال الكميت:

إليكم ذوي آل النبي تطلّعت ... نوازع من قلبي ظماءٌ وألبب[4]

هـ- في قضايا البلاغة:

ومن أغراض الشعر في هذا التفسير الاستشهاد لبعض قضايا البلاغة، يلمس فيها مسائلها سريعاً: ومنها:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

- إذ يبين الشيخ أن بسط اليدين كناية عن سعة الجود، لأن الجواد السخي إذا أراد أن يبالغ في العطاء جهد استطاعته يعطي بكلتا يديه، ويستشهد على ذلك بقول الأعشى:

يداك يدا جود فكفّ مفيدة ... وكفّ إذا ما ضنّ بالزاد تنفق[5]

---

(١) وقد ذهب إلى القول بهذا المعنى في الآية غير واحد من المفسرين منهم: أبو حيان في البحر ١٣٨/٣ وأبو السعود ١٢٦/٢ وتبع المراغي في ذلك صاحب تفسير المنار واستشهد بصدر البيت نفسه، انظر تفسير المنار ٢٤٢/٤.

(٢) ١٥٩/٤، والبيت من شواهد ابن عقيل وصدره: لا تجزعي إن منفس هلكته، وهو للنمر بن تولب، انظر شرح ابن ابن عقيل ١٣٣/٢.

(٣) ١٣٠/١٥، والبيت من معلقة زهير بن أبي سلمى، انظر ديوان زهير صنعة الأعلم الشمنتري تحقيق د. فخر الدين الدين قبارة ص١٨ دار القلم العربي بحلب (١٩٧٣م) ط٢.

(٤) ١١٣/٢٣، والبيت من قصيدة مطلعها:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ... ولا لعباً مني وذو الشوق يلعب

انظر الروضة المختارة شرح قصائد الهاشميات للكميت بن زيد الأسدي والقصائد العلويات السبع لابن أبي الحديد المعتزلي ص٢٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ط (١٩٧٢م).

(٥) ١٥٣/٦، وقد وردت في الديوان "يدا صدق" من قصيدة الندى والحلق يمدح بها المحلّق بن خنثم بن شداد بن ربيعة ربيعة انظر ديوان الأعشى ص١٢١.

وعند قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧]، يشير الشيخ المراغي إلى أن إسناد أفعال العقلاء إلى غيرهم مما كثر في كلام العرب، ويستدل لذلك بقول الشاعر:

يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل[(١)]

وفي قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٩]، يقول: "... وفي هذا إيماء إلى أن الحي كشعلة النار والميت كالرماد، وإلى هذا يشير لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع[(٢)]

وهو بهذا يستشهد لضرب من ضروب التشبيه كما ترى... ومن التشبيه ما يذكره في قوله سبحانه ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]: "ولا شك أن هذا التشبيه على ما تعهده العرب إذا وصفت الأشياء بالعظم، ألا تراهم يشبهون الناقة العظيمة بالقصر كما قال:

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن[(٣)] لأقضي حاجة المتلوم[(٤)]

وللدلالة على أن التكرار هو أسلوب عربي فصيح، بالإشارة إلى ما جاء في سورة الرحمن من قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [١٨] مكرراً، يقول الشيخ: "وقد جاء مثل هذا في أشعارهم، انظر قول مهلهل يرثي أخاه كليباً:

على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما ضيم جيران المجير

على أن ليس عدلاً من كليب إذا خرجت مخبأه الخدور[(٥)]

---

(١) ٤/١٦، هذا البيت أورده الطبري، وقال: "كقول العرب..."، والقرطبي ولم ينسبه لقائل، وهو فيهما بلفظ (ويرغب (ويرغب عن دماء بني عقيل) انظر تفسير الطبري ١٨٦/١٥ والقرطبي ٢٦/١١.

(٢) ٤/٢٣ انظر ديوان لبيد، من قصيدة في رثاء أخيه أربد ص١٦٩.

(٣) الفدن: القصر المشيد والجمع أفدان انظر لسان العرب ٣٢١/١٣.

(٤) ١٨٥/٢٩، وهو بيت من معلقة عنترة بن شداد، انظر ديوانه ص١٥، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر – – بيروت (١٩٥٨م).

(٥) ويورد الشيخ بيتين آخرين بالصدر نفسه ويذكر أنها جميعاً من قصيدة طويلة بالصدر نفسه كذلك، انظر ١٠٩/٢٧ ١٠٩/٢٧ – ١١٠، واسم مهلهل عدي بن ربيعة، وإنما قيل المهلهل لأنه أول من هلهل الشعر أي أرقه، انظر العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي بتحقيق سعيد العريان ٦١/٦، وانظر الأبيات ص٦٥ من الجزء نفسه.

هذه أبرز أغراض الشعر في تفسير المراغي، ولو أراد المرء أن يعرض لكل ما جاء منها فيه لطال به المقام وخشي على القارئ الملل، وفيما تقدم غناء، وفكرة واضحة عن هذه الأغراض إن شاء الله تعالى.

٢- أسلوبه في الاستشهاد بالشعر:

ويتضح أسلوب الشيخ في نقاط أهمها:

أ. نسبة الأبيات لأصحابها.

ب. التكرار.

ج. ذكر البيت أو جزء منه.

د. الاختصار والإطالة.

هـ. ستشهاده بالقديم والحديث.

أ- نسبة الأبيات لأصحابها:

مما سبق التمثيل به في بيان أغراض الشعر في تفسير المراغي يتبين للقارئ أن الشيخ كان يتردد بين نسبة الأبيات لصاحبها وبين أن يرسل القول فيها بقوله: كما قال شاعرهم، ولله در القائل، وغير ذلك، فمن الأول النسبة إلى حافظ إبراهيم[(١)] وأحمد شوقي[(٢)] والأعشى[(٣)] والبوصيري[(٤)] وغيرهم.

ومن الثاني قوله: ورحم الله القائل:

إذا لم تكن في منزل المرء حرة ... تدبره ضاعت مصالح داره [(٥)]

وقوله: ولله در القائل:

تأمل في رياض الورد وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك [(٦)]

وغيرها.

---

(١) ١٦٨/٢.

(٢) ١٤٣/٢١.

(٣) ٣٥/١٠.

(٤) فقد أورد بيتاً من بردته، انظر ١٥٦/٢٥.

(٥) ١٢/٥ وسبقت الإشارة إليه..

(٦) ٤٨/١٩.

ب- التكرار

لجأ الشيخ إلى تكرار الاستشهاد بالبيت الواحد في غير موضع، خصوصاً إذا كان للوعظ والتأمل، فكان يسوق البيت كلما وجد المعنى مناسباً لإيراده من ذلك: البيت القائل:

ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم [1]

وقول الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[2]

وقول الشاعر:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم[3]

وقول الشاعر:

صاح هل رأيت أو سمعت براعٍ رد في الضرع ما قرى في الحلاب[4]

وقول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان[5]

وغيرها.

ج- ذكر البيت أو جزء منه:

يذكر الشيخ بيت الشعر كاملاً في الغالب، ولكنه أحياناً يكتفي بأحد شطريه إذا كان وجه الاستدلال فيه، من ذلك:

تحية بينهم ضرب وجيع[6]

---

(١) وقد ورد في المراغي ٦٩/١٧، ٤١/٢٢، ١٠١/٢٤، ٣٩/١٨، ٧٩/١٦، وهو من أكثر الأبيات تكراراً.

(٢) سبق ذكره، وقد ورد في المراغي ٥١/١٥، ٥٢/٣٤.

(٣) ١٠٩/٩، وهو أحد أبيات البردة للبوصيري تحقيق محمد سعيد كيلاني ص١٩٧ ط١ مصطفى البابي الحلبي (١٩٥٥م). وقد ورد في المراغي ١٠٩/٩، ٥٢/١١، ١٤٧/٢٢.

(٤) ذكره صاحب اللسان في معنى الحلاب ولم ينسبه، انظر لسان العرب ٣٢٩/١ وقد ورد في المراغي ١٦٤/١٣، ٥٢/١٦.

(٥) وقد ورد في المراغي ٩٣/١٤ و ٥٢/١٨.

(٦) ١٦٠/٢٥، قال محقق تفسير القرطبي هذا عجز البيت لمعدي كرب صدره: وخيل قد دلفت لها بخيل، انظر ٢٠/٢ ٢٠/٢ من تفسير القرطبي.

قد مات قوم وهم في الناس أحياء[1]

فإذا هلكت فبعد ذلك فاجزعي[2]... وهكذا.

د- الاختصار والإطالة:

غالب ما يستشهد به الشيخ من الشعر بيت في الموضع الواحد وأقل من ذلك أن يستشهد بالبيتين في الموضع، ويندر أن يزيد على ذلك، ومن هذا النادر ما سبقت الإشارة إليه من شعر المهلهل[3].

وأغلب ما استرسل فيه من الشعر وعظي.

هـ- استشهاده بالقديم والحديث:

الناظر في الأمثلة التي ساقها البحث فيما تقدم يلاحظ أن أكثر شعر المراغي من القديم، فقد استشهد بشعر المعلقات[4] وما قاله الأعشى والمهلهل وغيرهما، ولم يفت الشيخ أن يستشهد بشعر المحدثين في القضايا العامة مثل الوعظ وتلخيص أفكاره، وقد مرّ ما ساقه من شعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم في هذا المجال.

٣- مصادره في الشعر من كتب التفسير

سبقت الإشارة في بداية هذا البحث إلى أن الشيخ المراغي نحا في استشهاده بالشعر نحو كثير من المفسرين قبله، ولأن الشعر هو ديوان العرب فيه أصل لغتهم ونبع حكمتهم وروعة بيانهم فإن المفسّر في تقريبه معاني الآيات يجد فيه غنيته، فلا يستغني عن ورود حوضه والرشف من معينه، فكان الشيخ المراغي كسابقيه من المفسرين في هذا المجال، وأفاد مما قرأه في كتب التفسير من هذا الشعر فضمّنه تفسيره، وأنت إذا استقرأت الأبيات التي مرت بك في هذا المبحث وجدت الشيخ يقتدي بأستاذه الإمام محمد عبده في الاستشهاد بمعظم هذه الأبيات، والأستاذ بدوره أفاد كثيراً من تفسير الطبري، وهذا بيان ذلك:

- استشهد الطبري على معنى (السِّنة) بقول الشاعر:

وسنان أرقه النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

---

(١) ٧٣/١٩ ولم أجد هذا البيت.

(٢) سبق الإشارة إليه.

(٣) انظر ٢٧/١٠٩-١١٠.

(٤) كمعلقة زهير بن أبي سلمى ومعلقة عنترة.

وتبعه في ذلك صاحب المنار[1].

- استشهد الطبري على معنى (الفتح) بقول الشاعر:

ألا أبلغ بني وهب رسولاً بأني عن فتاحتهم غني

وتبعه صاحب المنار[2].

- استشهد الطبري على أن بسط اليدين كناية عن سعة الجود بقول الشاعر:

يـــداك يـــدا جـــود فكـــف مفيـــدة وكـــف إذا مـــا ضـــن بـــالزاد تنفـــق

وتبعه في ذلك صاحب المنار[3].

- استشهد صاحب المنار في مجال الوعظ بقول الشاعر:

ترجـــو النجـــاة ولم تســـلك مســـالكها إن الســـفينة لا تمشـــي علـــى اليـــبس[4]

استشهد صاحب المنار علـى زيـادة الحـرف في الآيـة ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، بقول الشاعر:

فإذا هلكت فبعد ذلك فاجزعي[5]

ومما استشهد به المراغي نقلاً عن كتب التفسير، وليس في المنار:

قول الشاعر:

مـــتى تأتـــه تعشـــو إلى ضـــوء نـــوره تجد خـــير نـــار عنـــدها خـــير موقـــد[6]

وقول الشاعر:

ومـــا الحـــرب إلا مـــا علمـــتم وذقـــتم ومـــا هـــو عنـــها بالحـــديث المـــرجم[7]

وقول الشاعر:

---

(١) تفسير الطبري ٥/٣. وتفسير المنار ٢٥/٣.

(٢) وجاء في "الطبري" بلفظ "ألا بلغ بني عصم" انظر ٣/٩. وانظر المنار ٩/٩.

(٣) تفسير الطبري ١٩٣/٦، وتفسير المنار ٢٧٧/٦.

(٤) تفسير المنار ٢٩/٣.

(٥) تفسير المنار ٢٤٢/٤.

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٩/١٩.

(٧) تفسير القرطبي ٣٨٣/١٠.

إلـــــيكم ذوي آل الـــــنبي تطلعـــــت   نـــوازع مـــن قلـــبي ظمـــاء وألبـــبُ[1]

وقول الشاعر:

يـــا مـــن رأى عارضـــاً قـــد بـــت أرمقـــه   كأنمـــا الـــبرق مـــن حافاتـــه الشـــعلُ[2]

وغيرها.

وقد سبقت الإشارة إلى عزو هذه الأبيات وموقعها من تفسير المراغي.

ثانياً: الاستشهاد بالأمثال:

في مستهل الحديث عن الأمثال في تفسير المراغي يجمل أن يذكر تعريف الرجل للمثل وتنبيهه إلى أهميته عند العرب، وفيه مؤشر لسبب إيراده المثل في تفسيره والاستشهاد به في أغراض مختلفة.

يقول الشيخ رحمه الله : "المثل قول في شيء يشبه بقول في شيء آخر لما بينهما من المشـــابهة ويوضـــح الأول بالثاني ليتم انكشاف حال به[3].

وفي أهمية المثل عند العرب يقول: "والأمثال عند العرب هي المهيع[4] المسلوك والطريـــق المتبـــع لإيضاح المعاني إذا أريد تثبيتها لدى السامعين، والقرآن الكريم مليء بها والسنة النبويـــة جـــرت علـــى منهاجه، فكثيراً ما تتبع المسائل الهامة بضرب الأمثال لها لتستقر في النفوس وتنقش في الصدور[5].

وقد جاء ورود الأمثال في تفسير المراغي أقل بكثير مما هو عليه الحال في الشعر، ومـــن خـــلال استقراء المواطن التي وردت فيها الأمثال، فإن من أغراضها:

١- تفسير المفردات والتراكيب:

ومن ذلك ما جاء في تفسير كلمة (تبيّن) في قولـــه تعـــالى﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[البقرة: ٢٦٥]، قال: "وبان الشيء واستبان: وضح وظهر ومنه المثل: تبـــيّن الصـــبح لـــذي عينين"[1].

---

(١) القرطبي ١٩٢/١٥.

(٢) تفسير القرطبي ١٧/٢٦.

(٣) ١٤٧/١٣، وقد عرفه صاحب اللسان بقوله: الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعـــل مثلـــه. لســـان العـــرب ٦١١/١١.

(٤) قال صاحب اللسان: طريق مَهْيَع واضح واسع بيّن وجمعه مهايع، انظر لسان العرب ٣٧٩/٨.

(٥) ١٤٨/١٣.

وما جاء في تفسير قوله تعـالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، يقول: "سيطوقون ما بخلوا به: أي سيلزمون إثمه في الآخرة كما يلزم الطوق الرقبة، وقد جاء في أمثالهم: (تقلدها طوق الحمامة) إذا جاء ما يسبّ به ويذم[٢].

ولتوضيح مراد قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦]، يقول: "ونحو الآية قولهم في المثل (من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً)[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣]، قال: "أي وما يفعل بهم إلا جزاء ما اجترحوا من الكفر والآثام... وقد قالوا في أمثالهم: (إنك لا تجني من الشوك العنب)[٤].

وفي قولـــه ســـبحانه ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، يقول: "والمراد منه تقريع المشركين وتيئيسهم مما علقوا عليه أطماعهم من شفاعتهم لهـم، فهو وارد على نهج قولهم: (إياك أعني واسمعي يا جارة)[٥].

٢- التعبير بأسلوب المثل:

أ- قد يستشهد الشيخ بالمثل ليعبر عن الفكرة التي يقوم على أساسها تفسير الآية، من ذلك مـا جاء في تفسير قوله تعـالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨]، فقد عدد الأعذار المقبولة في عدم الهجرة من دار الكفر ومنها الجهل بمسـالك الأرض ومضايقها بحيث لو خرجوا لهلكوا، كما قالوا في أمثالهم: (قتلت أرض جاهلها)[٦] وفي قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾

---

(١) ١٥/٣.
(٢) ١٤٤/٤.
(٣) ٧١/١٤.
(٤) ٨٦/٢٢، وقد أورده صاحب العقد الفريد تحت عنوان (جامع أمثال الظلم) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٦٣/٣.
(٥) ٩١/٢٢.
(٦) ١٣٣/٥.

[الأعراف: ٥٠]

يقول: "وهذا طلب منهم مع علمهم باليأس من إجابته، إذ هم يعرفون دوام عقابهم، وأنه لا يفتر عنهم أبداً، ولكن اليائس من الشيء قد يطلبه كما قالوا في أمثالهم (الغريق يتعلق بالزبد)"(١).

وفي قوله سبحانه ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] يؤكد الشيخ أن المراد بالوسم على الأنف التشهير بصاحبه، وفي هذا إذلال ومهانة، ومن ثم قالوا: الأنف في الأنف، وقالوا: حمى أنفه، وقالوا: هو شامخ العرنين(٢) وقالوا في الذليل: جدع أنفه، ورغم أنفه(٣).

ب- وقد لا يكون المثل مباشراً في التعبير عن معنى الآية، ولكنه يعمل مؤكداً لفكرة يسوقها الشيخ في تفسير الآية، من ذلك:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، إذ يقول عن هؤلاء الكافرين: "فما مثلهم إلا مثل من اشتد أوامه(٤)، ورأى السراب فخاله ماء وظنَّ أنه قد وجد ضالته حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً (ورجع بخفّي حنين)(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]، يقول: "... وذلك لحفظ الموازين في الأرض حتى ينتظم العمران، ولو لم يكن على هذا النحو لاختلط الحابل بالنابل وساء حال الكون"(٦). وهكذا.

٣- توضيح أمثال القرآن الكريم:

قد يورد الشيخ بعض الأمثلة لتوضيح أسلوب القرآن الكريم في التمثيل، فيدعمه بما ورد على ألسنة العرب مما يشبهه، من ذلك:

---

(١) ١٦٤/٨.

(٢) قال صاحب اللسان: عرنين كل شيء أوله وعرنين الأنف تحت مجتمع الحاجبين، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم، ويقال هو شم العرانين، والعرنين: الانف كله، وقيل ما صلب من عظمه، انظر لسان العرب ٢٨٢/١٣.

(٣) ٣٣/٢٩.

(٤) الأوام بالضم العطش، وقيل حره، وقيل شدة العطش وأن يضج العطشان، انظر لسان العرب ٣٨/١٢.

(٥) ١١٣/١٨.

(٦) ١١٤/٢٢.

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، إذ يقول: "العرب تضرب المثل لما لا يكون بنحو قولهم: لا أفعله حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى يدخل الجمل في سم الخياط، وهم يريدون بذلك أنهم لا يفعلونه أبداً، والمراد هنا أن هؤلاء لا يدخلون الجنة بحال"[١].

وفي قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، يقول: "والأساس على شفا الجرف الهاري مثل يضرب لما يكون في منتهى الوهي والانحلال والإشراف على الزوال"[٢].

- تكرار المثل في تفسيره

كما كان الشيخ المراغي يكرر الاستشهاد ببيت الشعر الواحد أو مجموعة الأبيات في أماكن متفرقة، فعل في أمثاله، إذ تجده يوردها حيث تتناسب مع المقام، من ذلك:

من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً[٣]، وإياك أعني واسمعي يا جارة[٤]، وإنك لا تجني من الشوك العنب[٥]، وغيرها.

---

(١) ١٥١/٨.

(٢) ٢٨/١١، وهي شبيهة بعبارة المنار انظر تفسير المنار ٣٦/١١.

(٣) فقد ورد في ٧١/١٤، و ١٤٠/٢٢ منه.

(٤) فقد ورد في ٩١/٢٢ و ٩٣/٢٢ و ١٥٤/٢٣ منه.

(٥) ورد في ٨٦/٢٢ و ١٤٢/٢٤ و ١١٧/٢٨ منه.

المبحث الرابع
القضايا البلاغية في تفسيره

تأكيداً لما تقرر في بداية هذا الفصل من أن الشيخ لم يعن بذكر مصطلحات العلوم من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، يأتي هذا المبحث جولة في تفسير المراغي تبين أسلوبه في عرض بعض التطبيقات البلاغية التي جاءت في سياق جمله من غير تعمق ولا توقف، ويتناول البحث هذه التطبيقات ضمن العناوين التالية: **المجاز، الاستفهام، قضايا بلاغية متفرقة.**

١- المجاز:

تعددت أشكال المجاز التي أشار إليها المراغي في تطبيقاته، ومن أبرزها:

أ- المجاز الشرعي[١]:

وقد أشار الشيخ المراغي لهذا النوع من المجاز في غير موضع من تفسيره، من ذلك: تفسيره لأصل كلمة (الكفر) يقول: الكفر ستر الشيء وتغطيته، وقد وصف به الليل كقوله: في ليلة كفر النجوم غمامها، والزراع كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠]، من قبل أنهم يغطون الحبّ بالتراب، ثم استعمل في كفر النعم بعد شكرها، وفي الكفر بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله"[٢].

ويذكر الشيخ مناسبة الإطلاق المجازي الشرعي للمعنى اللغوي: ففي معنى الحدود يقول: واحدها حد، وهو في اللغة الحاجز بين شيئين، ثم سمي بها ما شرعه الله لعباده من الأحكام لأنها تحدد الأعمال وتبين أطرافها وغاياتها، فإذا تجاوزها المرء خرج عن حد النصيحة وكان عمله باطلاً[٣].

ويصرّح في كلمة (البر) بنقلها إلى المفهوم الشرعي بقوله: البر لغة التوسع في الخير وأصله من البر المقابل للبحر، وفي لسان الشرع: كل ما يقترب به إلى الله من الإيمان به وصالح الأعمال وفاضل

---

(١) وهو نقل الكلام من اللغة إلى مفهوم الشرع لتدل على معنى شرعي جديد كالصلاة للأعمال المخصوصة المقصود بها شكل من الأشكال التعبدية وهي في الأصل الصلة، والزكاة وهي مقدار محدد يدفعه المسلم بشروط محددة تقرباً إلى الله وهي في الأصل الطهارة والنمو، وقد غيرها بعضهم حقيقة شرعية لا مجازاً، ولكن المراغي على أنها من المجاز كما سيتبين من أمثلته، انظر إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ص٢١ – ٢٢.

(٢) ١/٤٥-٤٦.

(٣) ٢/٧٧.

الأخلاق[1].

وفي معنى (الأوزار) يقول: والأوزار جمع وزر بالكسر وهو الحمل الثقيل، ثم أطلق في الدين على الإثم والذنب كأنه لثقله على صاحبه كالحمل الذي يثقل الظهر[2].

ب- المجاز اللغوي[3]:

تعددت صور المجاز اللغوي في تطبيقات الشيخ المراغي، وهذه أمثلة منها:

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٥١]، قال: "ونسب ذلك إلى الأيدي، وإن كان يقع من الأيدي والأرجل وسائر الحواس أو تدبير العقل، من أجل أن العادة قد جرت بأن أكثر الأعمال البدنية تزاول بها"[4].

وهذا شرح من الشيخ لإجراء المجاز المرسل وعلاقته الآلية.

ومن الكناية ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] إذ يقول: "وعبّر عن سعة الجود ببسط اليدين لأن الجواد السخي إذا أراد أن يبالغ في العطاء جهد استطاعته يعطي بكلتا يديه»[5]، فجعل بسط اليدين كناية عن الكرم.

وفي قوله سبحانه ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، يرى الشيخ أن التعبير على الحقيقة لا على المجاز، وينقل قول الراغب في أن القرية لفظ مشترك يطلق على الموضع الذي يجتمع فيه الناس والناس أنفسهم كذلك[6]، وفي هذا إشارة إلى أنه من نفاة المجاز في القرآن الكريم، يؤكد ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧]، إذ يقول: "وقد كثر في كلامهم إسناد ما يكون من أفعال العقلاء إلى غيرهم[7]، وقلما تحدث مثبتو المجاز في هذه القضية

---

(١) ٢/٥٣.

(٢) ٧/١٠٤.

(٣) وقد جعله البحث هنا في مقابلة المجاز الشرعي، ويعني به انتقال اللفظ من جهة الحقيقة إلى غيرها انظر الأحكام في أصول الأحكام للآمدي ١/٢٩.

(٤) تفسير المراغي ١٠/١٦.

(٥) ٦/١٥٣، وذكر الزركشي في البرهان هذه الآية وقال: كناية عن كرمه انظر البرهان ٢/٣٠٨.

(٦) انظر تفسير المراغي ١٣/٢٥.

(٧) المراغي ١٦/٤.

إلا واستدلوا بهاتين الآيتين الكريمتين على وقوعه في القرآن الكريم»[١].

٢- الاستفهام:

المواطن التي أومأ فيها الشيخ إلى أنواع الاستفهام في القرآن الكريم كثيرة وقد كثرت إشارته إلى نوعي الاستفهام التقريري والإنكاري، دون أن يصرح باسمهما في كثير من الأحيان مع الاكتفاء بشرح المعنى، من ذلك:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ [المائدة: ٧٤]، إذ يقول: "أي أيسمعون ما ذكر من التفنيد لآرائهم والوعيد عليها ثم لا يحملهم ذلك على التوبة والرجوع إلى التوحيد واستغفار الله عما فرط منهم...[٢]". وكلام الشيخ إشارة إلى أن الاستفهام في الآية إنكاري.

وفي قوله سبحانه ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦]، يقول: "أي لا إله غيره يقدر على إيتانكم بما سلب"[٣]. وفي العبارة إشارة إلى أن الاستفهام في الآية تقريري.

ومثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]، أي لا أظلم ممن افترى على الله الكذب ونسب إليه الشريك، تعالى عن ذلك علواً كبيراً[٤].

ويصرح قليلاً بنوع الاستفهام، كما جاء في قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦]: "أي الله وحده هو الذي يدفع عن عبادة الآفات... وأتى بالكلام على طريق الأسلوب الإنكاري للإشارة إلى كفايته تعالى على أبلغ وجه، كأنها من الظهور بحيث لا يتيسر لأحد أن ينكرها[٥].
ينكرها[٥].

---

(١) قوله تعالى: (واسأل القرية) من إطلاق اسم المحل على الحالّ، ذكر ذلك الزركشي في البرهان ٢٨١/٢ وفي باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه انظر البرهان ٢٧٤/٢، وقوله تعالى (جداراً يريد أن ينقض) من باب إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل على الحقيقة انظر البرهان ٢٩١/٢، وجعل السيوطي هذه الآية من إضافة الفعل إلى ما يصح منه تشبيهاً، انظر الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ١٠٤/٢ مكتبة المعارف – الرياض ط (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م). وذكر أن قوله تعالى (واسأل القرية) من مجاز الحذف، انظر ١١٣/٢ منه.

(٢) ١٦٧/٦.

(٣) ١٢٧/٧.

(٤) ١٢٦/١٥.

(٥) ٧/٢٤.

٣- قضايا بلاغية متفرقة

أ- التشبيه: ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وهو يفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]، قال: "تشبيه معروف معهود في مقام المبالغة كقوله ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢]، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى: ٣٢]، ألا ترى أن الأمواج والسفن لا تكون كشواهق الجبال، لكنه يراد بمثل هذا التعبير زيادة البيان، وإرادة التأثير في نفس السامع"(١).

ومنه ما ذكره عند قوله سبحانه ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى: ٢٠]، قال: "حرث الآخرة: ثمرات أعمالها، تشبيهاً لها بالغلّة الحاصلة من البذور"(٢).

ب- المشاكلة(٣):

وقد وردت الإشارة إليها في التفسير في عدة مواضع منها:

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤- ١٥]، قال: "أي الله يجازيهم بالعقاب على استهزائهم وسمّي هذا العقاب استهزاء للمشاكلة في اللفظ كما سمّي جزاء السيئة سيئة"(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] قال: "أي مجازيهم على خداعهم، وسمي ذلك مخادعة مشاكلة للفظ الأول ونظيره ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وإنما جعل كذلك – يعني من باب المشاكلة لأنه قد استعمل في المعاني المذمومة التي تتضمن الكذب أو تدل على ضعف صاحبها وعجزه غالباً"(٥).

ج- الحصر والقصر:

وضح الشيخ هذا الأسلوب من غير ذكر اصطلاحه البلاغي، من ذلك:

---

(١) ١١٦/١.

(٢) ٣٣/٢٥.

(٣) المشاكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقريراً، انظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام الخطيب القزويني ص ٤٩٣، ط. دار الكتاب اللبناني – بيروت.

(٤) ٥٦/١.

(٥) ١٨٧/٥.

ما ذكره في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، يقول: "أي إنك أنت وحدك كثير التوبة على عبادك بتوفيقهم لحسن العمل، وقبول ذلك منهم"[١].

ففي قوله "إنك أنت وحدك" إشارة إلى أسلوب الحصر المستفاد من ضمير الفصل "أنت".

وفي قوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١]، يقول: "الحمد الكامل[٢] للمعبود الكامل لجميع ما في السماوات وما في الأرض دون كل ما يعبدونه ودون كل شيء سواه، إذ لا مالك لشيء من ذلك غيره[٣].

ففي قول الشيخ: "دون كل ما يعبدونه – إشارة إلى قصر الحمد على الله سبحانه دون سواه.

د- الاستثناء المنقطع:

ويظهر من خلال تفسيره لأداة الاستثناء بغير ما وضعت له، من ذلك – ما في قوله سبحانه ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٥]

أي لكن من شاء منكم أن يتقرب إلى الله بالإنفاق في الجهاد وغيره[٤]. وما في خطابه سبحانه لموسى ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل ١٠ و ١١]، قال: "أي لكن من ظلم من سائر العباد فإنه يخاف إلا إذا تاب[٥].

هـ- التعجب

وقد وردت الإشارة إلى أسلوبي التعجب القياسي والسماعي:

- فقد فسر كلمة (سبحان) بأنها: "كلمة تتريه وتقديس، وتستعمل للتعجب"[٦]. وهو يريد بذلك التعجب السماعي.

وفي قوله تعالى ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]، يقول: "هذا أسلوب في اللغة يدل على التعجب والمبالغة في الأمر الذي يتحدث بشأنه، أي ما أبصر الله تعالى بكل موجود، وأسمعه بكل

---

(١) ٢١٦/١ – ٢١٧.

(٢) في قوله الحمد الكامل إشارة إلى أن معنى ال في (الحمد) الاستغراق.

(٣) ٥٥/٢٢.

(٤) ٣٠/١٩.

(٥) ١٢٤/١٩.

(٦) ١٣٤/١١.

مسموع...[1].

وهو يشير بقوله في (أسلوب في اللغة) إلى أنه التعجب القياسي.

هذه اهم القضايا البلاغية التي تجدها متفرقة في تفسير المراغي، استنطقها البحث من خلال دراسة تطبيقات الشيخ المتفرقة، والله الهادي إلى سواء الصراط.

---

(١) ١٣٩/١٥.

الفصل الرابع

عنايته بمباحث علوم القرآن

المبحث الأول

بعض قضايا علوم القرآن في مقدمة تفسيره

صدّر الشيخ المراغي تفسيره بالحديث في ثلاث من قضايا علوم القرآن وهذه القضايا هي:

١- عناية المسلمين بتفسير الكتاب الكريم.

٢- طبقات المفسرين.

٣- آراء العلماء في التزام الرسم العثماني.

١- عناية المسلمين بتفسير الكتاب الكريم.

تحدث الشيخ تحت هذا العنوان باختصار عن العناية بالقرآن الكريم، وكيف بدأت أثناء تنزّل الوحي على قلب النبي ﷺ وأنّه كان يفسر غامضه للصحابة رضوان الله عليهم، حيث كانوا يحرصون على السؤال عن كل ما أشكل عليهم منه، واستمر الحال بالصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ يوضحون القرآن لمن جاء بعدهم ممن لم يعاصر التتريل، وهكذا استمرت العناية بالتفسير في العصور المتلاحقة، وما زالت التفاسير تترى مختلفة المناحي والمناهج حسب طبيعة كل عصر بما يوافق حاجته ما بين مطول ومختصر، على أن في هذا القرآن من الأسرار ما لم يقف على كنهه جهابذة المفسرين، وسيفسره الزمن وتقدم العلوم والفنون[1].

٢- طبقات المفسرين

بعد أن تحدث الشيخ عن عناية المسلمين بالتفسير، وذكر أهم في شتى العصور عنوا بكتاب الله تعالى تفسيراً وتوضيحاً، شرع في بيان طبقات المفسرين حسب أزمنتهم المتعاقبة[2] فقسمهم إلى ست طبقات كما يلي:

١- التفسير في عصر الصحابة: وذكر أن أشهر من عرف منهم بالتفسير عشرة: الخلفاء الراشدون الأربعة وابن عباس وابن مسعود وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبدالله

---

(١) ٥/١.

(٢) ومن العلماء من جعل طبقات المفسرين حسب طبيعة تفاسيرهم وموضوعاقا. كما فعل السيوطي في كتابه طبقات المفسرين، انظر طبقات المفسرين للإمام جلال الدين السيوطي ص٩ ط١ دار الكتب العلمية – بيروت لبنان (١٩٨٣م).

ابن الزبير – رضي الله عنهم – وبيّن الشيخ أصح الطرق في الرواية عن ابن عباس – رضي الله عنهما [(١)]–.

٢– التفسير في عصر التابعين: وقد قسّم مفسري هذا العصر حسب بلدانهم فمن مكة تلاميذ ابن عباس – رضي الله عنهما – مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وطاووس وعطاء ابن رباح. ومن الكوفة: علقمة بن قيس والأسود بن يزيد وإبراهيم النخعي والشعبي. ومن المدينة: تلاميذ زيد بن أسلم العدوي المدني (ت:١٣٦هـ)، ومن أشهرهم: ابنه عبد الرحمن ابن زيد ومالك بن انس والحسن البصري وعطاء بن أسلم ومحمد بن كعب وغيرهم[(٢)].

٣– طبقة جمعت أقوال الصحابة والتابعين: وعد من رجال هذه الطبقة عشرة هم: سفيان ابن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون السلمي، وعبد الرزاق، وآدم ابن إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد الله بن حميد الجهني، وأبو بكر ابن أبي شيبة[(٣)].

٤– طبقة ابن جرير: أطلق على هذه الطبقة اسم ابن جرير بوصفه أشهر المفسرين في تلك الفترة الزمنية، وجعل معه علي بن أبي طلحة، وابن أبي حاتم الرازي، وابن ماجة الحافظ، وابن مردويه، وأبا بكر الأصفهاني، وأبا الشيخ بن حيان البستي، وإبراهيم بن المنذر[(٤)]. وأحدثهم وفاة ابن مردويه (٤١٠هـ)، وبينه وبين ابن جرير (٣١٠هـ) مئة عام. وقد ذكر الشيخ المراغي أقوال العلماء في ابن جرير الطبري شيخ المفسرين وثناءهم على تفسيره[(٥)].

٥– طبقة المفسرين بحذف الأسانيد: واكتفى الشيخ المراغي بذكر أشهر أصحاب هذه الطبقة دون التعرض لسبب حذف الأسانيد، فأورد منهم أبا إسحاق الزجاج (٣١٠هـ) وأبا علي الفارسي (٣٧٧هـ) وأبا بكر الموصلي (٣٥١هـ) وأبا جعفر النحاس النحوي (٣٣٨هـ) ومكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) وأبا العباس المهدوي (٤٣٠هـ). وأشار الشيخ إلى أن هذه الفترة سمحت بوجود الدخيل في كتب التفسير والتبس الصحيح بالعليل، بسبب عدم وضوح

---

(١) ١/٦.

(٢) ١/٧–٨.

(٣) ١/٨–٩.

(٤) ١/٩.

(٥) ١/٩–١٠.

السند الذي نقلت به الأخبار[1].

٦- طبقة عصر المعرفة الإسلامية: وهو العصر الذي أنشأه انفتاح المسلمين على حضارات غيرهم من اليونان والفرس والهند، ودخل فيه جدال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فكان ذلك حافزاً للعلماء أن يؤلفوا موسوعات في التفسير تجمع بين دفتيها فنوناً من المعرفة لم يكن لهم بها سابق عهد. وساد في هذا العصر الاهتمام بوسائل الرد على جدل أهل الكتاب وأهل الكلام والفلسفة، حتى نحا المفسرون نواحي عديدة في كتاباتهم:

أ- فمنهم من وجه عنايته إلى البحث في أساليب الكتاب ومعانيه وبيان ما احتوى عليه من بلاغة وفصاحة، وأطنبوا في ذلك، وقد سلك هذا المسلك الزمخشري في كشافه، ونحا نحوه خلق كثير.

ب- ومنهم من وجه النظر إلى إعرابه وتوسع في بيان وجوهه، مثل الزجاج في تفسيره معاني القرآن، والواحدي النيسابوري في تفسيره البسيط، وأبي حيان في البحر المحيط.

ج- ومنهم من وجه النظر إلى القصص والأخبار عمن سلف، حتى أدخلوا في تفاسيرهم الإسرائيليات، ومن أشهرهم الثعلبي وصاحب الخازن علاء الدين بن محمد البغدادي.

د- ومنهم من فسّر القرآن تفسيراً فقهياً مثل القرطبي.

ه- ومنهم من عني بالكلام في أصول العقائد ومقارعة الزائفين، وتفسير الإمام الرازي (٦١٠هـ) من أشهر التفاسير التي عنيت بذلك.

و- ومنهم من اتجه إلى الوعظ والرقائق ممزوجة بحكايات المتصوفة والعباد[2].

ز- ومنهم من اتجه إلى تفسير القرآن الكريم بالإشارة إلى دقائق لا تنكشف إلا لأرباب السلوك[3].

٣- آراء العلماء في التزام الرسم العثماني

ذكر الشيخ تحت هذا العنوان الآراء الثلاثة للعلماء في قضية التزام الرسم العثماني للمصحف وهي:

---

(١) ويلاحظ أن هذه الطبقة معاصرة للطبقة السابقة، ولكنه فصلها بسبب تميز تفاسير أصحابها.

(٢) ولم يذكر عليها مثالاً، ومنها تفسير روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي الواعظ الصوفي، قال عنه الكوثري في المقالات: للوعاظ شغف عظيم بتفسيره لما فيه من الحكايات المرققة للقلوب... انظر مقالات الكوثري للشيخ محمد زاهد الكوثري (ت:١٣٧١هـ) ص٤٨٣ ط (؟).

(٣) ولم يذكر عليها مثالاً، ومن أهم كتب التفسير الإشاري لطائف الإشارات لعبد الكريم القشيري، انظر المراغي ١/١١-١٢.

١- أنه توقيفي ولا يجوز مخالفته.

٢- أنه اصطلاحي وتجوز مخالفته.

٣- يجوز بل يجب مخالفته لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم، ولا يجوز كتابته لهم بالرسم العثماني لئلا يوقع في تعبير من الجهال ولكن يجب في الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثماني كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح، فلا تهمل مراعاته لجهل الجاهلين، بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا تخلو منهم الأرض.

أما الرأي الأول فقد تبنّاه الإمام أحمد ومالك، وأما الرأي الثاني فقد تحمس له القاضي أبو بكر الباقلاني في الانتصار، وقد نقل عنه الشيخ المراغي نصاً في ذلك[١]. وأما الرأي الثالث فهو مشهور عن العز بن عبد السلام، وقال به صاحب البرهان[٢]، وهو ما يرجحه الشيخ المراغي في قوله: "وقد جرينا على الرأي الذي أوجبه العز بن عبد السلام في كتابة الآيات أثناء التفسير للعلة الذي ذكرها، وهي في عصرنا أشد حاجة إليها في تلك العصور، على أن الخلاف بينهم في المصحف لا في القرآن، ولو أثناء التفسير كما فعلنا"[٣].

---

(١) ١/١٣-١٤، وكتاب الانتصار مخطوط لم يحقق، والمحقق هو كتاب نكت الانتصار لأبي عبد الله الصابوني وقد ذكر محققه محمد زغلول سلام أنه لم يعثر على الانتصار كاملاً، انظر مقدمة التحقيق ص٥، الناشر مكتبة المعارف – الاسكندرية ط (١٩٧١م).

(٢) وقد أورد عبارته في ذلك، انظر ١/١٥ وانظر البرهان للزركشي ١/٣٧٩.

(٣) المقصود بهذه العبارة أن الخلاف وارد بينهم في كتابة المصحف لا مجرد كتابة آية أو مجموعة آيات على حده، انظر ١/١٥.

المبحث الثاني

التفسير بالمأثور

يتحدث د. محمد حسين الذهبي عن التفسير بالمأثور فيقول: "يشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ﷺ وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم، وإنما أدرجنا في التفسير بالمأثور ما روي عن التابعين – وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي – لأنا وجدنا كتب التفسير بالمأثور كتفسير ابن جرير وغيره لم تقتصر على ذكر ما روي عن النبي ﷺ وما روي عن أصحابه بل ضمّت إلى ذلك ما نقل عن التابعين في التفسير"(1).

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

كثيراً ما يستشهد الشيخ لمعنى الآية التي يفسرها بآيات عديدة من القرآن الكريم، وقد جاء استشهاده بالآيات على وجهين:

الأول: تأكيد لمعنى الآية التي هو بصدد تفسيرها.

الثاني: تفسير لمعنى تلك الآية.

١ - **فمما جاء في باب التأكيد:**

- ما أورده في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] يقول: "ونحو هذا قوله: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩](2).
- ما جاء في قوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤] قال: "ونحو الآية قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠] وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ

---

(١) التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي ١٥٢/١ ط٢ دار الكتب الحديثة (١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م).

(٢) ٢٢٠/١.

﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢][1].

- في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس: ٤] يقول: "وهذا المعنى قد جاء في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس: ٥٤][2].

- في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] يقول: "ونحو الآية قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢][3].

- وفي قوله جلّ شأنه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] يقول: "ونحو هذا ما جاء في قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢][4].

٢. ومما جاء من باب التفسير والتوضيح:

- ما أورده في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨] إذ يقول: "كقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣][5]. فبين في هذه الآية ما أجمله في الآية السابقة.

- وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١] يقول: "أي وتذكروا ما أنعم به عليكم من الرحمة التي جعلها بين الزوجين وبها

---

(١) ١٢٨/٢، وقد دققت النظر طويلاً لأقف على وجه التشابه بين الآية (ألا إن نصر الله قريب) وبين قوله سبحانه (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) التي ذكر الشيخ أنها نحوها فخلصت إلى أنهما ليستا متفقتين في المعنى.

(٢) ٦٥/١١.

(٣) ١٤٢/١٥.

(٤) ١٣٠/٢٨، وعدم اتفاق الآيتين في المعنى ظاهر، فالأصل أن الآية الأولى نزلت إثر الآية الثانية حيث ثقل على المسلمين الأمر بحق التقوى فخفف الله عنهم بالأمر بالتقوى في حدود الاستطاعة، انظر تفسير القرطبي ١٥٧/٤، وفي إثبات المماثلة خطأ من المراغي رحمه الله.

(٥) المراغي ١٨٩/١.

امتنّ علينا في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١][1] فقد فسّر شيئاً من نعمة الله المذكورة في الآية الأولى بما جاء في الآية التالية.

- وفي قوله جلّ جلاله: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [يونس: ٢٠] يقول: "وقد جاء هذا الاقتراح هنا مجملاً، وأجاب عنه جواباً مجملاً لأن كلاً منهما سيق مفصلاً في سور أخرى، كقوله في سورة الفرقان: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧] وحكي عنهم أنهم طالبوه بواحدة من بضع آيات، وعلقوا إيمانهم على إجابة مطلبهم فقال: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾ [الإسراء: ٩١- ٩٣][2].

- وفي بيان ميقات ليلة القدر يقول الشيخ:

"أشار الكتاب الكريم إلى زمان نزول القرآن على رسول الله ﷺ في أربعة مواضع من كتابه الكريم، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً:

١- في سورة القدر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدْر: ١].

٢- في سورة الدخان: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ١-٤].

٣- في سورة البقرة: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(١) نفسه ١٧٩/٢.

(٢) ٨٤/١١ و٨٥.

٤-وفي سورة الأنفال: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

ويستخلص الشيخ المراغي من الآيات الأربعة السابقة التي قال إن بعضها يفسّر الآخر، أن ليلة القدر هي ليلة الجمعة لسبع عشر خلت من شهر رمضان، اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾. فهو يفسر (ما أنزلنا) على أنه القرآن الذي تحدثت الآيات الأخرى عن نزوله في ليلة مباركة أو ليلة القدر[١]، وبمراجعة أقوال المفسرين في آية الأنفال، تجد أن المقصود بما أنزل يوم الفرقان هو في قسمة الغنائم وكيفيتها خاصة، كما يقول ابن كثير[٢]، أما صاحب الكشاف فيقول: "والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ"[٣].

والمعروف أنه بدأ إنزال القرآن على نبينا في ليلة القدر، ولم يقل أحد إن هذه الآيات المقصودة من سياق آية الأنفال هي أول ما نزل على رسول الله ﷺ[٤].

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة

جعل الشيخ المراغي في قائمة مراجعه مرجعين مهمين من مراجع السنة الصحيحة هما فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للبدر العيني، وقد وعد الشيخ عند توضيح نهجه في التفسير أن يمحص كتب التفسير، كما سبق، لذلك كله فمن المنتظر أن يسلك الشيخ في تفسير القرآن بالسنة مسلك التحقق من الدقة والصحة، ولابدّ من جولة في عدة نقاط تتعلق بهذا الموضوع تتكون من خلالها الرؤية الواضحة لواقع التعامل مع الحديث في هذا التفسير.

---

(١) انظر المراغي ٢٠٧/٢٠.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣١٣/٢.

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري ١٥٩/٢.

(٤) وليس الشيخ المراغي هو أول من قال بهذا الرأي في ليلة القدر فقد أشار إليه القرطبي في سورة القدر وذكر أن حجة من قال به هي استشهاده بآية الأنفال ولكنه ذكر أن المشهور فيها كونها في العشر الأواخر من رمضان انظر تفسير القرطبي ١٣٥/٢٠، أما الشيخ محمد عبده فلم يعين ليلة القدر وتركها على إطلاقها، انظر تفسيره جزء عم ص١٣٢-١٣٣.

– مقام السنة من القرآن الكريم

السنة المطهرة منها ما جاء لتفسير القرآن الكريم، ومنها ما جاء مؤكداً لمعانيه[1]، وكلتا هاتين الوظيفتين للسنة ظاهرتان في استشهاد المراغي بالحديث النبوي الشريف.

أ -السنة تفسّر القرآن الكريم

الأمثلة في تفسير المراغي على الأحاديث التي ساقها لتفسير الآيات كثيرة، منها:

– ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال الشيخ: "أخرج ابن ماجة عن علي وأبي الدرداء كلهم يحدث عن رسول الله ﷺ قال: (من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمئة درهم، ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبعمئة ألف درهم) ثم تلا الآية[2].

– وفي قوله سبحانه: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريح في قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾ قال: ذكر لنا النبي ﷺ قال: (هذه أمتي بالحق يحكمون ويقضون ويأخذون ويعطون)[3].

– وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] قال: "روي أن النبي ﷺ قال لابن عباس وقد سأله عن هذه الآية: (الظاهرة هي الإسلام وما حسن من خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيء عملك)[4].

– وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

---

(١) ويضاف إليهما ما يأتي منها بحكم ليس في القرآن الكريم، ولكنه هنا ليس موضع البحث، انظر أصول الفقه، محمد أبو زهرة ص٨٧. ط. دار الفكر العربي.

(٢) قال في الزوائد في إسناده خليل بن عبد الله، قال الذهبي لا يعرف، وكذا قال ابن عبد الهادي، انظر سنن ابن ماجة كتاب الجهاد باب ٤ (فضل النفقة في سبيل الله تعالى) حديث ٢٧٦١، ط. المكتبة العلمية – بيروت لبنان، وانظر المراغي ٣٠/٣.

(٣) ١٢١/٩ وانظر تفسير الطبري ٢٨٥/١٣.

(٤) قال في الدر المنثور: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وابن مردويه والديلمي وابن النجار عن ابن عباس انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٥٢٥/٦.

قال: "وروى الترمذي وجماعة عن علي – كرم الله وجهه – قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله ﷺ ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ قال: (وسأفسرها لك يا علي: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يثنّى عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه)"[1].

– وفي قوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] قال: "وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ وقال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلاّ الجنة" أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي[2].

ب- السنة تؤكد معنى الآيات:

ومن الأحاديث النبوية الشريفة ما ساقه الشيخ لتأكيد معنى الآية التي هو بصدد تفسيرها.

– ففي قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [المائدة: ١٠١] قال: "أي إن هذه الأشياء مما نهيتم عن السؤال عنها لأنها مما عفا الله عنها بسكوته في كتابه وعدم تكليفهم إياها، فاسكتوا عنها أيضاً، ومما يؤيد هذا حديث أبي ثعلبة الخشني قال ﷺ: (إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها)"[3].

– وفي قوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾ [محمد:٢٢ - ٢٣] قال: عن أبي هريرة قال: قال رسول

---

(١) ٤٨/٢٥، لم أجده في الترمذي وقد رواه الإمام أحمد عن علي – كرم الله وجهه – بنفس اللفظ، انظر مسند أحمد ٨٥/١.

(٢) ٢٧/١٢٦–١٢٧ والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١٤٩/٦.

(٣) ٤٢/٧ رواه البيهقي في السنن ١٣/١٠ والحاكم في المستدرك ١١٥/٤ والدارقطني في السنن ١٨٤/٤، والحديث ضعيف للانقطاع فيه، انظر مشكاة المصابيح ٦٩/١ ح (١٩٧).

الله ﷺ: (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال: مه، قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلكِ لكِ) ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما[(1)].

- اعتماده على ما ورد في الصحيحين وموقفه منهما:

سبقت الإشارة إلى أن المراغي جعل شرحي الإمامين ابن حجر والعيني لصحيح البخاري من جملة مراجعه في هذا التفسير، وقد اعتمد على ما ورد في الصحيحين بدرجة لا بأس بها أثناء تفسيره، ومن أمثلة ذلك:

– ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٠] يقول: "فقد روى الشافعي وأحمد والبخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي، فتزوجني عبد الرحمن بن الزبير، وما معه إلا مثل هدبة الثوب، فتبسم النبي ﷺ وقال: (أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك)"[(2)].

– وفي قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ﴾ [المائدة: ٦] يقول: "أي اغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، ويؤيده عمل النبي ﷺ وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة، فقد روى

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير ٤٧ حديث رقم ٨: ٤٨٣٠/٥٨٠ فتح الباري، وفي كتاب الأدب حديث ٥٩٨٧، دون قوله: (فأخذت بحقو الرحمن فقال: مه): ٤١٧/١٠، كتاب التوحيد باب التوحيد حديث ٧٥٠٢ بلفظ قامت الرحم فقال مه: ٤٦٥/١٣ ، مسلم في كتاب البر والصلة باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ١١٣/١٦ وانظر المراغي ٦٧/٢٦. وحقو الرحمن استعارة تمثيلية وهو الذي جرت عليه العادة بالتمسك به عند الإلحاح في الاستجارة أو الطلب مع اعتقادنا بوجوب تنزيه الخالق عن الجارحة. انظر فتح الباري ٥٨٠/٨.

(٢) البخاري: كتاب الطلاق باب ٤ (من جوز طلاق الثلاث حديث ٥٢٦٠ فتح الباري ٣٦١/٩ مسلم: كتاب الطلاق، باب: لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره وفيه زيادة: (وأبو بكر عنده وخالد بالباب ينتظر أن يؤذن له فنادى يا أبا بكر ألا تسمع هذه ما تجهر به عند رسول الله ﷺ) انظر صحيح مسلم شرح النووي ٢/١٠و٣، وأحمد ٣٧/٦و٣٨ وانظر المراغي ١٧٤/٢.

مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ رأى رجلاً لم يغسل عقبه فقال: (ويل للأعقاب من النار)[1]، وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفره، فأدركنا وقد أرهقنا العصر، فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا، قال: فنادى بأعلى صوته: (ويل للأعقاب من النار) مرتين أو ثلاثاً[2].

وفي تفسير قوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٨] قال: "أخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا: أرأيت ما تقرؤون (يا أخت هارون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمّون بالأنبياء والصالحين قبلهم)"[3].

وقد رأيت أنه في الأمثلة السابقة يورد الحديث ليفسّر به الآية ويستدل على صحة ما يذهب إليه، فإن كان الحديث في قضيّة لا يقرّها، فلا مانع لديه من ردّه والإجابة عنه، تجد ذلك في قضية معراج النبي ﷺ إلى السماوات بروحه وجسده معاً، ففي سبيل رده على ذلك – وهو يرى المعراج بالروح دون الجسد – يقول: "ويبقى أمر الحديث[4] واشتماله على أمور غريبة لا حاجة إليها في تصديق النبوة، والمحاورة في فرض الصلوات وانتقالها من خمسين إلى خمس مما يستدعي ردّ الحديث وعدم النظر إليه لاضطراب متنه، وإن صححه رواة الحديث باعتبار سنده[5].

- الحديث الضعيف في تفسيره

سبق القول إن من المنتظر أن يبتعد الشيخ كل الابتعاد عن الأحاديث الضعيفة وفاء لمنهجه الذي

---

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة باب وجوب استيعاب محل الطهارة انظر ١٣١/٣.

(٢) البخاري: كتاب الوضوء باب ٢٩ غسل الأعقاب أورده البخاري عن أبي هريرة قال: أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم قال: (ويل للأعقاب من النار) حديث ١: ٢٦٧/١٦٥، مسلم: عن ابن عمر كتاب الطهارة باب وجوب استيعاب الطهارة ١٣١/٣ وانظر المراغي ٦٣/٦.

(٣) مسلم: كتاب الآداب، باب ما يستحب من الأسماء: ١١٦/١٤، الترمذي: كتاب تفسير القرآن من سورة مريم حديث ١٥٦٤، ٦٠١/٨، أحمد: ٢٥٢/٤ واللفظ له، ولم أجده في النسائي، انظر المراغي ٤٧/١٦.

(٤) وهو من الأحاديث التي رواها البخاري، انظر فتح الباري كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء رقم ١: ٤٥٨/٣٤٩.

(٥) ٩/١٥.

وضحه في المقدمة ووعد فيه بأن يمحص روايات كتب التفسير فيخلصها مما لا يصح ولا يقبل، ولكن البحث يثبت أن الرجل وقع في إيراد احاديث عديدة ضعفها العلماء وتكلموا في طرق إثباتها، والأمثلة على ذلك متوافرة:

- فقد ذكر الشيخ حديثاً قدسياً استشهد به في مواطن عديدة من تفسيره. وهو ما جاء من قول الله سبحانه: (كنت كتراً مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني)[1].

قال في كشف الخفاء: "قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآليء والسيوطي وغيرهم، وهو واقع كثيراً في كلام الصوفية واعتمدوه وبنوا عليه أصولاً لهم"[2].

- وفي سياق تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨]، يورد الشيخ ما ينسب إلى النبي ﷺ من قوله: (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء)، يقول صاحب كشف الخفاء: "قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث ابن الحاجب من إملائه: لا أعرف له إسناداً، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلاّ في النهاية لابن الأثير ذكر في مادة ح م ر، ولم يذكر من خرجه، ورأيته في الفردوس بغير لفظه، وذكره أنس بغير إسناد، بلفظ: خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء، وقال الحافظ عماد الدين في تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب: هو حديث غريب جداً بل هو منكر، سألت عنه شيخنا المزّي فلم يعرفه، وقال: لم أقف له على إسناد إلى الآن وقال شيخنا الذهبي هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها إسناد[3].

- وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤] يقول: "وفي الأثر: (لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن خمس: عن شبابه فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله مم كسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به)"[4] وهو حديث رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص ح (٢٥٣١)، وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن

---

(١) ١٤٥/٢٠ و١١٤/٢٣ و ١٣٣/٢٥ و١٣/٢٧ و١٥/٢٧.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – إسماعيل بن محمد العجلوني ١٣٢/٢.

(٣) كشف الخفاء ٣٧٤/١-٣٧٥، وانظر المراغي ١١٤/١٣.

(٤) ٥٠/٢٣.

مسعود عن النبي ﷺ إلاّ حديث حسين بن قيس وحسين يضعف في الحديث[1].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [آل عمران: ١١٤] يقول: "وعبّر بالسرعة ولم يعبّر بالعجلة، ومن ثم قال عليه السلام: (العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن)[2].

هذا الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة بلفظ (الأناة من الله والعجلة من الشيطان) وقال: "هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد المهيمن بن عباس وضعفه من قبل حفظه"[3].

- وفي قوله جل وعلا: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] يقول: "ويؤيده قوله ﷺ: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)[4].

وهذا حديث رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وقال: هذا الكلام لا يصح عن النبي ﷺ[5].

- حكمه على الحديث بالضعف:

قد يورد الشيخ المراغي حديثاً في تفسير الآية ثم يتبعه بالحكم عليه بالضعف، ومن أمثلة ذلك:

- ما جاء عند قوله سبحانه: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] قال: "وقد رووا حديث: (ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة) وقد ضعفه المحدثون[6].

ولم يذكر هنا سبب التضعيف ولا عمّن نقله.

ومن ذكره لمصدر التضعيف، ما ورد في وصف الجنة إذ يقول: "وقد ورد في وصف الجنة ودرجاتها أحاديث بعضها موضوع وبعضها منكر، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة وعمران بن حصين أنهما قالا لمن سألهما: على الخبير سقطت، وأنهما سألا عنها رسول الله ﷺ وذكرا وصفاً طويلاً، منه أنه يوجد هناك ألوف من البيوت في كل منها ألوف من الحور العين، وهو حديث منكر من دسائس

---

(١) انظر تحفة الأحوذي بشرح الترمذي للمباركفوري ١٠/٧.

(٢) ٣٧/٤.

(٣) انظر تحفة الأحوذي ١٥٣/٦.

(٤) ٧٣/١٣.

(٥) جامع بيان العلم لابن عبد البر ١١٠/٣ دار الفكر – بيروت – لبنان، وانظر ٧٣/١٣.

(٦) قال فيه الترمذي: وهو حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة وليس إسناده بالقوي ، انظر تحفة الأحوذي ٤/١٠. انظر المراغي ٧٣/٤

الوضاعين ككعب الأحبار وغيره، قال ابن القيم: لم يثبت في نساء الجنة حديث صحيح بأكثر من زوجين لكل رجل[1].

- وفي قوله سبحانه: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ [يس: ٢٠] قال: "روي أن هذا الرجـــل يسمى حبيباً، وكان نجاراً، قال ابن أبي ليلى: سباقو الأمم ثلاثة لم يكفروا قط طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون، رواه الزمخشري حديثاً، وقال ابن كثير: إنـــه حـــديث منكر"[2].

- وعند تفسير قوله سبحانه: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] ذكر الشيخ حـــديثاً في تفسيرها فيه: روى البخاري عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة فتلاها، فلما بلغ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال رجل: يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فلم يكلمه حتى سأله ثلاثاً، قال: وسلمان الفارسي فينا، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان وقال: (والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء) وقد تكلم في هذه الرواية جمع من المحدثين"[3].

- ما أورده من الحديث في فضائل السور:

ما جاء في تفسير المراغي في فضائل السور يعدُّ قليلاً بالنسبة لما أورده كثير من المفسرين في ذلك، فقد ترى الواحد منهم يبحث لكل سورة عن رواية في فضلها، ولكثير من الآيات كذلك، ويرجع سبب إقلال الشيخ من ذكر أحاديث فضائل السور إلى أن كثيراً منها لا يصح عن رسول الله ﷺ. وقد أصبح مشهوراً بضعفه، وأكثر ما أورده الشيخ في الفضائل من ذلك القليل صحّ نقله عن رسول الله ﷺ ومـــن المواضع التي ذكر فيها فضائل السور:

---

(١) ١٦٢/١٠.

(٢) قال الزمخشري: وعن رسول الله ﷺ "سباق الأمم ثلاثة..." وذكره انظر الكشاف ٣١٩/٣ وقال ابن كثير: حديث منكر لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر وهو شيعي متروك انظر ابن كثير ٥٧٠/٣، انظر المراغي ١٥٣/٢٢.

(٣) هذا الحديث رواه البخاري قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني سليمان بن بلال عن ثور عن أبي الليـــث عن بي هريرة عن النبي ﷺ ... وحدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا عبد العزيز أخبرني ثور عن أبي الليث عـــن أبي هريرة فهو حديث صحيح روي مقروناً، انظر كتاب التفسير باب وآخرين منهم لمـــا يلحقـــوا بهـــم ح (٤٨٩٧ و ٤٨٩٨)، فتح الباري ٦٤١/٨، وانظر المراغي ٩٦/٢٨.

- ما جاء في فضل سورتي المائدة والنور، يقول الشيخ: "روي عن مجاهد أنه قال: قال رسول الله ﷺ (علموا رجالكم سورة المائدة وعلموا نساءكم سورة النور)[١].
- وفي فضائل الحواميم يقول الشيخ: "روي أن النبي ﷺ قال: (لكل شيء ثمرة، وإن ثمرة القرآن ذوات حم، هن روضات حسان مخصبات متجاورات، فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم) وعنه أيضاً: (مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب)[٢].
- وفي فضل سورة (ق) يقول: "وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي واقد الليثي أنه كان ﷺ يقرأ في العيد بقاف واقتربت[٣]... وكل ذلك دليل على أنه كان يقرأ بها في المجامع الكبيرة كالعيدين والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب[٤].
- وفي فضل سورة الإخلاص يقول الشيخ: "وقد ورد في الخبر (أنَّها تعدل ثلث القرآن)[٥].

—ذكر الأسانيد وحذفها وتخريج الحديث:

مما سبق بيانه في النقاط السالفة ترى أن الشيخ قد اكتفى عند إيراد الحديث بذكر رواية من الصحابة مثل قوله (عن عائشة) في حديث امرأة رفاعة المتقدم[٦].

وكثيراً ما يطلق القول فلا يذكر الراوي من الصحابة مثل قوله في حديث فضل سورتي المائدة والنور "روي عن مجاهد أنه قال: قال رسول الله ﷺ ..."[٧] وفي فضائل الحواميم: "روي أن النبي ﷺ قال..."[٨] وهكذا.

---

(١) قال في الدر المنثور أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي عن مجاهد انظر الدر المنثور ١٢٤/٦، وانظر المراغي ٦٦/١٨.

(٢) ٤١/٢٤، وقد ذكر القرطبي هذين الحديثين في تفسيره، وقال: ذكرهما الثعلبي، انظر تفسير القرطبي ٢٨٨/١٥.

(٣) مسلم: كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين ١٨١/٦، النسائي: كتاب صلاة العيدين، باب القراءة في العيدين بقاف واقتربت ١٨٣/٣-١٨٤، أحمد ٢١٧/٥، أبو داود:١٥/٤ عون المعبود.

(٤) ١٥٠/٢٦.

(٥) لتنظر ٢٦٤/٣٠، رواه مسلم من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال (أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟... قال: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن)، انظر ٩٤/٦.

(٦) انظر ص ١٢٤ .

(٧) انظر ص١٢٨.

(٨) انظر ص١٢٨.

أما ذكر سلسلة الرواة فلم يهتم الشيخ بإيرادها في شيء من الحديث في تفسيره، وفي تخريج الحديث تلاحظ اهتمامه به في موضع وإضرابه عنه في آخر فمن الأحاديث التي خرجها حديث عائشة في امرأة رفاعة في قوله: "فقد روى الشافعي وأحمد والبخاري ومسلم، ومنها كذلك ما جاء في فضل سورة (ق) من قوله "وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي واقد الليثي".

والأحاديث التي لم يخرجها كثيرة كذلك، منها الحديث الذي كرره في تفسيره كثيراً وفيه (كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني)، والأحاديث التي لا يذكر راويها من الصحابة لا يخرجها كحديث (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) وحديث فضل سورة الإخلاص[1]، وغيرهما.

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

استشهد الشيخ بكلام الصحابة في تفسير كثير من الآيات الكريمة، وقد كان للروايات المنسوبة إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ترجمان القرآن الكريم النصيب الأكبر في ذلك، والأمثلة في تفسير المراغي على التفسير بأقوال الصحابة كثيرة، فمما ينسب لابن عباس:

- ما جاء في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٢٢] يقول: "المراد بالنكاح العقد كما قال ابن عباس"[2].
- وفي تفسيره لمعنى البحيرة قال: البحيرة: الناقة يجرون أذنها أي يشقونها شقاً واسعاً، وكانوا يفعلون بها ذلك إذ نتجت خمسة أبطن وكان الخامس أنثى كما روي عن ابن عباس"[3].
- وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٢] قال: "أي فلما قال لها جبريل ما قال استسلمت لقضاء الله، فنفخ جبريل في جيب درعها (الفتحة التي من أمام القميص) فدخلت النفخة في جوفها فحملته، قاله ابن عباس، وقال غيره نفخ في كمها، والقرآن قد أثبت النفخ فقال: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١] ولم يعين موضع النفخ، فلا نجزم بشيء من ذلك إلا بالدليل القاطع"[4].

وبما جاء عن صحابة آخرين في تفسيره:

---

(١) وكل ذلك سبق التطرق إليه في الكتاب.

(٢) ٤/٢١٨.

(٣) ٧/٤٣.

(٤) يفهم من عبارة الشيخ أنه يرفض الخوض في مثل هذه التفصيلات، وسيأتي في مبحث المتشابه أنه يعد قوله تعالى: (فنفخنا فيها من روحنا) وأمثاله من المتشابهات التي لا نعلم معناها على التحديد.

- في تفسير قولــه تعــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: "روى ابن كثير أن أبا بكر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها النــاس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغــيروه يوشــك أن يعمهــم الله بعقاب)[1].

- وفي قوله ســبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] قال: "وأخرج رواة التفسير بالمأثور عن أبي هريرة في قوله (إن الذين فرقوا دينهم) الآية قال: هم في هذه الأمة"[2].

رابعاً: التفسير بأقوال التابعين:

الروايات التي ينسب التفسير فيها إلى التابعين كثيرة منتشرة في هذا التفسير، وقد عــني الشــيخ بتتبع أقوالهم ونسبتها إلى أصحابها، ومن أمثلة ذلك:

– ما جاء في تفسير قولــه ســبحانه: ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] يقول الشيخ: "ورفع بعضهم درجات: والمراد به محمد ﷺ كما رواه ابن جرير عن مجاهد"[3].

– وفي قوله سبحانه: ﴿وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ ﴾ [الأنعام: ٩١] قال: "قال مجاهد: هــذا خطاب للعرب، وفي رواية عنه للمسلمين[4].

---

(١) ٤٦/٧ وانظر تفسير ابن كثير ١٠٩/٢ وقد روى الحديث الإمام أحمد في مسنده ٢/١.

(٢) ٨٣/٨، رواه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ انظر تفسير الطــبري ٧٨/٨، واســتدرك عليه ابن كثير في تفسيره فطعن بإسناده قال: "لكن هذا إسناد لا يصح فإن عبّاد بن كثير متروك الحديث ولم يختلــق هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه فإنه رواه سفيان الثوري عن ليث وهو ابن أبي سليم عن طاووس عن أبي هريرة في الآية أنه قال: نزلت في هذه الأمة ا.هــ، انظر تفسير ابن كثير ١٩٦/٢.

(٣) ٥/٣ ورواه ابن جرير قال: حدثني محمد بن عمرو وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عــن مجاهــد انظر تفسير الطبري ٢/٣.

(٤) ١٨٩/٧، أورد ابن كثير ما روي عنه أنها للمسلمين، انظر تفسير ابن كثير ١٥٢/٢. وذكر الطبري عنه رواية أنهــا للعرب، انظر تفسير الطبري ١٧٩/٧.

– وفي قوله جلّ شأنه: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] يقول: "قال قتادة: الربوة بيت المقدس، وقال مقاتل والضحاك: هي غوطة دمشق إذ هي ذات الثمار والماء"[(١)].

ويلاحظ القارئ أن الشيخ المراغي أكثر من إيراد الروايات المنسوبة إلى مجاهد وقتادة من التابعين، وما سيق من الأمثلة هو مجرد مؤشر على ذلك، والرجوع إلى التفسير فيه تأكيد على هذا وتوضيح.

ومن الجدير بالذكر أن تفسير المراغي حوى تفسيراً للرأي وتفسيراً إشارياً ولم يقتصر على التفسير بالمأثور.

(١) ٢٨/١٨، وقد ذكر الطبري قول قتادة بأنها بيت المقدس، انظر تفسيره ٢١/١٨.

المبحث الثالث

الأحرف المقطعة

اختلفت كلمة العلماء والمفسرين في الأحرف المقطعة التي صدّرت بها تسع وعشرون سورة في القرآن الكريم، على قولين رئيسين:

أحدهما: أن هذا علم مستور وسرّ محجوب استأثر الله به، فهو من المتشابه، وممن أيد هذا الرأي السيوطي في الإتقان حيث قال: "ومن المتشابه أوائل السور، والمختار فيها أيضاً أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلاّ الله تعالى"، ونقل قول الشعبي في ذلك[1].

الثاني: أن المراد منها معلوم، وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجهاً، فمنها البعيد ومنها القريب، وقد ذكر بعضها الإمام الزركشي، ومنها:

١- أنها أسماء للسور.
٢- أن كلاً منها مأخوذ من اسم من أسماء الله تعالى، فالألف من الله، واللام من لطيف، والميم من مجيد.
٣- أنها أدوات للقسم.
٤- أن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي (أ، ب، ت، ث، ...) فجاء بعضها مقطعاً، وجاء تمامها مؤلفاً ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعلقونها ويبنون كلامهم منها.
٥- أنها كالمهيّجة لمن سمعها من الفصحاء، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل والأخذ في التفاضل[2].

وهذا الاخير هو الذي اختاره الشيخ المراغي في تفسيره، وعبّر عنه بقوله: "هي حروف للتنبيه كألا ويا ونحوهما مما وضع لإيقاظ السامع إلى ما يلقى بعدها، فههنا جاءت للفت نظر المخاطب إلى وصف القرآن الكريم والإشارة إلى إعجازه وإقامة الحجة على أهل الكتاب، إلى نحو ذلك مما جاء في أثناء السورة[3].

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٢/٢.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٧٢/١-١٧٣.

(٣) ٣٩/١.

ويشير الشيخ إلى أن هذا الرأي واحد من عدة آراء في معنى الحروف المقطعة، ولكنه برأيه هو ما يعول عليه منها، تجد ذلك في مطلع سورة آل عمران بقوله: "تقدم أن قلنا في السورة قبلها أن الـرأي الذي عليه المعوّل إن الحروف المقطعة التي وقعت في أوائل السور هي حروف للتنبيه كألا ويا، مما جاء في أوائل الكلام لتنبيه المخاطب إلى ما يلقى بعدها، من حديث يستدعي العناية بفهمه[١].

وفي مقام آخر يقول: " إن أصح الآراء في الحروف المقطعة التي في أوائل السور أنها حروف تنبيه كألا ويا ونحوها"[٢].

ويوضح الشيخ في مطلع سورة العنكبوت حكمة البدء بالحروف المقطعة للتنبيه بها وأنه من أساليب الكلام فيقول: "فإن الحكيم إذا خاطب من يكون مشغول البال قدّم على المقصود شيئاً غيره ليلفت المخاطب بسببه إليه، فحيناً يكون كلاماً مفهوماً، كقول القائل: اسمع أو ألق بالك إليّ، وحيناً يكون في معنى الكلام المفهوم كقولك: يا عليّ، وحيناً يكون صوتاً غير مفهوم المعنى، كمن يصفر خلف إنسان ليلتفت إليه.

فالنبي وإن كان يقظ الجنان، فهو إنسان يشغله شأن عن شأن[٣]، فحسن من الحكيم الخبير أن يقدم على المقصود حروفاً هي كالمنبهات لا يفهم منها معنى لتكون أتم في إفادة التنبيه، لأنه إذا كان المقدم قولاً مفهوماً فربما ظن السامع أنه هو المقصود ولا كلام للمتكلم بعد ذلك ليصغي إليه، أما إذا سمع صوتاً لا معنى له جزم بأن هناك كلاماً آخر سيرد بعده، فيقبل إليه تمام الإقبال، ويرهف السمع إلى ما سيأتي[٤].

بيانه لآراء أخرى في معنى الحروف المقطعة:

وقد عرض الشيخ لبعض الآراء الأخرى للعلماء أثناء تفسيره للحروف المقطعة من ذلك:

- ما يقوله في مطلع سورة الأعراف: "ويرى بعض العلماء أنها أسماء للسور والأسماء المرتجلة لا تعلل، كما يرى آخرون أن الحكمة في ذكرها بيان إعجاز القرآن بالإشارة إلى أنه مركب من هذه الأحرف المفردة التي يتألف منها الكلام العربي، ومع ذلك لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، ليؤديهم

---

(١) ٣/٩٢.

(٢) ١٦/٩٤.

(٣) والأحسن أن يكون المقصود من التنبيه من استمع القرآن من النبي أو من يقرؤه بعد ذلك، أما هو عليه الصلاة والسلام، فإنه مجرد حضور الوحي كافٍ في شدّ انتباهه وعدم تشاغله.

(٤) ٢٠/١١١.

النظر إلى أنه ليس من كلام البشر، بل من كلام خالق القوى والقدر»[1]. وترى هنا أن الشيخ يكتفي بعرض الآراء دون مناقشتها. ويذكر الشيخ رأي من يقول إن الحروف المقطعة هي من مظاهر إعجاز القرآن وتحديه، بصورة توهمك انه يتبناه، وذلك قوله: "إن كل سورة بدئت بهذه الحروف ففيها انتصار للقرآن وبيان أن نزوله من عند الله حق لا شكّ فيه"[2]. وهو بالاستقراء لا يتبنى هذا الرأي، وإنما يعده مرجوحاً.

بيانه كيفية قراءة الأحرف المقطعة:

لا تكاد سورة افتتحت بالأحرف المقطعة تخلو في تفسيره من بيان لكيفية قراءة تلك الأحرف، من ذلك:

- ما جاء في سورة البقرة: "وتقرأ مقطعة بذكر أسمائها ساكنة الأواخر فيقال: ألفْ لامْ ميمْ، كما يقال في أسماء الأعداد: واحدْ إثنانْ ثلاثةْ[3].
- وما جاء في قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] قال: "وتقرأ بأسمائها فيقال: كاف ها يا عين صاد"[4].
- وفي مطلع سورة غافر ﴿حمٓ﴾ [غافر: ١] يقول: "وينطق بأسمائها فيقال: حاميم بتفخيم الألف وتسكين الميم"[5].
- وفي مستهل سورة الشورى ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١-٢] قال:"وينطق بأسمائها هكذا: حا ميم عين سين قاف"[6].

ربطه الأحرف المقطعة بما بعدها:

يذكر الشيخ المراغي أن السور التي بدئت بالأحرف المقطعة جاء بعدها ذكر القرآن إلاّ القليل، وهذا نص عبارته: "وقد ثبت بالاستقراء أن كل سورة في أوائلها حروف التهجي بدئت بذكر الكتاب

---

(١) ٨/٩٨.
(٢) ١٣/٦١.
(٣) ١/٣٩.
(٤) ١٦/٣٣.
(٥) ٢٤/٤٢، وفي قوله بتفخيم الألف لبس لأنه مصطلح تجويد وليس مقصوداً من كلامه وإنما يريد بالتفخيم المدّ.
(٦) ٢٥/١٣.

أو القرآن نحو: (الم، ذلك الكتاب/ المص كتاب أنزل إليك/ يس والقرآن/ ص والقرآن/ ق والقرآن/ حم تتزيل الكتاب) من سور البقرة، الأعراف، يس، ص، ق، الأحقاف.. على الترتيب، إلا ثلاث سور (كهيعص، الم أحسب الناس، الم غلبت الروم)[1] من سور مريم، العنكبوت، الروم، على الترتيب.

وجاء في سورة (ق) قوله: "وأكثر ما جاء ذلك – أي ورود الأحرف المقطعة – إذا ورد بعدها وصف القرآن كما هنا"[2].

وفي سورة العنكبوت يوجه الشيخ بدء السورة بالأحرف المقطعة مع عدم ذكر القرآن بعدها بقوله: "وقد بدئت هذه السورة بالحروف، وليس فيها البدء بالقرآن أو الكتاب من قبل أن فيها ذكر جميع التكاليف، وهي شاقة على النفس، فحسن البدء بحروف التنبيه للإيقاظ إلى ما يلقى بعدها"[3].

ويبين الشيخ أن السور المكية المستهلة بالأحرف المقطعة أعقبها ذكر الكتاب وأنّ المدنية منها وإن لم يذكر بعدها الكتاب فإن ما جاء فيها هو من أهم معالم صدق نبوة محمدﷺ تجد ذلك في قوله: "وبالاستقراء ترى أن السور التي بدئت بها – أي بالأحرف المقطعة – وبذكر الكتاب هي التي نزلت بمكة لدعوة المشركين إلى الإسلام، وإثبات النبوة والوحي، وما نزل منها بالمدينة كالزهراوين البقرة وآل عمران فالدعوة فيه موجهة إلى أهل الكتاب، وهكذا الحال في السور: مريم والعنكبوت والروم و ص و ن، فإن ما فيها يتعلق بإثبات النبوة والكتاب كالفتنة في الدين وكإيذاء الضعفاء لإرجاعهم إلى دينهم بالقوة القاهرة، والإنباء بقصص فارس والروم، ونصر الله للمؤمنين على المشركين، وكان هذا من أظهر المعجزات الدالة على نبوة محمد ﷺ [4].

الإحالة في تفسير معناها:

حاول الشيخ تأكيد المعنى الذي اختاره للأحرف المقطعة بكثرة تكراره في مواضع متفرقة من التفسير، فكان كثيراً ما يشير إلى بيان مرور معنى هذه الأحرف ولكنه مع ذلك يذكره، وقد وقع هذا في ثماني عشرة سورة من مجموع السور التي افتتحت بالأحرف المقطعة، وفي عشرة مواضع أحال دون ذكر

---

(١) ٢٠/١١١، وهذا الكلام يصلح دليلاً لمن رجح كون الأحرف المقطعة مظهر إعجاز وتحد للعرب الناطقين بلغة القرآن ولكنهم أعجز من أن يأتوا بمثله.

(٢) ٢٦/١٥١.

(٣) ٢٠/١١٢.

(٤) ٨/٩٨.

المعنى وهي في سور: يوسف، إبراهيم، الروم، لقمان، السجدة، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف[1].

ما رجحه الشيخ المراغي في الأحرف المقطعة مقبول:

حين أشار الشيخ الزركشي إلى تعدد الآراء حول معنى الأحرف المقطعة ذكر أن منها البعيد ومنها القريب[2]، ويرى الباحث أن ما يرجحه الشيخ فيها بأنها حروف للتنبيه والرأي القائل بأنها إشارة إلى أن هذا القرآن هو من عين الحروف التي تتكلمون بها أيها العرب، ومع ذلك فإنكم عاجزون عن محاكاتها، هما من أقرب الآراء في معنى هذه الأحرف، مع الإشارة إلى أن الوقوف على مراد الحق سبحانه وتعالى من هذه الأحرف على وجه القطع لا يتسنى إلا بورود نص من كتاب أو سنة، ولا يتوافر شيء من ذلك، والله أعلم.

---

(١) فهذه ثمان وعشرون سورة وتأتي سورة البقرة تمام التسع والعشرين وهي أول سورة وردت فيها الأحرف المقطعة، فلم ترد فيها إحالة.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ١٧٣/١.

المبحث الرابع

أسباب النزول

سلك المراغي سبيل من سبقوه في قضية أسباب الترول، فساق الرواية دون تحقيق، واكتفى بما قرأه من تعليق من سبقه على بعض الروايات فيه، فإن لم يجد أحداً علق، فإنه لا يفعل، فمثلاً في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجُرات: ٦]، ذكر الرواية التي تقول إنها نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ونقل تعليق ابن كثير فقال: "وهذا من أحسن ما روي في سبب نزول الآية". ثم أعقبه بقول الرازي "هذه الرواية ضعيفة لأن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد، لأنه توهّم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقاً، كيف والفاسق في أكثر المواضع يراد به من خرج من ربقة الإيمان لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦][(١)].

وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ [التوبة: ٧٥]، ذكر السبب دون تعقيب، وقال: إنها نزلت في ثعلبة بن أبي حاطب[(٢)]، مع أنه بتدبر الأمر لا يقبل أن يكون هذا الصحابي البدري ممن نزل فيهم آية تتعلق بالمنافقين، ويدل على ذلك الواو وضمير الغائب المعطوف على (ومنهم) في الآية (٤٩) من السورة نفسها: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ [التوبة: ٤٩]، وقد تلاها نفس الضمير وتكرر، وحديث المنافقين في السورة ابتدأ من الآية (٤٢): ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ [التوبة: ٤٢] واستمر الحديث إلى نهاية السورة تقريباً باستثناء آيتين، فالسياق القرآني يدل على أن الحديث عن المنافقين، وأهل بدر هم من قال فيهم رسول الله ﷺ: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم)[(٣)].

وإذا نظرنا إلى سند الرواية نجده كذلك مطعوناً فيه، لا يوجد ما يشهد له ورجاله مطعون فيهم، وقد ردّه جهابذة العلماء، فقال ابن هشام بعد أن أورد أسماء من بنوا مسجد الضرار: (معتب بن قشير، وثعلبة والحارث ابنا حاطب وهم من بني أمية بن زيد من أهل بدر، وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من

---

(١) ١٢٧/٢٦ وانظر تفسير ابن كثير ٣٠٨/٤، وتفسير الرازي ١١٩/١٤.

(٢) ١٦٩/١٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب فضل من شهد بدراً ح (٣٩٨٣) وانظر فتح الباري ٣٠٤/٧.

أثق به من أهل العلم، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بـــدر)[1]، وقال ابن حزم في المحلى تعليقاً على سياق الآية ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾: "وهذه صفة أوردها الله تعالى يعرفها كل من فعل ذلك في نفسه، وليس فيها نصٌّ ولا دليل على أن صاحبها معروف بعينه، على أنه قد روينا أثراً لا يصح، وفيه انها في ثعلبة بن حاطب، وهذا باطل، لأن ثعلبة بدري معروف) وقـــال البيهقي بعد أن ذكر القصة مفصلة بسندها إلى أبي أمامة الباهلي. هذا حديث مشهور فيما بـــين أهـــل التفسير وإنما روي موصولاً بأسانيد ضعاف[2]. والنتيجة أن ثعلبة برئ مما نسب إليه من أنـــه المقصـــود بالآية المذكورة والله أعلم.

أسباب نزول صحيحة:

من الآيات التي ذكر لها الشيخ المراغي سبب نزول صحيح، سورة المسد، فقد ثبتت الروايـــة في صحيح البخاري[3]. وكـــذلك قولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[النور: ١١] و مابعدها، ويدخل ضمنها قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النـــور: ٢٢] التي نزلت في أبي بكر الصديق حيث كان ينفق على ابن خالته مسطح، وقد خاض الاخير في حديث الإفك، فأقسم أبو بكر ألا ينفق عليه، فترلت الآية، فعاد كسيرته الأولى[4].

وكذلك أوائل سورة المجادلة فقد نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت[5]. ومنـــها آية براءة ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبـة: ١١٨] نزلت في كعب بن مالك وهلال بـــن أميـــة ومرارة ابن الربيع [6].

---

(١) السيرة النبوية لأبي محمد بن الملك بن هشام ٥٥١/٢، ط. دار الفكر.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ابو بكر احمد بن الحسين النيسابوري ٢٩٢/٥ ط١ دار الكتـــب العلميـــة – بـــيروت (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

(٣) ٢٦٠/٣٠ روى سبب نزولها البخاري في كتاب التفسير ح(٤٩٧١) انظر فتح الباري ٧٣٧/٨.

(٤) ٨٢/١٨.

(٥) انظر المراغي ٢٨/٥، هذا الحديث رواه أبو عبد الله الحاكم في المستدرك كتاب التفسير ٤٨١/٢ ط. دار الفكر – بيروت – لبنان (١٣٩٨هـ ١٩٧٨م).

(٦) ٤١/١١ ورد حديثه في البخاري كتاب التفسير ح (٤٦٧٧) انظر فتح الباري ٣٤٢/٨.

وبالجملة فأكثر الآيات التي ذكر لها أسباب نزول يحتاج قوله فيها إلى تحقيق ،والسبب في ذلك أنه نقل عن غيره ولم يظهر في تفسيره جهد في تمحيص ما ساقه من روايات أو نقله من أسباب لنزول الآيات ... ومثال هذا تجده فيما ذكر من أسباب لنزول قوله سبحانه ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩] فقد ذكر أنه في رواية تخاصم المؤمنين مع اليهود، وفي أخرى أنها في الذين تبارزوا يوم بدر فمن المؤمنين حمزة وعلي وعبيدة ،ومن الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، وكان أبو ذر يقسم أن هذه الآيات نزلت في هؤلاء المتبارزين[1]، والمدقق في الرواية يرى أنها ليست سبباً لنزول الآية لعدم تزامن نزول الآية مع وقوع الحادثة أو السؤال، وأما قسم أبي ذر فيحمل على التفسير، وكما قال الزركشي كان من عادة الصحابة أنهم يقولون نزلت الآية في كذا، وهم يريدون أن الحادثة المشار إليها تأخذ حكم الآية [2].

وممايؤيد حاجة الأسباب التي ذكرها الشيخ المراغي لنزول هذه الآية (الحج: ١٩) إلى تحقيق ودراسة ما نجده في كتب التفسير من تعدد روايات أرجحها أنها نزلت في طائفة من المؤمنين وطائفة من الكفار[3].

وذكر الطبري أربع روايات رجح فيها أنها في جميع المؤمنين وجميع المسلمين[4].

وكذلك فقد ذكر كل من القرطبي وابن كثير عدة روايات في سببها، رجح منها ابن كثير رأي الطبري[5] ورجح القرطبي أنه في الذين تبارزوا يوم بدر من المؤمنين والمشركين[6].

وهكذا فإنك تجد عدم الاتفاق على سبب واحد لنزول الآية رغم أن مما ساقه المفسرون في سببها متفق عليه في البخاري ومسلم، وهذا يدل على أنه من باب التفسير ، إذ لو ثبت عند الصحابة أنه سبب نزول لم يصح منهم مخالفته ولا مجال فيه للرأي لأنه إنما يثبت بالرواية والسماع [7] والله أعلم.

---

(١) ١٠٢/١٧، وقد أخرج هذا الحديث مسلم في كتاب التفسير انظر مسلم بشرح النووي ١٦٦/١٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣١/١-٣٢.

(٣) تفسير الرازي ٢١/٢٣-٢٢.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٣١/١٧.

(٥) اظر تفسير ابن كثير ٢١٢/٣.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٥/١٢-٢٦.

(٧) انظر تفسير التابعي سفيان الثوري من رسالة ماجستير بعنوان أسباب النزول – دراسة وتحليل لعبد الرحيم أبو علبة.الفصل الأول المبحث الأول (معنى سبب النزول عند الصحابة والتابعين والمفسرين) ص٥٤ و ٥٥.

المبحث الخامس

المكي والمدني

عرض الشيخ في تفسيره لبعض الدراسات حول تتريل المكي والمدني، يشير إليها البحث في النقاط التالية:-

١ - تعريف المكي والمدني: -

في مستهل سورة المائدة يعرف الشيخ القرآن المدني، وهو يتحدث عن زمن نزول السورة الكريمة فيقول: "وهي مدنية، بناء على المشهور من أن المدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة"[١].

إذاً فتحديد المكي والمدني بناءً على هذا التعريف منوط بالزمان لا بالمكان، وهو بمفهومه يدل على أن المكي ما نزل قبل الهجرة ولو في غير مكة .

ولكن الشيخ قد خالف ما يقول إنه المشهور[٢] من تعريف المكي والمدني، وذلك في سورة البقرة، إذ يقول: "سورة البقرة: مدنية إلا آية إحدى وثمانين ومئتين، فقد نزلت بمنى في حجة الوداع"[٣]، فلم يعتبر تلك الآية مدنية لأنها لم تترل بالمدينة، وهذا خلاف المشهور.

٢ - بيان مكية السورة أو مدنيتها: -

حرص الشيخ في بداية كل سورة على بيان زمان نزولها، وهل هي من العهد المكي أو المدني: ففي سورة البقرة، رأيت كيف ذكر مدينة السورة واستثنى من ذلك آية واحدة [٤]، وفي سورة المرسلات قال: "هي مكية إلا آية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨][٥]. وفي سورة سورة النصر قال: "هي مدنية "[٦]. وفي سورة الفلق: "هي مكية"[٧].وهكذا...

---

(١) ٦/ ٤١.

(٢) وقد ذكر اشتهاره الزركشي في البرهان ١/ ١٨٧.

(٣) ١/ ٣٩.

(٤) وقد ذكرها السيوطي في الاتقان من السور المدنية ولم يستثن من آياتها شيئاً ،انظر الاتقان ١/ ٢٩ و٣٣ وقد ذكر صاحب المنار نزول الآية (٢٨١) في حجة الوداع على أن السورة كلها مدنية، انظر تفسير المنار –محمد رشيد رضا– ١/ ٨٨.

(٥) ٢٩/ ١٧٨ وقد ذكرها السيوطي في التتريل المكي ولم يستثن منها شيئاً ،انظر الإتقان ١/ ٣١.

(٦) ٣٠/ ٢٥٧.

(٧) ٣٠/ ٢٦٦.

٣ - موضوعات السور المكية والمدنية: -

هذا عنوان أفرده الشيخ المراغي بالبحث في ختام تفسير سورة الأنفال، وذكر تحته أن أمهات المسائل التي ذكرت في السور المكية هي:-

أصول الإيمان، ثم أصول التشريع العامة، والآداب والفضائل الثابتة، وجاء في أثناء ذلك محاجّة المشركين ودعوهم إلى الإيمان بتلك الأصول، ودحض شبهاهم وإبطال ضلالتهم والنعي على خرافاهم..

وأمهات ما جاء في السور المدنية: قواعد التشريع التفصيلية ومحاجة أهل الكتاب ببيان ما ضلوا فيه من هداية كتبهم ورسلهم، وبيان فضائح المنافقين(١).

٤ - ميزات المكي والمدني: -

في مقدمة لخص فيها الشيخ أهم ما تشتمل عليه سورة الفاتحة، تحدث عن ميزات كل من التتريل المكي والمدني، جاء منها:-

أن المكي نزل لبيان أسس الدين مع إيجاز في التعبير واختصار في الأسلوب، ويتضح ذلك جلياً في قصار المفصل كالحاقة والواقعة والمرسلات.

وأن المدني جاء بأحكام العبادات والمعاملات، إلى إسهاب في الأسلوب، وبسطة في القول، ولا سيما عند محاجة أهل الكتاب وبيان أن الإسلام الذي جاء به القرآن هو دين الأنبياء صلوات الله عليهم(٢).

٥ - بعض مسائل المكي والمدني: -

أ- قوله سبحانه ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]، هذه الآية مدنية، ويذكر الشيخ أها نزلت في استغفار النبي ﷺ لعمه أبي طالب حين قال ﷺ له: (والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)(٣).

وبعد ذلك يناقش المراغي هذه القضية نقلاً عن بعض العلماء، فإهم قالوا : لقد كان موت أبي طالب

---

(١) ١٠/٤٦.

(٢) ١/٢٥ وما ذكره في ميزات المكي والمدني هو قليل مما ورد في كتب علوم القرآن من ذلك. انظر الاتقان للسيوطي ١/٤٩-٥٠.

(٣) هذا الحديث متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الجنائز باب٨: إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ، من حديث طويل رقم (١٣٦٠)، انظر فتح الباري ٣/٢٢٢، ورواه مسلم كتاب الإيمان باب وفاة أبي طالب، انظر مسلم شرح النووي ١/٢١٤ وفيهما فأنزل الله عز وجل (ما كان للنبي والذين معه أن يستغفروا للمشركين) الآية.

بمكة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات ومن ثم استبعدوا أن تكون نزلـــت في أبي طالـــب، وأجـــاب آخرون بأن الذي حصل قد يكون أحد أمرين:

١- أنها نزلت عقب موته ثم ألحقت بهذه السورة المدنية لمناسبتها لأحكامها الخاصة بالبراءة من الكفـــار وفضيحة المنافقين.

٢- أنها نزلت مع غيرها من براءة مبينة لحكم استغفار الرسول ﷺ له، وقد كان من ذلـــك الحـــين إلى نزول الآية يستغفر لأبي طالب، فإن التشديد على الكفار والبراءة منهم، إنما جاء في هذه السورة[١].

وبناء على الأمر الأول تكون الآية مكية، وعلى الأمر الثاني تكون الآية مدنية.

ب- في مطلع سورة (ق) قال: "هي مكية إلا آية ٣٨ فمدنية"[٢].

وبالرجوع إلى كتب التفسير فإن ممن استثنى الآية المذكورة فقال إنها مدنية الإمـــام القـــرطبي في تفسيره وقد نسب هذا القول لابن عباس وقتادة[٣]، لكن التفسير المنسوب لابن عباس على أن السورة كلها مكية بلا استثناء[٤].

كذلك فقد ساق السيوطي في الدر المنثور رواية عن ابن عباس أن السورة كلها مكية [٥].

جـ - في مستهل سورة المسد يقول الشيخ: "هي مكية، نزلت بعد سورة الفتح"[٦].

والمشهور أن سورة الفتح مدنية [٧]، فكيف تكون السورة المكية قد نزلت بعد السورة المدنيـــة، فهذا خطأ ظاهر من الشيخ رحمه الله.

---

(١) ٣٦/١١ وقد أورد الواحدي هذه القصة سبباً لنزول الآية وساق رواية الشيخين ، انظر أسباب نزول القـــرآن لأبي الحسن الواحدي تحقيق السيد أحمد صقر ص (٢٦٣) ط٢ دار القبلة الإسلامية –جدة (١٤٠٤هـــ - ١٩٨٤).

(٢) ١٥٠/٢٦.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١/١٧.

(٤) انظر تفسير ابن عباس على هامش الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٥٠/٥ط. دار المعرفة–بيروت.

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور –جلال الدين السيوطي- ١٠١/٦.

(٦) ٢٦٠/٣٠.

(٧) انظر الاتقان للسيوطي ٣٠/١.

المبحث السادس

القراءات القرآنية

تفسير المراغي هو تفسير للقرآن على رواية حفص عن عاصم، وهي القراءة المشـــهورة في بـــلاد مصر، وقد سبقت الإشارة غير مرة إلى أن الرجل كتب تفسيره لغير المتخصصين ليكون سهل المأخذ، لم يعن الشيخ بذكر القراءات المختلفة للآيات إلا إذا كانت تخدم غرضاً في معنى الآية وفهمها.

والمواضع التي فيها إشارة لشيء من هذه القراءات لا تتجاوز التسعة من مبدأ التفسير إلى منتهاه، وهي:-

- في قوله تعالى ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢] قـــال: "في (الملكين) قراءتان: فتح الام وكسرها"[١]. وفي كسر اللام إضافة الملكية لهما إلى جانب الملائكية.
- وفي قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] قال: "والحج بكسر الحاء وفتحها، وبهما قرئ" [٢]. وهذا يبين لغتين من لغات العرب في الكلمة .
- وفي قوله ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥] قال: قرأ يعقوب وحفص بكسر الهاء وتشديد الدال وأصله يهتدي"[٣].
- وفي قوله سبحانه ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ [يوسف: ٥٩] قال في جهاز: "بالكسر والفـــتح وبهما قرئ[٤]، وقد بين أنهما يستويان في المعنى، والمشهور على ألسنة الناس قراءتهـــا بالكســـر، ولكن قراءة حفص جاءت بفتحها .
- وفي قوله جل وعلا﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ ﴾ [يوسف: ١١٠] ذكر

---

(١) ١٨١/١، وهي بكسر اللام قراءة شاذة لم أجدها في المتواتر.

(٢) ٤/٤، قرأ بكسر الحاء حفص وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف لغة نجد ورافقهم الأعمش والباقون بالفتح لغـــة أهل العلية والحجاز وأسد، انظر إتحاف فضلاء البشر ٤٨٥/١. [أحمد بن محمد البنا ١٠٩/٢ ط عـــالم الكتـــب-بيروت].

(٣) ١٠٤/١١، وانظر إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر .

(٤) ٩/١٣ ولم أجد هذه القراءة (بكسر الجيم) في المتواتر فهي قراءة شاذة.

أن كذبوا تقرأ مخففة[1].

وفي قوله تعالى ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] ذكر عن ابن عباس أن النبي – ﷺ– كان يقرأ (أمامهم)، وقد ذكر هذه القراءة بعد أن فسر وراء بمعنى أمام على انه لفظ يستعمل في لغة العرب للشيء وضده[2].

وفي قوله ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] قال في (ترجي)" وقرئ ترجئ" [3]. وقد اثبت هذه القراءة ليدل على أنها من الإرجاء وفيها الهمزة .

وفي قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال: "الأسوة بضم المزة وكسرها وبهما قرئ "[4].

وأخيراً في قوله سبحانه ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢٨].

قال في (كذاباً): "وقرئ بالتخفيف بمعنى (كذباً)" [5].

---

(١) ٥٦/١٣: عاصم وحمزة الكسائي وأبو جعفر وخلف بالتخفيف ورافقهم الأعمش ورويت عن عائشة وروي عنها إنكارها ، انظر الإتحاف ١٥٦/٢.

(٢) ٦/١٦.

(٣) ٢٤/٢٢ قرأ بالهمزة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر ويعقوب، انظر الإتحاف ٣٧٧/٢.

(٤) ٦٥/٢٨، وقد اختلف في الهمزة في(أسوة) في الأحزاب وموضعي الممتحنة: فعاصم بضم الهمزة في الثلاثة، وافقه الأعمش ، وهي في لغة قيس وتميم، والباقون بكسرها، لغة الحجاز، انظر الإتحاف ٣٧٣/٢.

(٥) ١١/٣٠ الكسائي بتخفيف الذال، مصدر كاذب كقاتل قتالاً أو مصدر كذب ككتب كتاباً، والباقون بتشديدها مصدر كذب تكذيباً وكذاباً. انظر الإتحاف ٥٨٤/٢.

المبحث السابع

القصص القرآني

تحدث الشيخ المراغي عن القصص في القرآن الكريم ضمن القضايا الرئيسة التالية:-

١ - أغراض القصص القرآني: -

في تفسير الآيات الأولى من سورة هود تجد تلخيصاً لأهم أغراض قصص القرآن الكريم، فقد جاء تحت عنوان (ما حوته قصص القرآن) قوله: ويمكن أن نجمل أغراضها فيما يلي: ....، وعدّدها[١].

٢ - أسلوب القصص القرآني: -

جاء بيان أسلوب القصة القرآنية في غير موضع من هذا التفسير من ذلك:

- ما أشار إليه الشيخ المراغي من أن القصة القرآنية لا تذكر إلا ما تمس الحاجة إليه من الفائدة، أما ذكر التفاصيل والجزئيات فربما شغل عن ذلك، إلى ما فيها من خلاف ربما يذهب الثقة بها[٢].
- ومنه ما ذكره في أسلوب قصة سيدنا يوسف عليه السلام قال:- "هذه الآيات الثلاث في قص يوسف رؤياه على أبيه وهو صغير ، وفيما أجابه به أبوه من منعه عن قصه لإخوته خيفة الحسد والكيد له، وفي تعبير تلك الرؤيا له، وما فيها من البشارة وحسن العاقبة، وأنه سيكون له شأنه عند الله تعالى وعند الناس، وقد شغف أبوه بحبه وتعلق به أمله، وكان ذلك بدءاً لما جد له من أحداث ضر وبؤس، ثم عاقبة حميدة كانت ذكرى للذاكرين وعدة للمتقين، ولم يذكر ذلك إلا في آخر السورة، وقد احتذى هذا الأسلوب كثير ممن وضعوا كتب القصص (الروايات) فتراهم يبدؤون بذكر نبأ هام يشغل بال القارئ، ويحيره في فهم علله وأسبابه، وما يزالون يتدرجون به من حال إلى حال ومن شرح معمى وكشف خفي رويداً بأناة وحذق حتى يشرحوا ذلك النبأ في نهاية القصص"[٣].

وتراه أحياناً يقارن بين أسلوبين من أساليب التعبير عن قصة واحدة وردت في أكثر من موضع، من ذلك ما جاء في تعنيف قوم لوط في سياق قصته عليه السلام معهم في سورة الأعراف ، فقد ورد

---

(١) ١٢/١٤.

(٢) ٢/٢١٥.

(٣) ١٢/١١٤.

قوله لهم ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١] قال الشيخ: "وقد جاء في سورة النمل : ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، وفي سورة العنكبوت ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَ﴾ [٢٩]، وفي هذا دليل على أنهم كانوا مسرفين في لذاتهم متعدين حدود العقل والفطرة، لايعقلون ضرر ما يفعلون بجنايتهم على النسل والصحة والآداب العامة، فهم لو عقلوا ذلك لاجتنبوها، ولو كان لديهم شيء من الفضيلة لانصرفوا عنها"(١).

ومنه ما ورد في الفرق بين أسلوب عرض جانب من قصة بني اسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام في سورة الأعراف وما بعدها، وما جاء في سورة البقرة، وعد من هذه الفروق ستة (٢).

٣ - **العبرة من القصص القرآني:** -

عني الشيخ المراغي بتجلية فوائد القصص القرآني وما يستخلص منه من عبر كلما سنحت الفرصة لذلك، وإنك لتجد أن هذه هي أكثر قضية من قضايا القصص القرآني وضوحاً في تفسيره، ومن أمثلة ذلك:-

ما جاء في امتنان القرآن على بني إسرائيل في قصتهم مع آل فرعون في سورة البقرة إذ يقول: "والعبرة من هذا القصص أنه كما أنعم على اليهود ثم اجترحوا الآثام فعاقبهم بصنوف البلاء، ثم تاب عليهم وأنجاهم، أنعم على الأمة الإسلامية بضروب من النعم، فقد كانوا أعداءً فألف بين قلوبهم، وأصبحوا بنعمته إخواناً، وكانوا مستضعفين في الأرض فمكن لهم، وأورثهم أرض الشعوب القوية، وجعل لهم فيها السلطان والقوة، وجعلهم أمة وسطاً لا تفريط لديها ولا إفراط، ليكونوا شهداء على من أفرطوا أو قصروا، ...الخ "(٣).

فانظر كيف حاول الشيخ أن يوظف القصة القرآنية ويوجهها ليعتبر قارئ القرآن ممن سبق من الأمم، وهي من أبرز فوائد القصص القرآني.

وفي قوله سبحانه ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠] يؤكد الشيخ المعاني التي ذكرها في المثال

---

(١) ٨/٢٠٥.

(٢) ٩/٩٠-٩٢.

(٣) ١/١١٣.

السابق، ثم يختمه بذكر ثمرة هذه العبرة في الأمة الإسلامية بقوله: " فكان عليهم أن يتقوا كل ما قصه من ذنوب الأمم التي هلك بها من قبلهم، وزالت بها الدولة لأعدائهم"[(١)]. وفي ختام سورة يوسف يستخلص الشيخ العبرة من القصة برمتها[(٢)].

● ومن فوائد القصص القرآني: -

مابينه في قصة طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنماً يعبدونـــه، وتمـــردهم عليه، يقول الشيخ: "وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ عمّا رآه من يهود المدينة، فإنهم جروا معه على دأب أسلافهم مع أخيه موسى صلوات الله عليه، وإيقاظ المؤمنين ألاّيغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة نعم الله تعالى عليهم، فإن بني إسرائيل وقعوا فيما وقعوا فيه من جراء غفلتهم عمّا منّ الله تعـــالى علـــيهم مـــن النعم"[(٣)].

وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح يشير الشيخ إلى عدة فوائد منها:-

١-ألا يعجب المرء بعمله.

٢- تأديب نبيه عليه الصلاة والسلام .

٣- توجيه إلى كثير من الحوادث اليومية التي تشبه في حكمتها ما جرى أمـــام ســـيدنا موســـى عليـــه السلام[(٤)].

ولو أردت استقصاء المواطن التي ورد فيها استخراج العبر والفوائد من القصص القرآني في تفسير المراغي لطال بالبحث المقام، وحسب القارئ ما تقدم من أمثلة وما سواها شبيهة بها.

٤ - تكرار القصص القرآني وحكمة ذلك: -

أشار الشيخ في مواضع عدة من التفسير إلى ورود القصة الواحدة في أكثر من سورة مـــن ســـور القرآن الكريم، من ذلك:-

ما جاء في قصة إغواء إبليس لآدم عليه السلام في سورة (طه)، قال الشيخ: "وقـــد تقـــدم هـــذا القصص في سورة البقرة والأعراف والحجر والإسراء والكهف، وسيأتي ذكره في سورة (ص)"[(٥)].

---

(١) ١٧/٩.

(٢) ٥٧/١٣.

(٣) ٥١/٩.

(٤) ٩/١٦-١٠.

(٥) ١٥٩/١٦.

ويقول في سورة الإسراء: "ذكر سبحانه قصص آدم في سبع سور: البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، الكهف، طه، ص"[1].

وفي سورة الشعراء ذكر سبحانه هذه المناظرة بين موسى عليه السلام والقبط، في سورة الأعراف وسورة طه وفي هذه السورة"[2].

وعن حكمة تكرار القصص في القرآن يقول:

"والحكمة في تكرار القصص في القرآن الكريم، وفي ذكر بعضها على طريق الإشارة في بعض المواضع وبالتفصيل في بعض آخر، أنه قد يكون الغرض تارة إقامة الحجة على قدرته تعالى وتوحده في ملكه، وقهره لعباده حيناً، وترقيق قلوب المخاطبين حيناً آخر، وإنذار عباده وإعذارهم مرة ثالثة، ولا شكّ أن كل مقام من الكلام له لون منه من بسط أو إيجاز لا يكون لغيره"[3].

وقد أخر الشيخ ذكر حكمة تكرار القصص إلى الجزء الثلاثين، فشمل بذلك الحديث عن قصص القرآن كلها ما تكرر منها وتنوع أسلوب عرضه.

---

(١) ١٥/٦٩.

(٢) ١٩/٥٩.

(٣) ٣٠/١٤٥.

المبحث الثامن

المبهمات

إبهام الشيء لغة: أن يشتبه فلا يعرف وجهه، وأمر مبهم: لا مأتى له واستبهم الأمر إذا استغلق.

ونقل صاحب اللسان عن الخطابي قوله: البهم بالضم جمع البهيم، وهو المجهول الذي لا يعرف[1].

ويحسن قبل بيان منهج الشيخ في التعامل مع المبهمات أن يعرض البحث لبعض أسباب الإبهام في القرآن وحدود ما يجوز البحث عن مبهماته :

ذكر الزركشي والسيوطي سبعة أسباب للإبهام في القرآن الكريم، هي:

١. الاستغناء ببيانه في موضع آخر، مثل الإبهام في قوله تعالى﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٧] وتفسيره في قوله ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [النساء: ٦٩].

٢ . أن يتعين لاشتهاره كقوله ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] ولم يقل حواء لأنه ليس غيرها.

٣. قصد الستر عليه ليكون أبلغ في استعطافه نحو ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، فقد قيل إنها نزلت في الأخنس بن شريق، وقد أسلم بعد وحسن إسلامه[2].

٤. ألا يكون في تعيينه كبير فائدة، كقوله تعالى ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] المراد أيلة، وقيل طبرية.

٥. التنبيه على العموم، وأنه غير خاص، بخلاف ما لو عيّن، نحو ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا ﴾ [النساء: ١٠٠]

٦. تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله سبحانه ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ ﴾ [النور: ٢٢]، فقد نزلت في أبي بكر الصديق عندما حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة بمنفعة أبداً بعدما قال في

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ١٢/٥٧-٥٨.

(٢) وقد نقل عن ابن عطية قوله: ما ثبت قط أن الأخنس أسلم، على أن قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء جعلوا هذه الآية عامّة في كل من أبطن كفراً أو نفاقاً أو كذباً أو ضراراً ،انظر تفسير القرطبي٣/١٥.

عائشة في حديث الإفك.

٧. تحقيره بالوصف الناقص كقوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] والمراد فيها العاصي بن وائل[١].

وعما يجوز البحث فيه من المبهمات أو لا يجوز، يقول الإمام الزركشي : "على أنه لا يبحث فيما أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠][٢] وعن مصدر بيان المبهمات ورفع إشكالها يقول السيوطي: "اعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض، لا مجال للرأي فيه"[٣].

وعلى هذا فما صح نقله من مأثور التفسير عن رسول الله ﷺ وصحابته وسعنا أن نأخذ به، وما لم يصح فترك الخوض فيه أولى، لأنه لو كان في بيانه مزيد فائدة لنا لم يطوه عنا رسول الله ﷺ، وقريب من هذا ما صرّح به الشيخ المراغي في مسألة المبهمات، وهو مدخل البحث إلى رأيه إذ يقول عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢] " أي يقول فلا تجادل في شأن الفتية إلا جدالا ًسهلاً ليناً، وقص عليهم ما جاء في الكتاب الكريم دون تكذيب لهم في تعيين العدد ولا تجهيل لهم في الحديث، إذ لا يترتب على ذلك كبير فائدة، لأن المقصد من القصة هو العظة والاعتبار، ومعرفة أن البعث حاصل لا محالة، وهذا لا يتوقف على عدد معين على أن ذلك- يعني الخوض فيها بغير علم وتكذيب الناس وتجهيلهم – مما يخل بمكارم الأخلاق التي بعث لإتمامها"[٤].

وقد كثرت النصوص التي ترفض الخوض في مبهمات القرآن في هذا التفسير، لأن القرآن أضرب عن بيانها، ومن أمثلة هذه النصوص:

ما جاء في القرية التي أمر أمر بنو اسرائيل بدخولها في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨] إذ يقول الشيخ:"لم يعين الكتاب الكريم هذه القرية، فلا حاجة إلى تعيينها، وهم قد دخلوا بلادا ًكثيرة، وإن كان المروي عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم أنها بيت المقدس"[٥].

---

(١) انظر البرهان للزركشي ١/١٥٥-١٦٠، والاتقان للسيوطي ٢/٤٠٣-٤٠٤.

(٢) انظر البرهان ١/١٥٥.

(٣) انظر الاتقان٢/٤٠٤.

(٤) ١٥/١٣٦.

(٥) ١/١٢٤.

وفي قوله تعالى ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]يقول: "والكتاب الكريم لم يبين لنا عدد هؤلاء القوم ولا أمتهم ولا بلدهم، ولوعلم أن في ذلك خيراً لنا لتفضّل علينا ببيانه في محكم كتابه، فنكتفي بما فيه، ولا ندخل في تفاصيل ذكرت في الإسرائيليات، هي إلى الأوهام والخرافات أقرب منها إلى الحقائق التي تصلح للعبرة وتكون وسيلة إلى الموعظة"(١).

وفي جزء من قصة يوسف عليه السلام يقول الشيخ: "ولم يبين الكتاب الكريم اسم الذي اشتراه من مصر ولا منصبه ولا اسم امرأته، لأن ذلك لا يهم في العبرة من القصة ولا يزيد في العظة (٢).

وينقل الشيخ بعض ما روى القصاصون عن المدة التي قضاها سيدنا سليمان متكئاً على عصاه حتى علم الجن بموته، وأنها كانت سنة، ثم يبين أن العقل لا يجيز ما يقولون، يقول: "فليس من الجائز أن خدم سليمان لا ينتبهون إلى القيام بواجباته المعيشية من مأكل ومشرب وملبس ونحوها يوماً كاملاً دون أن يحادثوه في ذلك ويطلبوا إليه القيام بخدمته، فالمعقول أن الأرضة بدأت العصا وسليمان لم ينتبه لذلك، وبينما هو متكئ عليه حانت منيته، وكانت الأرضة قد فعلت فعلها في العصا فانكسرت فخر على الأرض ، فعلمت الجن كذبها إذ كانت تدعي أنها تعلم الغيب ، إذ لو علمته لما لبثت ترهق نفسها في شاق الأعمال التي كلّفت بها"(٣).

وفي موت سليمان عليه السلام كلام في كتب التفسير غالب ما فيه من الإسرائيليات، وجواب الشيخ المراغي قريب إلى النفس، على أن بعض الروايات تجيز أن يغفل عنه الجن أكثر من يوم لأن عادته كانت أن يستغرق هذه المدة في العبادة أو يزيد عليها(٤)، لكن أن تصل إلى السنة فمما يستبعده العقل، والله أعلم.

وإلى جانب ما وضعت يدك عليه من نصوص تشير إلى منهج جيد في تعامله مع مبهمات القرآن، فإنك تجد الشيخ ينقل آراء العلماء في تفسير المبهمات والاختلاف في تعيينها، من ذلك:-

---

(١) ٢٠٨/٢.

(٢) ١٢٥/١٢.والحقيقة أنّ القرآن الكريم بيّن منصب الذي اشتراه من مصر (قالت امرأة العزيز). وفي هذا البيان فائدة لحياة يوسف عليه السلام في قصر الحكم بعد ذلك.

(٣) ٦٨/٢٢-٦٩.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٢٧٨/١٤.

ما جاء في قوله سبحانه﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[البقرة: ٣٥] قال: "واختلفت آراء العلماء في الجنة المرادة هنا، فمن قائل إنها دار الثواب التي أعدها الله لمؤمنين يوم القيامة، لسبق ذكرها في هذه السورة، وفي ظواهر السنة ما يدل عليه، فهي إذاً في السماء، حيث شاء الله منها، ومن قائل إنها جنة أخرى خلقها الله تعالى امتحاناً لآدم عليه السلام، وقيل بفلسطين وليست هي الجنة المعروفة".

وختم الشيخ كلامه بترجيح أنها ليست هي الجنة المعروفة نقلاً عن الألوسي في تفسيره [1].

كذلك فقد تكلم في نوع الطعام الذي نزل في مائدة عيسى عليه السلام، قال: "وللعلماء في الطعام الذي نزل في المائدة آراء، فقيل هو خبز وسمك، وقيل خبز ولحم، وقيل: كان يترل عليهم الطعام أينما ذهبوا، كما كان يترل المن على بني إسرائيل، رواه ابن جرير عن ابن عباس"[2].

وقد عين الشيخ أسماء طواها القرآن ولم يذكرها، منها بعض أسماء إخوة يوسف[3]، واسم عاقر ناقة صالح[4]، واسم الرجل الذي جاء من أقصى المدينة في يس [5]، وغير ذلك.

ومما يزيد التناقض بين ما سبق بيانه من إنكار الشيخ للخوض في المبهمات بغير دليل ثابت وبين بيانه لبعضها ، ان يكون هذا البيان مستنداً إلى بعض الروايات الإسرائيلية، من ذلك:

ما جاء في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾[المائدة: ٢٣]قال: "والتوراة تبعها المفسرون قاطبة على أن الرجلين هما يوشع بن نون وكالب بن يفنه" [6].

---

(١) ١/٩٠-٩١: وفيه يقول" قال الألوسي في تفسيره روح المعاني: ومما يؤيد هذا الرأي..." والحق ان الألوسي لا يؤيد ما ذهب إليه المراغي من أنها جنة على الأرض ولكنه أورده وساق أدلة أصحابه، وكان قد قرر أن المشهور فيها أنها الجنة المعروفة ثم ختم قوله :"والأدلة متعارضة فالأحوط والأسلم هو الكف عن تعيينها ، والقطع به" انظر روح المعاني للألوسي ٢٣٣/١ ، وليت الشيخ المراغي رحمه الله أتم العبارة فوقف على حقيقة رأي الرجل علماً بأن نقله عنه ليس دقيقاً .

(٢) ٥٩/٧ وانظر رواية ابن جرير الطبري عن ابن عباس في تفسير الطبري ٨٧/٧.

(٣) ١١٩/١٢.

(٤) ٩١/٢٧.

(٥) ١٥٣/٢٢.

(٦) ٩٢/٦.

وتحت عنوان (ملخص قصة أهل الكهف كما أثر عن العرب) لخص الشيخ قصة أصحاب الكهف من مبدئها إلى منتهاها، وذكر فيها اسم مدينة أصحاب الكهف، واسم الجبل الذي هو فيه، وبعض أسماء أصحابه، واسمي رجلين كانا يكتمان إيمانهما في ذلك الزمن، واسم الملك الكافر الذي كان يضطهد المؤمنين، ثم اسم الملك الصالح الذي كشف أمر أصحاب الكهف في زمانه، ثم بعد ذلك كله قال: "ذلك هو القصص الذي جعله النصارى دليلاً على البعث" [(١)].

وفي بيان الرجل المؤمن من آل فرعون قال الشيخ: " هو ابن عم فرعون وولي عهده وصاحب شرطته، وهو الذي نجا مع موسى عليه السلام، وهو المراد بقوله ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠][(٢)].

والقول بأنه ابن عم فرعون ينسب إلى السدي، أما كونه المقصود من آية القصص فينسب إلى مقاتل[(٣)]، وما فيه شيء مرفوع ، والله تعالى أعلم.

وهكذا تجد أن الشيخ تبع كثيراً من المفسرين في الخوض في تفسير المبهمات، واعتمد في ذلك أحياناً على بعض الأخبار الإسرائيلية، وبهذا يخالف ما قرره في غير موضع من تفسيره بأن الأفضل هو ترك تحديد هذه المبهمات والاكتفاء فيها بما ورد من صحيح الأخبار، وما طوي منها فلا حاجة لنا به، وكل ذلك تقدم بيانه.

---

(١) ١٥/١٢٠.

(٢) ٢٤/٦٣.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٥/٣٠٦.

المبحث التاسع

المتشابه

قبل التعرض لبحث المتشابه في تفسير المراغي يحسن الوقوف على المراد منه لغة واصطلاحاً.

المتشابه لغة:– قال الراغب: الشِّبه والشَّبه والشبيه حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية كـــاللون والطعم، وكالعدالة والظلم، والشّبهة هو أن لا يتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه عينـــاً كان أو معنى.

واصطلاحاً: المتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى[1].

وقد ورد ذكر المتشابه قليلاً في تفسير المراغي، وذلك في تفسير آيتين ثنتين:–

الأولى في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]

والثانية:قولـــــــه تعـــــالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ ﴾[آل عمران: ٦] وفي آية آل عمران هذه:–

أ– وضَّح المقصود بالمتشابه.

ب– ذكَر بعض الآراء في الآية.

جـــ – أَجاب عن سبب وجود المتشابه في القرآن.

أما آية البقرة، فقد جعلها مثالاً على ورود المتشابه في القرآن الكريم:

أ– في توضيح مصطلح المتشابه والمحكم قال الشيخ: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منقسماً إلى محكـــم العبارة، بعيد عن الاحتمال والاشتباه، ومتشابه وهو ضربان:

١– ما يدل اللفظ فيه على شيء، والعقل على خلافه، فتشابهت في الدلالـــة ولم يمكـــن التـــرجيح كالاستواء على العرش[1].

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٥٤.

٢- ما استأثر الله تعالى بعلمه من أحوال الآخرة [٢] .

وقد أشار الشيخ إلى أن مصطلح المتشابه قد يطلق في القرآن لمعنى آخر كالذي جاء في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزُّمَر: ٢٣].

بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الهداية والسلامة من التناقض والتفاوت والاختلاف كما قال ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ [البقرة: ٢٥]، أي أن ما جيئوا به من الثمرات في الآخرة يشبه ما رزقوا به من قبل، فاشتبهوا به لهذا التشابه [٣].

ب- وفي آراء العلماء في آية آل عمران يبين الشيخ أن بعض السلف يرون الوقوف على لفظ الجلالة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] كلام مستأنف، وعلى هذا فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله تعالى، واستدلوا لهذا بأمور منها:

١- أن الله ذم الذين يتبعون تأويله.

٢- أن قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧] ظاهر في التسليم المحض لله تعالى، ومن عرف الشيء، وفهمه لا يعبر عنه بما يدل على التسليم المحض.

وهذا رأي كثير من الصحابة كأبي بن كعب وعائشة رضوان الله عليهم جميعاً.

- ويرى بعض آخر الوقوف على لفظ العلم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ ويجعل قوله ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ كلاماً مستأنفاً، وعلى هذا فالمتشابه يعلمه الراسخون.

وهذا مذهب ابن عباس وجمهرة من الصحابة، وكان ابن عباس يقول: (أنا من الراسخين في العلم، أنا أعلم تأويله).

---

(١) عدّ آيات الصفات من المتشابه مسألة خلافية، وقد نقل السيوطي قول ابن برهان في أن منشأ الخلاف فيها: هل يجوز أن يكون في القرآن شيء لم نعلم معناه أو لا بل يعلمه الراسخون في العلم؟ وتوسط ابن دقيق العيد فقال: إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر، أو بعيداً توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه، انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/١٦.

(٢) ٣/٩٩.

(٣) ٣/٩٩.

ورد على أدلة الأولين بأن الله تعالى إنما ذم الذين يتبعون التأويل بـــذهابهم فيـــه إلى مـــا يخـــالف المحكمات، يبتغون بذلك الفتنة، والراسخون في العلم ليسوا كذلك، فإنهم أهل اليقين الثابت الـــذي لا اضطراب فيه، فالله يفيض عليهم في فهم المتشابه بما يتفق مع فهم المحكم.

وبأن قولهم ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ لا ينافي العلم، فإنهم لرسوخهم في العلم ووقـــوفهم على حق اليقين لا يضطربون، بل يؤمنون بهذا وذاك لأن كلاً منهما من عند الله، وليس في هـــذا مـــن عجب، فإن الجاهل في اضطراب دائم، والراسخ في العلم ثابت العقيدة لا تشتبه عليه المسالك [1].

ويستطرد الشيخ فيذكر أن الراسخين في العلم كغيرهم لا يعلمون ما استأثر الله تعالى بعلمه مـــن أحوال الآخرة، وما لا يجوز للعقل أن يأخذه على ظاهره من صفات الله تعالى وصفات أنبيائه، كقولـــه ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

ولا يصرح الشيخ برأيه في معنى الآية، إلا أن ظاهر كلامه بعد ذلك يومئ إلى أخذه بـــرأي ابـــن عباس – رضي الله عنهما– القائل بأن الراسخين يعلمون المتشابه[2].

جـ – وعن سبب وجود المتشابه في القرآن، يجيب بعد أن يورد استفهاماً يقول: لِمَ لَمْ يكن كله محكماً يتساوى في فهمه جميع الناس وهو قد نزل هادياً، والمتشابه يحول دون الهداية لوقوع اللبس في فهمه، وفتح باب الفتنة في تأويله لأهل التأويل[3]. ويجيب الشيخ عن هذا التساؤل بإجابـــات ثلاث، فيها:

١– أن في إنزال المتشابه امتحاناً لقلوبنا في التصديق به، إذ لو كان كل ما جاء في القرآن مفهومـــاً لا شبهة فيه لأحد، لما كان في الإيمان به شيء من الخضوع لأمر الله والتسليم لرسله.

٢– أن وجوده في القرآن إعمال لعقول المؤمنين حتى تظل مستيقظة قوية.

٣– أن الأنبياء بعثوا إلى الناس كافة، ومنهم العالم والجاهل والذكي والبليد، وكان من المعـــاني الحِكَـــم الدقيقة التي لا يمكن التعبير عنها بعبارة تكشف عن حقيقتها، فجعل فهم هذا من حظ الخاصـــة[4]،

---

(١) ١٠٠/٣.

(٢) وهو واضح من صياغة سؤاله بعد ذلك وفيه (ولَمَ كان في القرآن متشابه لا يعلمه إلا الله والراســـخون في العلـــم؟) انظر ١٠١/٣.

(٣) ١٠١/٣.

(٤) بناء على القول بأن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه.

وأمر العامة بتفويض الأمر فيه إلى الله والوقوف عند فهم المحكم، ليكون لكل نصيبه علـــى قـــدر استعداده، فاطلاق كلمة الله وروح من الله على عيسى يفهم منه الخاصة ما لا يفهمـــه العامـــة[1]، ومن ثم فتن النصارى بمثل هذا التعبير، إذ لم يقفوا عند حد المحكم وهو التتريه وإستحالة أن يكون لله أم أو ولد، بمثل ما دل عليه قوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩][2].

وأخيراً ....فقد أتى الشيخ بمثال على متشابه القرآن في الآية التي سبقت الإشارة إليها من قولـــه سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

وفيها يقول: "وهو من المتشابه الذي لا يمكن حمله على المعنى الظاهر منه، لأنه إما استشارة مـــن الله لعباده، وذلك محال، وإما إخبار منه للملائكة فاعتراض منهم ومحاجة، وذلـــك لا يليـــق بـــالله ولا بملائكتـــه بحســـب مـــا جـــاء في وصـــفهم في قولـــه ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] [3].

وبعد إسهاب في الشرح وذكر لرأي المتقدمين والمتاخرين من العلماء في هذه الآية وأمثالها مما يعدّه المراغي من المتشابه يذكر الشيخ أن كلامه في الآية هو مجمل ما ذكره الأمام محمد عبده في هذا البحث ونقله عنه صاحب المنار، وبالرجوع إلى تفسير المنار تجد الكلام بتمامه مبسوطاً تحت عنوان (تمهيد للقصة ومذهب السلف والخلف في المتشابهات) [4].

وباستجلاء آراء المفسرين في هذه الآية تجدهم قد عدوها من المحكم الذي يعلم معناه ، وأجـــابوا عن المحترزات التي اوردها الإمام محمد عبده وتبعه فيها الشيخ المراغي[5].

---

(١) يفهم من كلامه هنا أن قوله تعالى (وروح منه) في شأن عيسى عليه السلام هو من المتشابه وكذلك العبـــارة الـــتي سبقت وجاء فيها (أن الراسخين في العلم كغيرهم لا يعلمون ما استأثر الله تعالى بعلمه...وما لا يجوز للعقل أن يأخذه على ظاهره من صفات الله تعالى وصفات أنبيائه كقوله (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) انظر ١٠١/٣ ولكنه في تفسير الآية المذكورة يقول : وهو مكون بكلمته وأمره الذي هو (كن) من غير وساطة أب ولا نطفـــة، ثم فســـر الروح بأنه جبريل ،فأنظر !! ٢٩/٦.

(٢) ١٠١/٣-١٠٢.

(٣) ٧٨/١.

(٤) ٨٠/١ وانظر المنار ٢١٠/١.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٦٥/١، والقرطبي ٢٧٤/١-٢٧٥، والرازي ١٨١/١ وفي كلام الرازي أن الله تعالى يعلـــم عباده في هذه المشاورة، ولا يستقيم ذلك، فإن الله تعالى يتعالى عن مشاورة ملائكته سبحانه.

المبحث العاشر

إعجاز القرآن الكريم

تطرق الشيخ المراغي في تفسيره إلى بعض مظاهر إعجاز القرآن الكريم، ومنها:-

١- إخبار القرآن بالغيبيات:

برز اهتمام الشيخ بإخبار القرآن الكريم بالمغيبات، وأحداً من أهم مظاهر إعجاز القرآن كما يرى، ترى ذلك في مواضع كثيرة من تفسيره، منها ما جاء عند قوله سبحانه ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

قال: "وشهادة الله بين الرسول وقومه ضربان: شهادته برسالة الرسول، وشهادته بصدق ما جاء به ، والأول أنواع ثلاثة...ذكر منها: تأييده بالآيات الكثيرة التي من أعظمها القرآن، فهو المعجزة الدائمة بما ثبت من عجز البشر عن الإتيان بسورة من مثله، وبما اشتمل عليه من إخبار الغيب ووعد الرسول والمؤمنين بنصر الله وإظهارهم على إعدائهم" [١].

وما جاء في قوله سبحانه ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]. قال: "أي وفرقنا بني اسرائيل في الأرض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من أقطارها فلا يخلو منهم قطر، وليس لهم شوكة ولا دولة، وهذا من معجزات الكتاب الكريم"[٢].

وفي قوله سبحانه﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠] قال: "وقد علم من تاريخ قدماء الوثنيين في الشرق والغرب أن عقيدة الابن لله والحلول والتثليث كانت معروفة عند البراهمة والبوذيين في الهند والصين واليابان وقدماء الفرس والمصريين واليونان والرومانيين، فبيان القرآن الكريم لهذه الحقيقة التي لم يكن أحد من العرب ولا ممن حولهم يعرفها، بل لم تظهر إلا في هذا الزمان، معجزة من معجزاته الكثيرة التي تظهر على مر الزمان وتصدقها المشاهدة والعيان "[٣].

وفي قوله سبحانه على لسان سليمان عليه السلام ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] قال: "وقد اجتهد كثير من الباحثين في العصر الحاضر فعرفوا كثيراً من من لغات الطير

---

(١) ٧/٩٢.

(٢) ٩/٩٩.

(٣) ١٠/١٠٠.

أي تنوع أصواتها لأداء أغراضها المختلفة من حزن وفرح، وحاجة إلى طعام وشراب واستغاثة من عدو، إلى نحو ذلك من الأغراض القليلة التي جعلها الله للطير، وفي هذا معجزة لكتابه الكريم لقوله في آخر السورة ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣][1].

وفي كلام الشيخ فيما يتعلق بتعلم لغة الطير نظر:

فهل فهم منطق الطير الذي وقع لسيدنا سليمان عليه السلام هو عين الفهم الذي توصل العلماء إليه اليوم وبنفس طريقته؟

ألا ترى أن أفهام الناس للغات بعضها تتفاوت، فمنها ما يفهم بطريق النطق ومنها ما يفهم بطريق الإشارة أو الرسم، والنتيجة واحدة وهي حصول التفاهم، ولكن وسائل هذه النتيجة لا تستوي، فالذي يفهم بالإشارة ويستعجم عليه اللسان لا يمكن عدّه بمترلة الفاهم للكلام نطقاً، وهكذا فمن المستبعد أن يكون الفهم الذي آتاه الله سليمان وعبر عنه بقوله ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ كالفهم الذي توصل إليه علماء العصر الحاضر، فذلك فهم أوتيه سليمان معجزة من معجزات نبوته، وفهم العصر الحاضر شيء من الإنجاز العلمي.

أما إشارة الشيخ المراغي إلى قوله تعالى ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾، فتعيين المراد منها بأنه تعليم منطق الطير وما يشبهه بعيد، فمعرفة آيات الله تكون بالتعرف على دلائل قدرته سبحانه ووحدانيته في النفس البشرية والسماوات والأرض، وهذا ما فسر به العلماء الآية [2].

وممن عدّوا إخبار القرآن بالمغيبات مظهراً من مظاهر إعجازه الإمام الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن)[3]، والرماني في رسالته (النكت في إعجاز القرآن) [4] وغيرهما.

وقد ناقش هذه القضية الدكتور عبد الرؤوف مخلوف في دراسته لكتاب إعجاز القرآن للباقلاني، ولم يسلم له القول باعتبار الإخبار بالمغيبات من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وحاصل كلامه أن الإخبار بالمغيبات في القرآن هو دلالة على صدق نبوة محمد ﷺ وليس فيه إشارة إلى الإعجاز، إذ لو كان كذلك فقد وقع مثله لغيره من الأنبياء في مثل قوله تعالى﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ

---

(١) ١٢٨/١٩.

(٢) انظر تفسير القرطبي ٢٤٦/١٣.

(٣) انظر إعجاز القرآن للباقلاني: أبي بكر محمد بن الطيب تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ص ٥٧ ط ١ مؤسسة الكتب الثقافية (١٤٠٦هـ - ١٩٧٦ م) .

(٤) انظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٥٧.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وصدق ذلك فيما حكاه القرآن ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] ولم يبلغنا أن أحداً من الرسل الذين حصل لهم ذلك مع أقوامهم زعموا إعجاز كلامهم لما تضمنه من الإنباء بالمغيبات التي وقعت فيما بعد[١].

وفي تفسير الشيخ المراغي إشارة إلى ما انتصر إليه د. مخلوف من أن الأخبار بالمغيبات في القرآن هو دلالة على صدق نبوة محمد ﷺ ولكنه لم يتوقف عند هذا الرأي [٢].

٢- الإعجاز العلمي في القرآن: -

أورد الشيخ عدداً من الأمثلة على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:-

فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]بعد أن ذكر كثيراً من القضايا العلمية المتعلقة بالأرض تركيباً وتطوراً... قوله: "فهذه الحقائق العلمية التي بينها القرآن ولم يكن أحد من المخاطبين في عصر التتريل يعرفها، من أكبر الأدلة على إعجازه وأنه من كلام العليم الخبير بكل شيء لا من كلام البشر"[٣].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] قال: "وفي معنى الآية قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨- ٣٩] وفي ذلك إشارة إلى أن في الوجود أشياء لا تدركها الأبصار، وقد أثبت العلم الحديث بواسطة الآلات التي تكبر الأشياء أضعافا مضاعفة (المكروسكوبات) أن هناك أشياء لا يمكن رؤيتها إلا إذا كبرت عن حقيقتها آلاف المرات كالجراثيم (المكروبات) ولم تخطر على البال في عصر التتريل وقد ظهرت للناس الآن، فهي من روائع الإعجاز العظيمة الدالة على أنه من كلام العليم الخبير"[٤] .

وفي هذين المثالين كفاية هنا، على أن موضوع القضايا العلمية وتبسط الشيخ في ذكرها سيعرض بتوسع في فصل الاتجاهات الحديثة في تفسيره إن شاء الله

---

(١) انظر الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية د. عبد الرؤوف مخلوف ص ١٦٩-١٧٣ .دار مكتبة الحياة بيروت ط (١٩٧٣م).

(٢) ٢٣/١٠٠.

(٣) ٨/١٧٢.

(٤) ١١/١٢٨.

٣- مظاهر إعجاز أخرى: -

ذكر الشيخ مظاهر إعجاز أخرى في مواضع متفرقة من التفسير، كالذي جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] قال: "أي لو كان من عندك لا من عند الله الذي أرسلك به لوجدوا فيها اختلافاً لأسباب كثيرة...وعد منها:-

١- عدم القدرة على تصوير الحقائق كما صورها القرآن بلا اختلاف ولا تفاوت.

٢- أن أحداً لا يستطيع الإتيان بمثله في بيان أصول العقائد وقواعد الشرائع وسياسة الشعوب والقبائل مع عدم الاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك.

٣- أن أحداً لا يستطيع الإتيان بمثله في سنن الاجتماع ونواميس العمران وطبائع الملل والأقوام،مع إيراد الشواهد وضرب الامثال وتكرار القصة الواحدة بالعبارات البليغة تنويعاً للعبرة وتلويناً للموعظة، واتفاق كل ذلك وتواطئه على الصدق وبراءته من الاختلاف والتناقض.

٤- أن أحداً لا يستطيع أن يأتي بمثله فيما جاء من فنون القول وألوان العبر في أنواع المخلوقات في الأرض أو في السماوات دون تفاوت ولا اختلاف بين معانيه[١].

وتلاحظ أن هذه الوجوه جميعاً يمكن تلخيصها بوجه واحد شامل إليه أشار الباقلاني بقوله: "وهو أن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد وعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها"[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل: ٧٦] وما بعدها، تحدث الشيخ عن بعض مظاهر إعجاز القرآن، ومنها:

١- موافقة قصصه لما في التوراة والإنجيل مع أنه ﷺ كان أمياً ولم يخالط أحداً من العلماء للاستفادة منهم، فلا يكون ذلك إلا من وحي إلهي.

٢- لأن ما فيه من دلائل عقلية على التوحيد والبعث والنبوة والتشريع لا يوجد في كتاب آخر، فلابد من أن يكون من عند الله.

٣- أنه قد بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة حتى لم يستطع أحد أن يتصدى لمعارضته مع حرصهم عليها

---

(١) ٥/١٠٢-١٠٣.

(٢) انظر إعجاز القرآن للباقلاني ص ٦٠.

أشد الحرص، فدل ذلك على أنه خارج عن قوى البشر وأنه من عند الله تعالى [١].

وقد ذكر الباقلاني الوجهين الأول والثالث في (إعجاز القرآن) وبسط القول فيهما ، على أنَّ عبارة الشيخ المراغي في الوجه الأول توهم أن موافقة القرآن لما في التوراة والإنجيل هي المعجزة، وهذا غير واقع في مظاهر الإعجاز ، ولكن كون النبي ﷺ أمياً مع ما أتى به من عجائب الأمور فيما أوحي إليه من القرآن هو مظهر الإعجاز الذي ذكره الباقلاني [٢].

وفي قصة ذي القرنين من سورة الكهف تحدث الشيخ عن سد ذي القرنين وعن عثور العلماء على موضعه ثم قال: "وبذلك تعلم أن السد موجود فعلاً، وأن هذه معجزة للقرآن حقاً، وهي إحدى المعجزات التي أيدها التاريخ وعلم تقويم البلدان"[٣].

ولابد من وقفة عند عبارة الشيخ:-

أما أن السد موجود بالفعل فهذا ما نؤمن به ونسلم لإخبار القرآن الكريم بذلك وأما أن اكتشاف موضعه هو دليل مادي لمن لا يؤمن بالقرآن ، فهذا يتوقف على دقة البحث وانطباق الأوصاف المشاهدة على ما أخبر به الوحي، فإذا كان الموجود في النص القرآني لا يساعد على التحقق من موضع هذا السد – لأن هذا ليس مطلباً من مطالب القرآن ولا فيه مزيد فائدة للمكلفين – فكيف يمكن التسليم بنتائج البحث عن هذا السد وعدّ المذكور عنه في التاريخ من دلائل تشير إلى موضعه مسلماً يبني عليه أنه موافق لما ذكره القرآن الكريم؟!

وقد قامت جهود للبحث عن موضع هذا السد ، حددت موضعه وذكرت بأنه عين السد المذكور في القرآن[٤] فماذا لو كشف الناس أثاراً لسد شبيه به أو كانت صفاته أقرب لما ذكره القرآن ، أو ماذا لو أن جهوداً أخرى جاءت لتنقض أبحاث السابقين وتثبت لهم أن ما توصلوا إليه في شأن السد مغلوط؟!

هذه أهم الوقفات اللازمة لإعطاء القارئ صورة عن منهج الشيخ في مسألة إعجاز القرآن الكريم، وليس الشيخ صاحب السبق في الإشارة إلى شيء منها، ولكنه احتذى حذو غيره، وقد جمع بين آراء العلماء، فلم ينف وجهاً أثبته أحد قبله.

---

(١) ٢٠/١٧.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٨-٥٩.

(٣) ١٦/١٥.

(٤) مثل بحث أبي الكلام أزاد (ويسألونك عن ذي القرنين).

المبحث الحادي عشر

مسائل متفرقة في علوم القرآن

يعرض هذا المبحث لبعض مسائل علوم القرآن التي وردت في تفسير المراغي ولم تتناولها المباحث السابقة، وهي أربع مسائل:

المسألة الأولى: أول ما نزل وآخر ما نزل:

نقل الشيخ في تفسيره عدة روايات تذكر أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن على رسول الله ﷺ:

- ففي سورة الفاتحة ذكر أن سبب تسميتها راجع إلى أنها أول القرآن في هذا الترتيب أو أول سورة نزلت، وذكر في الاحتمال الثاني أن رواية البيهقي تؤيدها[1].
- وفي سورة العلق قال: "وهي اول ما نزل من القرآن الكريم"[2] وأنت ترى التناقض واضحاً في هذين القولين، مع ان الشيخ رشيد رضا قد نبه على ضعف رواية البيهقي، وبذلك يزول التناقض، ويثبت القول الثاني[3].
- وبالإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] يقول: "وهي آخر القرآن نزولاً على ما قيل"[4].
- وفي آخر الآيات والسور نزولاً رواية الإمام البخاري عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] وآخر سورة نزلت براءة[5].
- وفي آخر ما نزل في مواضع معينة من القرآن يقول الشيخ في آيات براءة: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وهذه آخر ما نزل مما يبين تأثير القرآن

---

(١) ٢٣/١.

(٢) ١٩٧/٣٠.

(٣) انظر تفسير المنار ٢٩/١، وقد أشار إلى هذه النقطة د. فضل حسن عباس في رسالته: اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا ص٢٦٥.

(٤) ٣٩/١ و ٦٩/٣، وقد ذكر ذلك الزركشي في البرهان دون أن ينسبه لأحد، انظر البرهان ١/ ٢٠٩.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير في باب يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة حديث (٤٦٠٥) وباب براءة حديث (٤٦٥٤) انظر فتح الباري ٢٦٧/٨ و ٣١٦/٨.

فيهم وفي المؤمنين"[1]. وقد ذهب إلى ذلك بناء على ما أورده في رواية البخاري بأن سورة براءة هي آخر ما نزل.

- ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ [الحج: ٣٩]قال: "وهي أول آية نزلت بالإذن بالقتال"[2].

وقد يبين الشيخ تضارب الروايات في موضوع واحد، ومنه ما جاء في آخر آيتين من سورة براءة حيث أورد رواية عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنهما آخر ما نزل من القرآن، لكنه عارضها بما روي عن البراء بن عازب في رواية البخاري السابقة من أن آخر ما نزل ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وما روي عن ابن عباس أنها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] [3].

ويلاحظ في هذه المسألة في تفسير المراغي أمران:

١- الأول: أن كلامه في أول ما نزل أقل بكثير مما جاء في آخر ما نزل، وذلك راجع إلى أن خلاف العلماء في آخر ما نزل أكثر وأظهر.

٢- الثاني: أن الشيخ لم يحاول دراسة الروايات الواردة في هذا الموضوع دراسة شاملة لتقرير المعتبر منها في رأيه، ولكنه اكتفى في موضع واحد ببيان التضارب بين الروايات ولم يوجهها، وتبدو الحاجة إلى توجيه الروايات ودراستها في روايتين متضاربتين في صحيح البخاري مثلاً، كالذي تجده في الإتقان للسيوطي، فقد ذكر ما اخرجه البخاري عن ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا[4]. وفي هذا تعارض مع رواية البخاري السابقة التي ذكرت أن آخر آية نزلت﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾ وهو ما يحتاج إلى دراسة وتوجيه لم يوجد مثله في تفسير المراغي.

المسألة الثانية: النسخ

عند قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]،

---

(١) ٥١/١١.

(٢) ١١٧/١٧.

(٣) المرجع نفسه ٥٤/١١.

(٤) انظر الإتقان للسيوطي ٧٨/١، وقد أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) حديث (٤٥٤٤) انظر فتح الباري ٢٠٥/٨.

عرَّف الشيخ النسخ في لسان الشرع بأنه بيان انتهاء الحكم المستفاد من الآية المتلوة[1]. وبالنظر إلى هذا التعريف تجد أنه غير جامع إذ إنه عرف نسخ القرآن طبقاً لما ورد في الآية، رغم أنه أوهم بقوله (والنسخ في لغة الشرع) أنه سيعرف النسخ عموماً، والنسخ كما عرفه العلماء:

لغة: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه[2].

واصطلاحاً: الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً، مع تراخيه عنه[3].

ويبين الشيخ حكمة النسخ، فيرجعها إلى ضرورة ملاءمة ظروف الناس باختلاف الزمان والمكان، فإذا شرع حكم في وقت كانت الحاجة إليه ماسة ثم زالت الحاجة، فمن الحكمة نسخه وتبديله بحكم يوافق الوقت الآخر، فيكون خيراً من الأول أو مثله في فائدته للعباد، وما مثل ذلك إلا مثل الطبيب الذي يغير الأغذية والأدوية باختلاف الأزمنة والأمزجة، والأنبياء صلوات الله عليهم هم مصلحو النفوس يغيرون الأعمال الشرعية والاحكام الخلقية التي هي للنفوس بمثابة العقاقير والادوية للأبدان فما يكون منها مصلحة في وقت قد يكون مفسدة في وقت آخر[4].

وإذا كانت الحكمة التي ذكرها الشيخ في نسخ شرائع الأنبياء بعضها لبعض فما ذكره مقبول، إذ جُعلت العقيدة ثابتة وتغيرت شريعة كل نبي بما يلائم طبيعة من أرسل إليهم زماناً ومكاناً.

أما في نسخ الأوامر في الشريعة الإسلامية، فقد يجاب عن هذه الحكمة بأن ظروف الناس بعد زمان النبوة قد تغيرت من عصر إلى عصر ومن قرن إلى آخر، ومع ذلك فالشريعة ثابتة والأحكام سارية لا تنسخ بتغير زمان ولا مكان ولا قوم، وإنما وقع النسخ في زمن النبوة لا غير.

والذي تكفل بملاءمة هذه الشريعة لتغيرات الزمان والمكان هو مرونة القواعد الشرعية وصلاحيتها للتطبيق في كل الظروف.

وقد ذكر صاحب (إرشاد الفحول) اقوالاً في الحكمة من النسخ فيها:

أن النسخ بشارة للمؤمنين برفع الخدمة عنهم، وبأن رفع مؤنتها عنهم في الدنيا مؤذن برفعها في الجنة أو أنها الرحمة بالعباد والتخفيف عنهم، ولو كان ذلك بنسخه بحكم أشق لأن الرحمة قد تكون

---

(١) ١/١٨٧.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٣/١٦.

(٣) انظر إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ص١٨٤.

(٤) ١/١٨٧.

بالأثقل أكثر من الأخف، لما تستلزمه من تكثير الثواب[1].

وأنت ترى ان الوصول إلى حكمة النسخ اجتهاد من العلماء، والله سبحانه أعلم بمراده منه، وإنما حكم العلماء بما رأوا للنسخ من فوائد تعود على المكلفين.

وذكر الشيخ الوجوه التي يقع عليها النسخ فقال: "ونسخ الحكم إما أن يكون بأيسر منه في العمل، كما نسخت عدة المتوفى عنها زوجها من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، وإما بمساو له كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة عند الصلاة، وإما بأشق منه، ويكون ثوابه أكثر كما نسخ ترك القتال بإيجابه على المسلمين[2].

وجاءت تطبيقات النسخ في تفسيره في آيتين:

١- نسخ قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] بقوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقد أورد في ذلك حديثاً عن أبي هريرة أخرجه البخاري ومسلم[3].

٢- وفي قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، قال: "وكان التوارث في بدء الإسلام بالحلف والمؤاخاة بين المسلمين، فكان المهاجر يرث الانصاري دون قرابته وذوي رحمه للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ حين الهجرة... فغير الله الحكم بقوله: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[4].

وقد أشار في آيتين أخريين إلى ذكر النسخ في القرآن وهما:

قوله سبحانه: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، فقد أشار إلى أقوال المفسرين فيها، ومن هذه الأقوال: يمحو الله ما يشاء من الشرائع بالنسخ ويثبت ما يشاء فلا ينسخه ولا يبدله[5].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ

---

(١) إرشاد الفحول للشوكاني ص١٨٥ – ١٨٦ .

(٢) ١٨٨/١، وقد ذكر الشيخ أحمد سيد الكومي – في لقاء شخصي في بيته في القاهرة – أن آيات القتال لا نسخ لما تقدم منها بما تأخر وإنما تدور فيه العلة مع المعلول وجوداً وعدماً.

(٣) ٨١/٣.

(٤) ١٣١/٢١.

(٥) ١١٥-١١٦.

﴿مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] فقد فسر التبديل بالنسخ[١].

المسألة الثالثة: الألفاظ المعربة في القرآن الكريم:

قضية وجود الألفاظ المعربة في القرآن قضية خلافية، وقد لخَّص السيوطي هذا الخلاف، وذكر بأن الأكثرية على عدم وجود المعرّب في القرآن، وممن قال بهذا الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس، وحجتهم: قوله تعالى ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ يوسف: ٢. وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فُصِّلَت: ٤٤]، وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول.

وقال ابن أوس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفوها.

وقال بعض من نفى وجود المعرّب في القرآن: إن ما ظن فيه العجمية هو مما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.

أما من أثبت وقوع المعرب في القرآن فقد رد أدلة المانعين بالقول: إن وقوعه في القرآن لا يخرجه عن العربية، وبهذا ردوا على من احتج على عدم الوقوع بقوله سبحانه﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾.

واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو (إبراهيم) للعلمية والعجمة، وهو واقع في القرآن.

ومن أنصار القول بوجود المعرب في القرآن الإمامان السيوطي والشوكاني[٢].

وقد جاءت تطبيقات الشيخ المراغي موافقة لمذهب القائلين بوجود المعرب في القرآن، ومن هذه التطبيقات:

قوله: "السندس: رقيق الديباج، واحده سندسة، وهو فارسيّ معرّب. والإستبرق: ما غلظ منه وهو روميّ معرب"[٣]. وقوله: "الفردوس: البستان بالرومية، وقال السدّي: إنه الكرم بالنبطية وأصله فرداسا"[٤].

وفي كلمة صلوات من قوله تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ﴾ [الحج: ٤٠]، يقول:

---

(١) ١٤٢/١٤.

(٢) انظر الإتقان للسيوطي ٣٦٦/١-٣٦٧، وإرشاد الفحول للشوكاني ص٣٢.

(٣) ١٤١/١٥.

(٤) ٢٤/١٦.

"واحدها صلاة معرب صلوتا بالعبرية: معبد اليهود"[1].

ولكن الراغب في مفرداته يرى أنها موضع العبادة بالعربية فيقول: "ويسمى موضع العبادة الصلاة، ولذلك سميت الكنائس صلوات كقوله (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد)"[2].

وممن ذكر أن هذه الكلمة من المعرب القرطبي في تفسيره، نقله عن أبي عبيدة[3].

- وقال الشيخ في كلمة (المشكاة) إنها لفظ حبشي معرب يراد به الكوة غير النافذة[4].
- وفي كلمة مقاليد قال: "أي مفاتيح: لفظ فارسي معرب واحده إقليد معرب إكليد جمع جمعاً شاذاً"[5].
- وفي كلمة (الطور) قال إنها بالسريانية: الجبل[6].

المسألة الرابعة: من تاريخ المصحف

١- ذكر الشيخ بعض الروايات في جمع القرآن الكريم وكتابته في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وفيها أن زيد بن حارثة رضي الله عنه، عندما جمع الصحف التي كتب فيها القرآن لينسخه لم يجد الآيتين اللتين في ختام براءة كانتا محفوظتين ومعروفتين لكثير من الصحابة وقد شهد بمكانهما من السورة أبيّ بن كعب، وهو أحد من تلقوا القرآن كله مرتباً عن النبي ﷺ، وقد وافق الجميع على موضع الآيتين من سورة براءة عندما كتبتا في المصاحف[7].

٢- وفي تقسيم القرآن الكريم إلى أجزائه الثلاثين وردت ملحوظة من الشيخ في عدة مواضع مفادها أن هذا التقسيم قد لوحظ فيه مقادير الكلم العددي دون المعاني وقد تكررت هذه الملحوظة كلما جاء في بداية الجزء كلام متمم لما قبله من الجزء السابق[8].

---

(١) ١١٦/١٧.

(٢) المفردات – للراغب الأصفهاني ص٢٨٥.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٧١/١٢.

(٤) ١٠٦/١٨.

(٥) ٢٨/٢٤.

(٦) ١٧/٢٧.

(٧) انظر الكلام بتمامه ٥٦/١١.

(٨) ٣/١٣ و ٤/١٦ و ٤/٢٧.

الفصل الخامس

المسائل العقدية في تفسيره

المبحث الأول: محاربته للبدع

مظاهر البدع التي حاربها المراغي

١. القبوريات وتعظيم الأموات:

المتتبع للمواضع التي ذكر فيها هذا المظهر يجد أنه الأكثر تركيزاً وتكراراً من بين مظاهر البدع التي أشار إليها الشيخ وحذر منها، فقد وردت الإشارة إليها قريباً من عشرين مرة.

– جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١] قوله:"ومن هذا تعلم أن من يخاطب أصحاب القبور حين الاستغاثة بهم بنحو قوله (المحسوب منسوب)فقد ضل ضلالاً بعيداً، وخالف ما تظاهر من نصوص الدين التي تدل على خلاف ما يقول"[(١)].

– وفي إشارة مباشرة لمظهر اتخاذ المساجد في أضرحة الأولياء والتبرك بها، واعتبار ذلك شركاً، يرى الشيخ في تفسير الآية ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] أن اتخاذ القبور مساجد منهي عنه أشد النهي وينسب إلى ابن حجر اعتباره من الكبائر.

ثم يورد الشيخ آثاراً تدل على صحة هذا الحكم إلى أن يقول:"فليعتبر المسلمون اليوم بهذه الأخبار التي لا مرية في صحتها، وليقلعوا عما هم عليه من اتخاذ المساجد في أضرحة الأولياء والصالحين والتبرك بها والتمسح بأعتابها، وليعلموا أن هذه وثنية مقنعة وعود على عبادة الأصنام على صور مختلفة، والعبرة بالجوهر واللب لا بالعرض الظاهر، فذلك إشراك بالله في ربوبيته وعبادته وقد حاربه الدين أشد المحاربة، ونعى على المشركين ما كانوا يفعلون"[(٢)].

٢- التوسل بالصالحين :

يعدُّ الشيخ المراغي التوسل بدعة منكرة في الدين ، وقد جاء اهتمامه بإنكار هذا المظهر في الدرجة الثانية بعد القبوريات وتعظيم الموتى.

ومن أمثلة ذلك:–

– ما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا

---

(١) ٢٢٣/١.

(٢) ١٣٤/١٥.

كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤١]، قال:"لكن غلبة الجهل جعلت الناس يعتمدون في طلب سعادة الآخرة وبعض مصالح الدنيا على كرامات الصالحين وساعدهم في ذلك رؤساء الأديان، فأولوا نصوص الدين اتباعاً للهوى، ومن ثم جاء القرآن يقرر ارتباط السعادة بالكسب والعمل، وينفي الانتفاع بالأنبياء والصالحين لمن لم يقتد بهم في صالح أعمالهم، وقد حاج بذلك أهل الكتاب الذين يفتخرون بأسلافهم ويعتمدون على شفاعتهم وجاءهم ليقطع أطماعهم في تلك الشفاعة ، وعلينا معشر المسلمين أن نجعل نصب أعيننا ورائدنا في أعمالنا تلك القاعدة – الجزاء على العمل- ولا نغتر بشفاعة سلفنا الصالح وسيلة لنا في النجاة إذا نحن قصرنا في عملنا، فكل من السلف والخلف مجزي بعمله، ولا ينفع أحداً غير عمله"[(١)].

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢]، قال: "وفي الآية إيماء إلى أن الناس جبلوا على الرجوع إلى الله حين الشدائد، ولكن من لا يحصي عددهم من المسلمين في هذا العصر لا يدعون حين أشد الأوقات حرجاً إلا الميتين من الأولياء والصالحين، كالسيد البدوي والرفاعي والدسوقي والمتبولي وأبي سريع وغيرهم، ويتأول ذلك لهم بعض العلماء ويسمونه توسلاً أونحو ذلك[(٢)].

- وينقل الشيخ عن الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٥٣- ٥٤] نصاً يقرع فيه المشركين بالله غيره في الدعاء المستغيثين بغيره عند البلاء[(٣)].

٣- الذبح لغير الله تعالى:

حمل الشيخ بشدة على الذين يذبحون الضحايا للصالحين وعند أضرحة الأولياء، ولم يدع مجالاً

(١) ١/ ٢٣٠.

(٢) ١١/ ٩٠.

(٣) ١٤/ ٩٣ ، ٩٤ وانظر تفسير الألوسي ١٤/ ١٦٦. والحق أن هناك فرقاً بين الاستغاثة بغير الله – وهذه مسألة محسوم تحريمها – وبين التوسل بالنبي ﷺ وهي مسألة خلافية لا يصح إغفال رأي المجيزين لها وتأويلهم في ذلك، وموضع ذلك كله كتب العقيدة.

للحديث عن هذا المظهر إلا أسهب في ذمه والتحذير منه. من ذلك: ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، قال:"وقد نص الفقهاء على أن كل ما ذكر عليه اسم غير الله ولو مع اسم الله فهو محرم ومثل ذلك ما يفعله العامة في القرى، إذ يقولون عند الذبح: باسم الله الله أكبر يا سيدي يا بدوي، يريدون بذلك أن يتقبل منهم النذر ويقضي حاجة صاحبه"[١].

وجاءت عبارات الشيخ في هذا الموضوع متقاربة، فتقرأ نحو ما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨][٢]، وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [النحل: ١١٥][٣].

٤- العرافة والتمائم والتعويذات:

وصف الشيخ الراجمين بالغيب بأنهم دجالون من أهل الضلال، جاء ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]، قال:

"ويدخل في حكم هؤلاء كل من يتحاكم إلى الدجالين كالعرافين أصحاب المندل والدجل ومدعي الكشف والولاية"[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [المائدة: ٣]، نعى الشيخ على الذين استنوا بسنة مشركي الجاهلية يستقسمون بالسبح وغيرها ويسمون ذلك فألاً وأعجب من ذلك – كما يرى الشيخ – هو اعتبار بعض الدجالين الاستقسام من قبيل الاستخارة وجعل بعضهم له من قبيل القرعة المشروعة، وكل ذلك ضلال لا بينة فيه ولا سلطان[٥].

وفي موضع آخر جعل الشيخ من شيمة أصحاب القلوب الفاهمة ألا تتوجه إلى طلب ما لا تقدر عليه بغير ما يعرف البشر من الأسباب المطرده كالرقى والعزائم والتخيرات[٦].

٥- الممارسة الخاطئة للعبادة:

---

(١) ٢/٤٩.

(٢) ٨/١٤.

(٣) ١٤/١٥٣.

(٤) ٥/٧٦.

(٥) ٦/٥٢.

(٦) ٩/١١٣-١١٤ العزائم هي: ما يقرأ على المصاب بأصوات مرتفعة. والتخيرات: من الاستخارة وهي طلب بيان حال المقروء له.

يرى الشيخ أن الفهم الخاطئ للعبادة والممارسة المنحرفة لها مظهر من مظاهر الجهل المؤدي للتمسك بالبدعة.

استمع إليه وهو يتحدث عن حقيقة الإيمان بالنبيين إذ يقول:

"والإيمان بالنبيين يستدعي الاهتداء بهديهم والتخلق بأخلاقهم والتأدب بآدابهم وقد ران الجهل على قلوب كثير من الناس فظنوا أن صياحهم بالأدعية والصلاة على الرسول ﷺ بمثل ما في كتاب دلائل الخيرات، والمدائح الشعرية، مع الجهل بأخلاقه الشريفة وسيرته الكاملة، والتأسي به إذا دعوا إلى ذلك أو نهوا عن البدع في دينه والزيادة في شريعته ، فيها غناء لهم أيّما غناء. وقد ضلوا ضلالاً بعيداً [(١)].

وفي أعقاب تفسير قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، يقول:"وهذه الآية وأمثالها حجة على الغالين في الزهد الذين يتحرجون عن الاستمتاع بشيء من لذات الدنيا، ويعدون ذلك منافياً للتقوى ومبعداً عن رضوان الله تعالى[(٢)].

ومن مظاهر الفهم الخاطئ لممارسة العبادة ما يشير إليه الشيخ من زخرفة المساجد والنقش على منابرها وإقامة الأضرحة فيها، مع إهمال الحكمة التي لأجلها امتنع المسلمون في الصدر الأول عن تجميلها وفرشها بفاخر المفروشات وعمل الحلي فيها، واعتبر ذلك تقليداً للوثنيين في هياكلهم[(٣)] .

ذم البدع على وجه العموم:

لم يدع الشيخ مجالاً يمكن الحديث فيه عن خطر البدعة إلا فعل. وإذا كانت المظاهر السابقة قد حوربت بأسمائها لأنها أشهر ما ابتدعه الناس واستشرى في المجتمع، فإن تفسير المراغي لم يخل من تعميم ذم البدعة في جميع المجالات والتحذير من خطرها على الدين.

ففي تفسير سورة البينة يذكر الشيخ اختلاف أهل الكتاب مذاهب شتى، ثم يقول:

"وهذا ما نعاه الله من حال أهل الكتاب في افتراقهم في دينهم. فما بالنا نحن المسلمين، وقد ملأنا ديننا بدعاً ومحدثات، وتفرقنا فيه شيعاً ؟! أفليس ما نحن فيه من ذل وهوان وضعف بين الأمم ، جزاءً من ربنا لما صرنا إليه من انحراف عن منهج الشرع القويم والسير على الصراط المستقيم"[(٤)] .

---

(١) ٥٥/٢.

(٢) ٩٤/٤.

(٣) ٢٢١/٢-٢٢٢.

(٤) ٢١٥/٣٠، وهذا من الأمثلة القليلة التي وردت في النصف الثاني من التفسير في مجال محاربة البدع، إذ انحصرت جل جل الأمثلة في النصف الأول كما شاهدت مما ساق البحث.

المبحث الثاني

الأسماء والصفات

تمهيد

حرص الشيخ المراغي على شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، وعلى بيان موقفه منـــها، وواجـــب المؤمن تجاهها.

وهو يرى أنه لا مجال لخوض العقل البشري في حقيقتها:

"إن تحكيم العقل البشري في الخوض في ذات الله وصفاته، وفيما دون ذلك مـــن عـــالم الغيـــب كالملائكة والعرش والجنة والنار، تجاوز لحدوده. فإن أكبر العلماء والفلاسفة عقولاً عجزوا إلى اليوم عن معرفة كنه أنفسهم وأنفس ما دونهم من المخلوقات صغيرها وكبيرها حتى الحشـــرات منـــها كالنحـــل والنمل، فأنى لهم أن يعرفوا كنه ذات الله وصفاته أو معرفة حقيقة ملائكته وغيرهم من جند الله"[1].

وإلى جانب واجب المؤمن نحو أسماء الله وصفاته لم يغفل الشيخ الإشارة إلى أن من لم يلتـــزم بهـــذا الواجب فقد ألحد فيها، والإلحاد في الأسماء والصفات كما يراه الشيخ أقسام:

١- تسميته سبحانه بما لم يسم به نفسه في كتابه أو ما صح في حديث رسوله ﷺ.

٢- ترك تسميته بما سمى به نفسه أو وصفها به، أو ترك أسناد ما أسنده تعالى إلى نفسه من الأفعال، بناء على أنه لا يليق به تعالى أو أنه يوهم نقصاً في حقه.

٣- تغيير أسمائه بوضعها لغيره مما عبد من دونه كالات والعزى.

٤- تحريف أسمائه وصفاته تعالى عما وضعت له بضرب من التأويل ، فقد ذهب جماعة من المسلمين بجعل الرب القدوس الذي ليس كمثله شيء كرجل من خلقه لأنه ســبحانه وصـــف نفســـه بصفات يدل مجموعها على ذلك، كالسمع والبصر والكلام والوجه واليد والرجل والضحك والرضاوالغضب، وذهب آخرون إلى تأويل جميع صفاته تعالى حتى جعلوها كالعدم.

٥- إشراك غيره فيما هو خاص به من أسمائه باللفظ كاســـم الجلالـــة (الله) و(الـــرحمن) و (رب العالمين)، وما في معناه: كربّ السماء والأرض أو رب الكعبة أو رب البيت.

---

(١) ٩١/٢، وانظر تفاصيل هذه المسألة وكون الأسماء والصفات من المتشابه، وخلاف العلماء في ذلك في تفسير التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور ١٥٦/٣-١٦٠ . الدار التونسية ط١ (١٩٨٤ م).

٦- إشراك غيره في كمال أسمائه كمن يزعم أو يعتقد أن لغيره رحمة كرحمته أو رأفة كرأفته وغير ذلك من معاني أسمائه كالمجيب مثلاً[١] .

وقد أكد الشيخ على هذه المعاني وكررها في غير موضع، فقد جاء في تفسير كلمة (سبحانك) قوله: "أي أنزهك يا الله عن أن يكون معك إله آخر، وبذا أثبت له التنزيه عن المشاركة في الذات والصفات"[٢].

الأسماء والصفات كما يعرّفها المراغي:

١ - الاستواء والعرش:

أ -الاستواء:

بدراسة المواضع التي ورد فيها ذكر الاستواء في تفسير المراغي، تجد أنه عرفه بما يلي:

القصد، وذلك في سورة البقرة[٣].

استقامة أمر السماوات والأرض، وذلك في سورة الأعراف[٤].

الاستيلاء، واستشهد بقول الشاعر:

استوى بشر على العراق ... من غير سيف أو دم مهراق

تمام التّصرف، وذلك في سورة الفرقان[٥] .

الارتفاع، وذلك في سورة الحديد[٦].

استواء يليق بعظمته وجلاله، وذلك في سورة يونس[٧] وسورة هود[٨] وسورة الرعد [٩].

[٩].

---

(١) ٩/١١٨-١١٩، وقد ذكر هذه الأقسام السيد رشيد رضا في تفسير المنارانظر ٩/٣٧٠-٣٧٤ منه.

(٢) ٧/٦٢.

(٣) ١/٧٧.

(٤) ٨/١٧٣.

(٥) ١٩/٣٢.

(٦) ٢٧/١٦٠.

(٧) ١١/٦٣.

(٨) ١٢/٥.

(٩) ١٣/٦٣.

وقد ذكر هذه الوجوه جميعاً الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه الأسماء والصفات [1] وأنت ترى أن الشيخ المراغي ذهب إلى تأويل صفة الاستواء في الخمسة المواضع. أما السادس فقد نهج فيه منهج السلف رضوان الله عليهم. قال الإمام البيهقي: "أما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا رضي الله عنهم كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه، كنحو مذهبهم في أمثال ذلك"[2].

ولعل الشيخ المراغي قد ذكر هذه الوجوه جميعاً لإطلاع القارئ على الآراء المختلفة للعلماء في معنى الاستواء، ولكنه بذلك لم يمكّن الباحثين من معرفة مذهبه الاعتقادي، حيث أتى برأي السلف في الموضوع مؤيداً، وبرأي الأشاعرة وغيرهم على الصفة نفسها، وتأييده للرأي وضده اضطراب في منهجه في هذه القضية كما ترى.

ب - العرش:

تكرر تعريف العرش في تفسير المراغي عشر مرات، جاء في ثمان منها أنه مركز تدبير الكون، مع اختلاف بسيط في التعبير عن هذا المعنى أحياناً، كأن يقول: مركز تدبير شؤون العالم[3]، أو: عرشه الذي الذي جعله مركز هذا التدبير العظيم[4]، أو: مركز نظام الملك أو مصدر التدبير [5]وهكذا[6] .

أما تعريفه الثاني فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، قال:-

"أي وكان سرير ملكه أثناء هذا الطور من خلق هذا العالم أو من قبله على الماء"[7] .

فعرف العرش هنا بأنه سرير الملك.

التعريف الثالث: قال الشيخ في شرح مفردات سورة البروج:

"ذو العرش: أي صاحب الملك والسلطان والقدرة النافذة "[1] .

---

(١) انظر (الأسماء والصفات) للبيهقي باب ما جاء في قوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى): ٥١٣-٥٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ٥١٤.

(٣) ١٩/١٣٣.

(٤) ١٣/٦٣.

(٥) ١٢/٤.

(٦) بالإضافة إلى المواضع السابقة انظر: ١١/٥٦ و ٦٢ و ٦٣ و ١٦/٩٤ و ١٨/٦١ و ٢٤/٤٦.

(٧) ١٢/٥.

مناقشة التعريفات المذكورة للعرش:

١- التعريف الذي ركز عليه الشيخ وكرره كثيراً وهو أن العرش مركز تدبير الكون، لم أجده في كتب العقيدة التي اطلعت عليها، غير أنه بالرجوع إلى تفسير المنار، الذي عودنا المراغي على الاقتباس منه والتأثر بآرائه وجدت أن السيد رشيد رضا قد سبق صاحبنا بهذا التعبير، جاء ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[براءة: ١٢٩] قال: "الذي هو مركز تدبير أمور الخلق كلها، كما قال في الآية الثالثة من السورة التالية – يونس-: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [٢].

وقد استدل المراغي بالآية نفسها[٣] تبعاً لما جاء في المنار.

ومدار هذا التفسير على اعتبار جملة﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ حالاً من تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾والأقرب أن تجعل هذه الجملة: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ ابتدائية، لأن تفسيرها على الحالية يوقع في محظور التجسيم الذي حذر منه المراغي كما تبين لك في مطلع هذا المبحث، وقد نص على كونها للابتداء الشيخ الألوسي في تفسيره[٤]، وذكر صاحب الكشاف في إعرابها كلاماً يدل على ذلك[٥]، واختاره الشيخ العكبري وجهاً أول من وجوه إعرابها[٦].

٢- أما تعريف العرش بأنه سرير الملك، فقد نص شارح العقيدة الطحاوية عليه قال: "والعرش في اللغة العربية عبارة عن السرير الذي للملك"، ثم قال عن عرش الرحمن : "فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ".[٧]

---

(١) ١٠٤/٣٠.

(٢) انظر تفسير المنار السيد محمد رشيد رضا ٧٣/١١.

(٣) ٥٦/١١.

(٤) انظر روح المعاني للألوسي ٦٥/١١.

(٥) انظر الكشاف للزمخشري ١٨١/٢.

(٦) انظر البيان في إعراب القرآن – عبدالله بن الحسين العكبري – تحقيق علي بن محمد البجاوي ٧٥٠/٢ ط .دار أحياء الكتب العربية.

(٧) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي تحقيق جماعة من العلماء ص ٢٧٨. ط٨ (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م).

٣- عدَّ شارح العقيدة الطحاوية تعريف العرش بأنه الملك والسلطان تحريفاً لكلام الله بقوله:"وأما من حرف كلام الله وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟ وكان ملكه على الماء! ويكون موسى عليه السلام آخذاً من قوائم الملك؟ هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟! [(١)]

وإذا اعتذر عن الشيخ في اضطراب رأيه في الاستواء بأنه يريد إطلاع عامة القراء على مزيد من آراء العلماء، فإن الاعتذار عن اضطراب منهجه في معنى العرش لا يجد مكاناً هنا، إذ إن الشيخ أصر على اعتماد تعريف لم يقل به أحد من علماء العقيدة المعتبرين، إلى جانب أنه موهم كما سلف.

وأما التعريفان اللذان أورد كلاً منهما مرة واحدة، فالأول منهما تعريف لغوي، ولكن إضافته للفظ الجلالة ليصبح (سرير ملك الله) أمر يجب عدم الجرأة عليه إذ لم يرد في سنة صحيحة أو على لسان أحد من السلف.

والثاني رده شارح العقيدة الطحاوية وحجته قوية كما رأيت.

٢- الكرسي:

أول الشيخ الكرسي بأنه العلم الإلهي[(٢)].

وقد نسب الإمام البيقهي هذا القول لسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولكنه قال بعد ذلك: "وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد به الكرسي المشهور المذكور مع العرش"[(٣)]

وقد ذكر شارح العقيدة الطحاوية هذين المعنيين وأضاف إليهما أن الكرسي هو العرش، ولكنه رده، قال: "والصحيح أنه غيره، نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره"[(٤)].

وآثر شارح الجوهرة عدم القطع بتعيين حقيقة الكرسي لعدم العلم بها[(٥)].

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٩.

(٢) ١١/٣.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي ٤٩٧.

(٤) العقيدة الطحاوية ص ٢٧٩.

(٥) انظر شرح جوهرة التوحيد للإمام ابراهيم الباجوري راجعه وقدم له الشيخ عبد الكريم الرفاعي ص ٤١٠ .

٣- اليد والقبضة:

في مواضع مختلفة من تفسير المراغي ورد لفظ اليد مضافاً إلى الحق سبحانه وتعالى، وبدراستها نجد ما يلي:

- في سورتي آل عمران وص فسر اليد بالقدرة [١].
- في سورة المائدة نفى أن تكون الجارحة، واعتبرها لفظاً مشتركاً، ثم قال: "يداه مبسوطتان: أي هو كثير العطاء"[٢].
- في سورة الفتح فسرها بالنصرة[٣].
- أما في سورة الزمر فقد عدّ القبضة من المتشابه،

قال: وقد علمت أن السلف يجرون المتشابه على ما هو عليه، وأن الخلف يؤولونه، والأول أسلم والثاني أحكم .

قال سفيان بن عيينيه: كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه أ.هـ، وقال صاحب الكشاف: والغرض من هذا الكلام إذا أخذته بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقية أو جهة مجاز أ.هـ[٤].

فالشيخ كما ترى أول صفة اليد في أربعة مواضع، أما الخامس فقد ذكر فيه رأي السلف ورأي الخلف، ومال إلى الأول بتقويته مما ورد من كلام سفيان بن عيينة والزمخشري.

وهكذا فإنك تجد الشيخ ينقل آراء العلماء المختلفة محاولاً أن يوزعها على الاماكن المختلفة حسب ورودها.

ولا يكفي في اعتبار مذهب السلف مذهبه، إيراده لرأيهم وترجيحه في موضع، مع نقل آراء غيرهم في مواضع أخرى دون التعقيب عليها.

٤- الوجه:

---

(١) ١٣٠/٣ و ١٣٧/٢٣.

(٢) ١٥١/٦.

(٣) المرجع السابق ٨٩/٢٦.

(٤) ٣٢/٢٤ وانظر الكشاف للزمخشري ٣٥٥/٣.

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾[البقرة: ٢٧٢]: وقوله: "﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾: طلب مرضاته"[١].

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف: ٢٨]، قال:"وجهه أي رضاه وطاعته لأن من رضي عن شخص يقبل عليه، ومن غضب عليه يعرض عنه"[٢].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧]، فسر الوجه بأنه الذات[٣]. وفي سورة الليل فسر ابتغاء وجه الله تعالى بأنه قصد رضاه سبحانه[٤].

وهكذا فقد أول الشيخ "الوجه"بأنه التوجه والقصد، إلا في آية الرحمن فقد أوله بالذات، كما سلف.

وقد نسب الإمام البيهقي لابن حزم قوله: (وجه الله تعالى إنما يراد به الله عز وجل وهذا هو الحق الذي قام البرهان بصحته ، لبطلان القول بالتجسيم) [٥].

وفيه تأييد لما ذهب إليه المراغي في سورة الرحمن.

٥- العين والبصر:

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]: "والمراد بالأعين هنا: شدة الحفظ والحراسة"[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[القمر: ١٤] قال: "أي بمرآى منه، والمراد بحراستنا وحفظنا"[٧].

---

(١) ٤٧/٣.

(٢) ١٤٠/١٥-١٤١.

(٣) ١١٤/٢٧.

(٤) ١٨٠/٣٠.

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٨٣.

(٦) ٢٣/١٢.

(٧) ٨١/٢٧.

وعن صفة البصر، جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]: "أي أنه سبحانه عليم بدقائق الأشياء وجليلها، فيعلم كيف يبدع خلقها على السنن التي هو عليم بفائدته لعباده"(١).

وقد سار في معنى (العين) على مذهب المؤولين لعدم احتمالها غير هذه المعاني، وقد أشار الإمام البيهقي إلى تأويل العين بالحفظ والكلاءة كما هنا(٢).

كذلك في معنى (البصير) فقد أوله المراغي بلازمه فكونه سبحانه بصيراً يثبت له صفة العلم بدقائق الأمور وجليلها، وهو ما عبر عنه الإمام الغزالي بقوله: (وإذا نزه عن ذلك – عن تشبيه بصره ببصر المخلوقات – كان البصر في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات، وذلك أوضح وأجل مما تفهمه من إدراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات) (٣).

ولكن الإمام البيهقي يرفض تأويل البصر بالعلم، ويرى إثبات كونه سبحانه بصيراً، له بصر، من غير إثبات جارحة(٤).

٦- العلم:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ١٤٢]، قال الشيخ:

"وعلم الله تعالى قديم لا يتجدد، ومن ثم قال العلماء: المراد بالعلم في مثل هذا علم الظهور والوقوع. ذلك أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها أنها ستقع، ويعلمها بعد وقوعها أنها وقعت، ويترتب على ذلك الجزاء من ثواب وعقاب"(٥).

وجاء مثل هذا التفسير في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٠] (٦)،

---

(١) ١٨/٢٩.

(٢) انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٩٦.

(٣) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى – الإمام أبو حامد الغزالي ص ٦٥ ضبطه الشيخ أحمد القباني ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(٤) انظر الأسماء والصفات ص ٢٣٤.

(٥) ٧/٢.

(٦) ٨٠/٤.

وقد حكى الإمام البيهقي رواية المزني عن الشافعي في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾، يقول: "إلا لنعلم أنه قد علمتم من يتبع الرسول، وعلم الله تعالى كان قبل اتباعهم وبعده سواء، وقال غيره: إلا لنعلم من يتبع الرسول بوقوع الاتباع منه كما علمناه قبل ذلك أنه يتبعه"(١).

والتفسير الثاني عن الشافعي رحمه الله هو الذي أورده المراغي.

٧- الكلام:

يقرر الشيخ أن صفة الكلام والتكليم ثابتة لله تعالى بصريح القرآن الكريم في آيات عدة لا تعارض بينها(٢)، ويميل إلى عدم الخوض في صفة تكليمه سبحانه لنبيه موسى عليه السلام.

ففي تفسير قوله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، يقول: "وليس لنا أن نخوض في معرفة حقيقته – يعني التكليم – لأنا لم نكن من أهله ، على أنا لا نعرف حقيقة كلام بعضنا بعضاً، وكيف تحمل ذرات الهواء الأصوات إلى الآذان، فضلاً على أن نعرف حقيقة كلام الباري"(٣) وهذا من الشيخ ميل إلى مذهب السلف.

قال صاحب الطحاوية: "وأن القرآن كلام الله منه بلا كيفية قولاً"(٤).

قال الشارح في هذه الجملة: "أي ظهر منه ولا ندري كيفية تكلمه به"(٥).

٨- الحب:

يرى الشيخ المراغي أن حب الله تعالى وبغضه شأن من شؤونه لا نبحث عن كنهه ولا عن كيفيته(٦)، وفي توضيح أكثر يؤكد الشيخ أن حبه تعالى متره عن مشابهة حبنا كتتره ذاته وسائر صفاته

---

(١) انظر الأسماء والصفات ص ١٥٢.

(٢) ٩/٥٩.

(٣) ٦/٢٢.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٨.

(٥) انظر المصدر السابق ص ١٧٠ والشارح هو العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي ولد سنة ٧٣١ وتوفي سنة ٧٩٢هـ رحمه الله.

(٦) ٦/١٤٢.

عن مشابهة ذواتنا وصفاتنا، ويظهر أثر حبه لعباده في أخلاقهم وأعمالهم ومعارفهم وآدابهم[1].

فترى الشيخ هنا ترك التأويل، وآثر أن يثبت هذه الصفة بعيداً عن التشبيه والتمثيل.

٩- السمع:

اكتفى المراغي رحمه الله في صفة السمع بتعريفها. قال: "السمع صفة تدرك بها الأصوات أثبتها الله تعالى لنفسه"[2].

١٠- الساق:

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، قال: "أي فليأتوا بهؤلاء الشركاء ليعاونوهم إذا اشتد الهول وعظم الأمر يوم القيامة"[3].

وهذا تأويل للساق على اعتباره ليس منسوباً إلى الله سبحانه وتعالى، والمراد به الأمر العظيم .

ومال البيهقي لهذا المعنى، إذ حكم على حديث ينسب الساق للحق سبحانه بالضعف[4].

وقد وقع الشيخ رحمه الله في شيء من التشبيه غير المقصود، وإنما ساقه إليه أسلوب التشبيه البلاغي، وذلك في الكلام عن طوفان نوح عليه السلام، الذي يقول في وصفه:

"وإنه لنظر تشيب من هوله الولدان، ماء ينهمر من السماء انهماراً، وأرض تتفجر فيفيض ماء ثجاجاً، فيصير بحراً متلاطم الأمواج تغطت من تحته الأرض بجبالها ووديانها، وخفيت من فوقه السماء بكواكبها وشمسها، وكانت عليها السفينة كما كان عرش الله على الماء في بدء التكوين"[5].

وهذا التشبيه من الشيخ داخل في نطاق وصف أمر غيبي لا مدخل للتصوير فيه، إذ لم يرد في الشرع نص على تكييف وجود عرش الرحمن على الماء، فمنذا الذي يجرؤ على أن يجعل صورة استقرار سفينة صغيرة الحجم مهما عظمت، مدركة بالعقل مهما خفيت، مشبهة لصورة عرش الرحمن على الماء؟!

ووجه الشبه بعيد أمام عظمة العرش وغيبية صورته.

والحق أن هذه العبارة المشار إليها ليست فكرة الشيخ المراغي، ولكنه اقتبسها من تفسير المنار[6]،

---

(١) ٢٧/١١.

(٢) ٤/٢٨.

(٣) ٤٢/٢٩.

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٣٩، الحديث في وصفه الساق بأنه نور عظيم يخرون له سجداً، قال البيهقي: تفرد به روح بن جناح، وهو شامي، يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها.

(٥) ١٢/٣٨-٣٩.

المنار[1]، وهو معجب بها مؤيد للتشبيه فيها إلى درجة أن الذي لا يطلع على (المنـــار) يظـــن الشـــيخ صاحبها.

وليته رحمه الله في نقوله الكثيرة جداً عن مدرسة المنار أوقف القارئ عند مثل هذه النكات متأملاً مناقشاً.

وقد سبقت الإشارة في تمهيد هذا المبحث إلى أن الشيخ يرى أنه لا مجال لخوض العقل البشري في الأسماء والصفات، لكنه – كما رأيت – لم يلتزم هذا المنهج دائماً، وظهر هذا واضحاً في معنى العـــرش، وفي تشبيه السفينة على سطح الماء بعرش الرحمن عليه. كما أنه لم يعتمد مذهباً عقدياً واحداً في تفسيره، ودمج بين منهج السلف والخلف، وكان ذلك كثيراً، من غير التنبيه إلى نســـبة كـــل رأي إلى مذهبـــه، والسبب في ذلك أن المراغي يعد ناقلاً لهذه الآراء وليس صاحب مذهب معين والله أعلم.

---

(١) انظر تفسير المنار ٦٧/١٢.

المبحث الثالث

النبوة والأنبياء

ينقسم هذا المبحث إلى مطالب رئيسة أربعة، تكون بمجموعها نظرة نحو ما جاء في تفسير المراغي مختصاً بموضوع النبوة والأنبياء ، فقد جاء اهتمام الشيخ بهذا الموضوع من خلال ما يلي:

١ - تعريف الرسول والنبي:

اختار الشيخ المراغي التعريف الذي يرى أن الرسول هو من أرسله الله إلى الناس ومعه كتاب فيه شريعته التي أرسله بها، كموسى عليه السلام.

والنبي: هو الذي ينبئ عن الله ويخبر قومه عنه ، وليس معه كتاب كيوشع عليه السلام[١].

وبعد أن يقرر هذا، يرى في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤] أن الرسول لا يجب أن يترل عليه كتاب مستقل، وإن كان مكلفاً بتبليغ كتاب فيه شريعته، إلا أنه قد يكون ليس أول من يبلغ ذلك الكتاب. أخذ هذا من أن سيدنا إسماعيل كان رسولاً إلى جرهم الذين حلوا بمكة معه ومع أمه ، وكان مرسلاً من الله بتبليغ شريعة إبراهيم فنبأ بها قومه وأنذرهم وخوفهم[٢].

ولم يتطرق الشيخ لتعريف غير هذين التعريفين للرسول والنبي، وقد فصل ابن عاشور في الفرق بينهما بأن الرسول هو الرجل المبعوث من الله إلى الناس بشريعة، والنبي من أوحى الله إليه بإصلاح أمر قوم بحملهم على شريعة سابقة أو بإرشادهم إلى ما هو مستقر في الشرائع كلها[٣].

ويذهب بعض العلماء إلى أن الرسول: هو من بلغه الله تعالى رسالة وأمره بتبليغها، والنبي: هو الذي بلغته الرسالة ولم يؤمر بتبليغها[٤].

٢ - صفات الأنبياء:

---

(١) ٦١/١٦.

(٢) ٦٢/١٦.

(٣) انظر تفسير ابن عاشور ٢٩٧/١٧.

(٤) وقد ذكر هذا التعريف صاحب شرح جوهرة التوحيد. انظر ص ١٧منه، كذلك ذكره شارح العقيدة الطحاوية واعتبره أحسن ما ورد من الفرق بين النبي والرسول. انظر ص ١٥٨منه، ويؤخذ على هذا التعريف أن كتمان التبليغ من المؤمن العادي مستنكر فكيف يقبل من النبي؟.

كثر حديث الشيخ عن صفات الأنبياء، وجاءت مجالات هذا الحديث متنوعة:

أ. عدد الأنبياء:

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣- ٨٦]، قوله:-

"تنبيه:ذكر العلماء أن الأنبياء المرسلين الذين ذكروا في القرآن ويجب الإيمان بهم تفصيلاً خمسة وعشرون، هم الثمانية عشر الذين ذكرت أسماؤهم في الآيات والسبعة الآخرون هم: آدم أبو البشر وإدريس ولوط وصالح وشعيب وخاتم الجميع محمد ﷺ"[١].

ثم ذكر الشيخ أن ليس في القرآن نص قطعي على نبوة آدم عليه السلام، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [النساء: ١٦٣] يدل على أن أول رسول شرع الله على لسانه الأحكام والحلال والحرام هو نوح عليه السلام[٢].

وقد نقل الشيخ هذه الفكرة واختصرها من كلام طويل في تفسير المنار نقل فيه رشيد رضا أقوال بعض المفسرين كالرازي والألوسي، وكلاماً لابن حجر في الاستدلال لنبوة آدم عليه السلام ، ولكن صاحب المنار لم يجد في هذه الأقوال ما يقوى على اعتبار آدم عليه السلام نبياً أو رسولاً بالمعنى المتبادر من القرآن والحديث[٣].

وفي هذه القضية خروج عن إجماع المفسرين تبع فيه المراغي مدرسة المنار، وقد سبق الحديث عن ذلك والتمثيل له في الفصل الثاني من هذا الكتاب[٤].

ب. الصفات العامة:

---

(١) وهؤلاء ستة نسي الشيخ ذكر هود عليهم جميعاً الصلاة والسلام. انظر ١٨٥/٧.

(٢) ١٨٥/٧-١٨٦.

(٣) تفسير النار ٥٠٢/٧-٥٠٧.

(٤) انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني (طريقته في الاقتباس وموقفه من المفسرين) النقطة الرابعة.

بين الشيخ أن أهم صفات الأنبياء معرفتهم بالله تعالى، قال:-

"واعلم أن معرفة الله لا تحصل على الوجه الصحيح إلا بتعلم الوحي، وعلم الأنبياء به ضروري لا نظري، فقد علمهم به ما لم يكونوا يعلمون من الحجج العقلية والدلائل النقلية إلى نحو ذلك مما هداهم إليه "[1].

ومن الصفات العامة: العصمة، ويشير إليها الشيخ إشارة غير مباشرة وهو يتحدث عن سؤال نوح عليه السلام لولده النجاة من الغرق: "ومثل هذا الاجتهاد لم يعصم منه الأنبياء، فهم يقعون فيه أحياناً ليشعروا بحاجتهم إلى تأديب ربهم وتكميله إياهم حيناً بعد حين"[2].

وعن وقوع النسيان من الأنبياء وصلته بعصمتهم يقول:"ووقوع النسيان من الأنبياء بغير وسوسة من الشيطان لا خلاف في جوازه، قال تعالى لخاتم أنبيائه: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، وثبت وقوعه من موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣]، ولكن الله عصمهم من نسيان شيء مما أمرهم بتبليغه أو بإخلال بالدين كإضاعة فريضة أو تحريم حلال أو تحليل حرام"[3].

كذلك يتحدث الشيخ عن شيء مما ينافي عصمة الأنبياء عند تفسيره قوله تعالى: ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: ٢٢] قال: "إلى أن ما جاء من القصص عن ذكر السبب في مجيء الملكين مما يخل بمنصب النبوة، وفيه نسبة الكبائر إلى الأنبياء، فيجب علينا أن نطرحه، إذ يبطل الوثوق بالشرائع ، إلى ما فيه من مطعن لأرباب الأديان الأخرى على المسلمين، إذ نسبوا إلى ما يجل مقامهم عنه ويأباه عامة الناس فضلاً عن الأنبياء الذين اصطفاهم الله لرسالاته، ومن ثم أثر عن علي رضي الله عنه أنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مئة وستين"[4].

ويسجل للشيخ أنه في غير موضع مما فيه مزلق لكثير من المفسرين في جانب عصمة الأنبياء جاء برأي معتدل مقبول، فها هو عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾

(١) ١٧٩/٧.
(٢) ٤٢/١٢.
(٣) ١٦٠/٧.
(٤) ١١١/٢٣.

[ص: ٣٤]. يقول: "أي ولقد ابتلينا سليمان بمرض عضال صار بسببه ملقى على كرسيه لشدة وطأته عليه (والعرب تقول في الضعيف أنه لحم على وضم، وجسم بلا روح)، ثم رجع بعد إلى حاله الأولى واستقامت له الأمور كما كان"[١].

ويرى الشيخ أن صفة رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام مشبهة لصفة رسالة ابراهيم عليه السلام في جزئيات الأحكام وكلياتها، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، أخذاً من أن نبينا محمداً ﷺ أحل ما أحل ابراهيم عليه السلام من أكل لحوم الإبل وألبانها ، ودعا إلى التوحيد والبراءة من كل معبود سوى الله"[٢].

ولقد كان الشيخ الألوسي أكثر دقة في هذا الموضوع إذ أثبت حل لحوم الإبل وألبانها في شريعة ابراهيم عليه السلام، ولكنه لم يعمم وحدة رسالة النبييْن عليهما الصلاة والسلام عقيدة وشريعة، فهذا أمر يحتاج إلى دليل، وعدم النص على ذلك من كتاب أوسنة يجعل الخوض في هذه القضية تعدياً[٣].

ج. الصفات الخاصة:

تحدث الشيخ عن بعض الصفات الخاصة لكل نبي على حدة:

من ذلك ما جاء في عموم رسالة نبينا ﷺ، وأنه نذير للعالمين جميعاً. قال: "وقد ثبت عموم بعثة النبي ﷺ في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، أي: وكل من بلغه ووصلت إليه هدايته. وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨][٤].

وبخصوص بعثة موسى عليه السلام يتبع المراغي ما جاء في تفسير المنار من أن موسى عليه السلام أرسل إلى قومه بني اسرائيل قصداً وإلى فرعون وملئه وسيلة[٥].

والقول بهذا فوق أنه اجتهاد عقلي بحت، لا يسلم نقلاً ولا عقلاً أما النقل : فقد جاءت الآيات

---

(١) ٢٣/١٢٠.

(٢) ٤/٧.

(٣) انظر روح المعاني للألوسي ٤/٤.

(٤) ٧/١٩٠.

(٥) ٩/٢٢ وانظر المنار ٩/٣٦.

تصرح بإرسال موسى إلى فرعون قصداً، فآية طه: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]، تصرح أن الإرسال لأجل رده عن طغيانه لا ليكون جسراً لإيمان بني اسرائيل .

وآية الزخرف: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزُّخرُف: ٤٦]، صرحت بأن موسى أرسل إلى فرعون أصلاً، كما صرحت آيات أخر بأن موسى عليه السلام أرسل إلى قومه بني اسرائيل(١)، وعليه يكون موسى أرسل قصداً إلى قومه وإلى فرعون.

وأما العقل: فلو كان إرسال موسى إلى فرعون هو الوسيلة لإيمان الإسرائيلين لربط إيمان بني إسرائيل بإيمان فرعون، والحق أن فرعون لم يؤمن ولكن بني اسرائيل تبعوا موسى عليه السلام ونجوا معه من فرعون وجنوده، فكيف تتحقق الغاية دون ارتباطها بما جعله الشيخ وسيلة؟!

وقد وجه الألوسي تخصيص فرعون بالذكر بعبارة مختصرة:"وتخصيصهم بالذكر – فرعون وملأه- مع عموم بعثته عليه السلام لقومه كافة(٢) لأصالتهم في تدبير الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور"(٣).

وفي الصفات النفسية لكل من موسى وهارون عليهما السلام، يقول بعد ذكر الحوار بينهما في شأن عبادة بني اسرائيل للعجل: "وفي هذا دليل على أن هارون كان دون موسى في شدة العزيمة وقوة الإرادة وأخذ الأمور بالحزم، وهذا ما أطبق عليه المسلمون وأهل الكتاب"(٤).

وعن المرض الذي أصاب أيوب عليه السلام، يقول:

"ولا نعلم على وجه التحقيق قدر الزمان الذي لحقه فيه الضرر ولا نوع الضر، إذ القرآن لم يصرح بهذا، ولكنا نعلم على وجه لا يقبل الشك أنه لم يصب بأذى ينفر الناس منه ويمنعهم من لقائه

---

(١) قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥].

(٢) وفي هذا إشارة من الألوسي رحمه الله إلى إرسال موسى عليه السلام لفرعون وبني اسرائيل بنفس الدرجة وعلى حد سواء.

(٣) انظر تفسير الألوسي ١٨/٩.

(٤) ٧٢/٩.

والجلوس معه، لأن ذلك شرط من شروط النبوة "[1].

٣ - وظيفة الأنبياء: -

تكلم الشيخ في مواضع عديدة من التفسير عن وظيفة الأنبياء عليهم السلام في أقوامهم وأفاض البيان في بعض تلك المواضع، من ذلك:-

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، فقد قسم العلوم التي نحتاج إليها في حياتنا إلى ضروب جعل منها: ما تيسر للناس معرفته بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث كالعلوم الطبيعية والرياضية والزراعية،والهيئة الفكرية كأسباب أطوار الهلال وتنقله من حال إلى حال، وهو ما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]، ثم قال: "ومثل هذا ينبغي ألا يطالب الأنبياء ببيانه، لأن ذلك جهل بوظيفتهم وإهمال للقوى والمواهب التي وهبها الله تعالى للإنسان ليصل بها إلى ذلك، وإلا وجب حينئذ أن يتلقى كل شيء بالتسليم ،كما يجب أن يكون عدد الرسل في كل أمة كافياً لتعليم أفرادها ما يحتاجون إليه من أمور معاشهم ومعادهم، وإن كان الانبياء ينبهون الناس إجمالاً إلى استعمال الحواس والعقل فيما يزيد منافعهم ورقي إدراكهم وشعورهم .يرشد إلى ذلك قوله ﷺ في واقعة تأبير النخل (أنتم أعلم بأمور دنياكم)"[2].

وفي قوله سبحانه: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، يقول: "والرسل هداة مرشدون لا أرباب مسيطرون..."[3].

وفي إفراد موسى بالأمر بالتبشير دون أخيه هارون عليهما السلام، مع أن سياق الآية فيه خطاب الأخوين: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ [يونس: ٨٧]، في هذا يقول الشيخ: "وإنما خص موسى بالتبشير لأن بشارة الأمة وظيفة صاحب الشريعة، واشرك معه هارون في أمر

---

(١) ١٢٤/٢٣.

(٢) ٨٥/٢ وانظر تفسير المنار ١٦٤/٢-١٦٥ والحديث رواه مسلم في كتاب الفضائل حديث رقم ١٤٠انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١١٨/١٥.

(٣) ١٣٥/٧.

قومهما بالتبوؤ لأنه مما يتولاه الرؤساء بتشاور بينهم فهو تدبير عملي يقوم به هو ووزيره المساعد على تنفيذه "[1].

٤ - **معجزات الأنبياء:**

أكثر الشيخ من الحديث عن معجزات الأنبياء عليهم السلام ،وجاء هذا الحديث منوعاً.

أ- فقد ذكر أهمية المعجزة فقال:

"ويتساءل كثير من الناس هل المعجزات ضرورية ؟والجواب إنها ضرورية لإيمان الإنسان بقدرة الله، ولولاها لساد مذهب الطبيعيين لأن سنن الله تعالى لا تتغير أبداً، وهذا ما يسمى بالطبيعة، وثبات هذه القوانين ما ظهر منها وما خفي للآن شيء مدهش، حتى إن الإنسان قد ينسى واضع هذه القوانين، ويقول: ماالحاجة بي لأن أقول إن هناك صانعاً أزلياً ما دامت هذه القواعد ثابتة على وتيرة واحدة ملايين السنين ؟!

وهنا كانت حكمة الله في أن يخرق هذه السنن ليظهر للناس أن الصانع الأول موجود"[2].

ب-وعن الفرق بين المعجزة والاكتشاف العلمي ، ينقل كلام الدكتور عبد العزيز باشا إسماعيل في كتابه (الإسلام والطب الحديث) فيقول: ".... وهكذا حال سائر المخترعات إنما هي كشف لنا لناموس إلهي يتكرر دائماً على يد كل إنسان، لكن المعجزات تجري على طراز آخر ،فهي خلق سنة جديدة في الكون، ولا تتكرر إلا بإذن الله، ولا يعرف الإنسان لها قاعدة ولا يدرك طريقاً لصنعها ١. هـ "[3] .

وينقل مثل هذا الكلام عن الدكتور عبد العزيز اسماعيل في غير موضع[4].

ت-وفي فهم بعض المعجزات والدروس المستفادة منها، ينقل الشيخ كذلك عن كتاب (الإسلام والطب الحديث) أن الله تعالى كان قادراً على تفجير الماء وفلق البحر بلا ضرب عصا - يعني في معجزة موسى عليه السلام- ولكنه- جلت قدرته - أراد أن يعلم عباده ربط المسببات بالأسباب ليسعوا في الحصول على تلك الأسباب بقدر الطاقة ... إلى أن يقول:

---

(١) ١٤٦/١١ وانظر المنار ٣٨٥/١١ ، وذكر هذا المعنى الألوسي في تفسيره: ١٧٢/١١.

(٢) ١٦٣/٣.

(٣) ١٢٨/١.

(٤) ٢٨/٣، ١٦٢/٣-١٦٣.

"فكان من لطف الله بعباده أن تظهر المعجزات على يد الأنبياء على طريق التدرج حتى لا تصدم بها عقول معاصريها دفعة واحدة "[1].

ولنا عند هاتين العبارتين وقفة:-

١- فإن المعجزة كثيراً ما تعد معجزة لأنها تخرج عن ربط الأسباب بالمسببات فكيف نقول إنها تُعلِّم ذلك؟! هذا من جهة، ثم إن تفجير الماء من الصخر في حد ذاته معجزة، وكون العصا يفعل في التفجير معجزة أخرى لم تجر بها العادة، ولكن الشيخ عندما سلط الضوء على المسبب (خروج الماء) كأنما جعل السبب (ضرب الصخر بالعصا) أمراًعادياً، وهو غير ذلك كما رأيت.

٢- أمّا بالنسبة للعبارة الثانية وهي ظهور المعجزات عن طريق التدرج وحتى لا تصدم بها العقول، فإن التدرج إن حصل في معجزة فلق البحر وتفجير الماء فأين التدرج في معجزة انشقاق القمر؟ وأين التدرج في كون النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام[2]؟

إن التدرج في معجزات الأنبياء أمر لا يطَّرد، هذا إلى جانب أن المعجزة إنما كانت باهرة للعقول ملفته للأنظار بخروجها عن المألوف وخرقها للعادة، فكيف نحكمها بالتدرج المألوف المطَّرد في غيرها؟! والله أعلم.

ث-ويذكر الشيخ معجزات بعض الأنبياء عليهم السلام:

ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء: ١١] قال:-"وقد اختلفوا في المراد من هذه التسع: أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر من طرق عدة عن ابن عباس أنها العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص الثمرات...."[3].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥]يرى واحدة من معجزاته ﷺ تحت باب إخباره بالغيبيات إذ أخبر ﷺ بأنه سيعود إلى مكة بعد أن أخرج منها فوقع ذلك كما

---

(١) ١٢٦/١-١٢٧.

(٢) مع التركيز على أن ضرب العصا بحد ذاته معجزة لا خطوة على طريق المعجزة وحسب، وما يذكره من اصطدام العقول بالمعجزة قد يكون أمراً مطلوباً لمواجهة تلك العقول الجاحدة المتحجرة بالأساليب التي تخضعها وتعجزها.

(٣) تفسير المراغي ١٠٣/١٥-١٠٤.

أخبر[1].

المبحث الرابع
السِّحر

١ - **تعريفه: -**

يعرف الشيخ المراغي السحر، ويذكر شيئاً من تاريخه باختصار، جاء ذلك في تفسير قوله سبحانه: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾[الأعراف: ١١١-١١٢] **قال:"السحر أعمال غريبة وحيل تخفى حقيقتها على جماهير الناس بجهلهم لأسبابها، وقد كان فناً من الفنون التي يتعلمها قدماء المصريون في مدارسهم الجامعة مع كثير من العلوم الكونية، واقتفى أثرهم في ذلك البابليون والهنود وغيرهم، ولا يزال يؤثر عن الوثنيين من الهنود أعمال غريبة مدهشة من السحر، اهتم بعض الانجليز وغيرهم بالبحث عن حقيقة أمرها فعرفوا بعضاً وجهلوا تعليل الأكثر"[2].**

٢ - **أقسامه: -**

يقسم الشيخ السحر إلى أنواع ثلاثة:-

أ. **ما يعمل بأسباب طبيعية من خواص المادة ، معروفة للساحر معروفة عند من يسحرهم بها، كالزئبق الذي قيل إن سحرة فرعون وضعوه في حبالهم وعصيهم .**

ب. **الشعوذة التي ملاك أمرها خفة اليد في إخفاء بعض الأشياء وإظهار بعض، وإراءة بعضها بغير صورها، وغير ذلك.**

ج. **ما يكون مداره على تأثير الأنفس ذات الإرادة القوية في الأنفس الضعيفة القابلة للأوهام والانفعالات التي يسميها علماء النفس بالأنفس (الهستيرية)، وأصحاب هذا النوع يستعينون على أعمالهم بأرواح االشياطين،ومنهم من يكتب الأوفاق والطلمسات[3] للحب والبغض إلى**

---

(١) تفسير المراغي ٢٠/١٠٤-١٠٥.

(٢) ٩/٢٦.

(٣) الأوفاق هي الحجب التي تكتب لتحصيل مراد، والطلمسات هي ما لا يفهم من هذه الكتابات .

نحو ذلك[1].

٣ - **حكم تعلم السحر والعمل به: -**

يرى الشيخ- تبعاً لما جاء في المنار – أن تعلم السحر جائز ، وإنما المنع من اتباعه والعمل بـه[2]، أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] قال: "أي وما يعلم الملكان أحداً حتى ينصحاه ويقولا له: إنما نحن ابتلاء من الله عز اسمه، فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم ولم يعمل به ثبت على الإيمان، فلا تكفر باعتقاده وجواز العمل به"[3].

٤ - **هل أثر السحر بالنبي ﷺ؟**

هذه قضية خالف فيها الشيخ كثيراً من المفسرين، وصرح بأنه تبع في هذه المخالفة رأي شيخه الإمام محمد عبده.

ومجمل رأيهما أن المشركين قد اتهموا للنبي ﷺ بأنه ساحر ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧] والقول بتأثره ﷺ بالسحر[4] تصديق لهذه التهمة.

---

(١) ٩/٢٦-٢٧، وقد ذكر هذه الأقسام صاحب المنارانظر ٩/٤١-٤٢ .

(٢) ذكر الشيخ الملا على القاري ثلاثة آراء في المسألة وهي

١- أنهما حرامان وهو للجمهور.

٢- أنهما مكروهان.

٣- أنهما مباحان. انظر شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة بشرح الملا علي القاري ص ١٧٧ دار الكتب العلمية بيروت ط١ (١٤٠٤هـ -١٩٨٤م).

(٣) ١/١٨١ وانظر تفسير المنار ١/٣٣٣ وقد ذكر الألوسي هذا الحكم بتمامه فقال: "فمن تعلم وعمل به كفر، ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان"انظر تفسير الألوسي ١/٣٤٠.

(٤) إشارة إلى ما روي أن لبيد بن الأعصم سحر النبي ﷺ وأثر سحره فيه، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله، أو يأتي شيئاً وهو لا يأتيه ، وأن الله أنبأه بذلك وأخرجت مواد السحر من بئر وعوفي – ﷺ- مما كان نزل به من ذلك ونزلت سورة الفلق، انظر ٢٦٨/٣٠ ، وقد جاء في تفسير سورة الأعراف أن الذي سحره ﷺ امرأة انظر ٢٨/٩، قال الألوسي في تفسير سورة الناس:"فإن الذي سحره ﷺ كان رجلاً على المشهور... وقيل أعانه بعض

ويرد الأستاذ محمد عبده الحديث المروي في هذه القضية لأنه حديث آحاد لا يؤخذ به في العقائد كما يرى، كما أن سورة الفلق مكية في قول عطاء والحسن وجابر، وما يذكر من سحره ﷺ إنما وقع بالمدينة فهذا مما يرى الأستاذ أنه يضعف الاحتجاج بالحديث ويضعف التسليم بصحته والأستاذ الإمام ليس وحده من أنكر تأثر النبي ﷺ بالسحر، فمن مفسري العصر الحديث، نفى وقوعه الأستاذ سيد قطب في ظلاله[1].

وقد ذكر الشيخ الألوسي نقلاً عن الإمام المازري أن من أنكر هذا الحديث هم المبتدعة ، وحجتهم أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع. وأجيب بأن الحديث صحيح، ولا يلزم عليه حط منصب النبوة والتشكيك فيها لأن الكفار أرادوا بقولهم مسحور أنه مجنون، وحاشاه، ولو سلم لهم إرادة تأثير السحر فيه، فقد كان هذا الإتهام قبل وقوع القصة.

وإذا كان قصد الكفار من اتهامه ﷺ بالسحر أن ما جاء به من الوحي هو من تأثير ذلك السحر وتخيلاته، فهو كذب أيضاً، لأن الله تعالى عصمه فيما يتعلق بالرسالة وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث – ﷺ – بسببها، وهي مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يتخيل إليه من ذلك ما لا حقيقة له، وقد قيل إنه كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام، فلا يبعد تخيله في اليقظة.

ونقل الشيخ الألوسي عن القاضي عياض قوله: إن السحر إنما تسلط على جسده الشريف ﷺ وظواهر جوارحه، لا على عقله ﷺ وقلبه واعتقاده[2].

وما ذكره المراغي عن الأستاذ الإمام من أن سورة الفلق مكية وهو عندهما يضعف الاحتجاج بالحديث لأن قصة السحر حصلت في المدينة، فإن هذا مدفوع بما ذكره الألوسي من رواية عن ابن عباس أن السورة مدنية، قال رحمه الله: "وهو الصحيح– إشارة إلى القول بمدنيتها – لأن سبب نزولها سحر اليهود... وهم إنما سحروه ﷺ بالمدينة كما جاء في الصحاح، فلا يلتفت لمن صحح كونها مكية"[3].

النساء، ولكون مثل ذلك من عمل النساء وكيدهن غلب المؤنث على المذكر هنا – إشارة إلى قوله تعالى(ومن شر النفاثات في العقد) وهو جائز"انظر الألوسي ٢٨٢/٣٠.

(١) انظر تفسير جزء عم محمد عبده ص ١٨٧وانظر المراغي ٢٦٨/٣٠. وانظر في ظلال القرآن الكريم – سيد قطب ٤٠٠٨/٦ ط١٠ (١٤٠٢هـ–١٩٨٢م) دار الشروق.

(٢) تفسير روح المعاني للألوسي ٢٨٣/٣٠.

(٣) تفسير روح المعاني للألوسي ٢٧٨/٣٠.

المبحث الخامس

قضايا غيبية

في نصوص كثيرة من تفسيره يرى الشيخ المراغي أن لا مجال للاجتهاد في الغيبيات ، أو ترك العنان للعقل يسبر غورها، من ذلك:-

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] إذ يقول عن حياة الشهداء: "ولا نعرف حقيقة هذه الحياة، ولا نبحث عن ذلك لأنه من عالم الغيب، فنفوض أمره إلى الله"[(١)].

وعن عالم الملائكة وعالم الجن يقول:

"واعلم أن عالم الملائكة وعالم الجن لا يقوم عليهما دليل من العقل، فهما بمعزل عن ذلك ،وإنما دليلهما السمع وإخبار الأنبياء بذلك فقط، فعلينا أن نؤمن بما جاء به فحسب، ولا نزيد على ذلك شيئاً، ولا نتوسع في بحثه وتأويله وتفصيله، فإن ذلك من عالم الغيب الذي لم نؤت من علمه كثيراً ولا قليلاً، فعليناأن نؤمن أن اتصالاً قد تم بين النبي ﷺ وعالم الملائكة، وبه تلقى الوحي على أيديهم، وأنه اتصل بعالم الجن فعلمهم وبشرهم وأنذرهم، لكنا لا ندري كيف كان الاتصال ولا كيف تلقوا عنه القرآن...."[(٢)].

وغير ذلك من الأمثلة كثير مما يدل على عدم جواز الخوض في الغيبيات بلا دليل، ولكن الشيخ خالف منهجه الذي رآى لزاماً على المسلم اتباعه، وقع هذا في عدد من الآيات التي فسرها:

١- ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤] أغرب المراغي رحمه الله في تفسير الملائكة، وذلك تبعاً لما جاء في المنار، فقد نقل منه نصوصاً تفسر الملك بأنه هاجس الخيرالذي يحس به المرء داخل نفسه، استمع لما يقول الرجل تبعاً لما فهمه من أستاذه الإمام: "وكلنا نشعر إذا هممنا بأمر فيه وجه للحق أو للخيرووجه للباطل أو للشر بأن في نفوسنا تنازعاً وكأن الأمر قد عرض على مجلس للشورى، فواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين على الآخر، فهذا الذي أودع في نفوسنا ونسميه قوة وفكراً هو في الحقيقة معنى لا ندرك كنهه، ولا يبعد أن نسميه أو نسمي سببه ملكاً..."إلى أن يقول: "ولو أن نفساً

---

(١) ٢٣/٢.

(٢) ٣٥/٢٦.

مالت إلى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك، والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس إلى ما أبصرت من الحق"[(١)]

ويبرر صاحب المنار لأستاذه هذا التأويل بقوله:

"إن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالإيماء والإشارة إقناع منكري الملائكة بوجودهم، بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم..."[(٢)]

كما ينقل كلاماً طويلاً يدافع فيه محمد عبده عن تأويله هذا ويتهم المنكرين عليه بالوهم[(٣)].

وليس البحث بصدد مناقشة ما جاء في المنار لولا التسليم المطلق من المراغي لما نقله عن شيخه، وما يهم هنا أن نص الإمام قد خلط بين وظيفة الملاك وحقيقته ، فالملائكة عباد الله تعالى يرشدون إلى الخير ويلهمون الإنسان السداد[(٤)] وهذا ما يشعره المرء داخل نفسه كما يقول الأستاذ، ولكن أن نطلق نفس هذا الإحساس على الملك فنعرفه به فهو خلط بين حقيقة الشيء ووظيفته.

وقول الأستاذ:"ولو أن نفساً مالت إلى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها...إلخ"

يرد عليه: أن ما يحدثنا به الشرع من قضايا الغيب إذا فسره لنا فلا يسعنا أن نتأوله حسب أفهامنا، فكيف نجد في شرعنا تعريفاً بالملائكة [(٥)] ثم نميل إلى أنهم هاجس الخير الذي يتحرك في نفوسنا؟! ونحكم بعد ذلك بصحة هذا التأويل بدعوى أن نفوسنا استراحت إليه !! وهل يصح أن يروق للنفس ما لم ينطق به الشرع أو جاء على خلافه؟! ولقد كان الإمام – وتبعه تلميذه المراغي – حريصين على التثبت في أمور العقيدة حتى ردا حديث الآحاد فيها، فسبحان الله !! نرد حديثاً صحيح النسبة إلى رسول الله – ﷺ– لأنه يفيد الظن، ثم نطلق لفكرنا العنان ليقف عندما يرتاح إليه من التأويلات الظنية وندعي ان الشرع لا يرفضها!!.

---

(١) ٨٧/١ وانظر النار ٢٢٣/١-٢٢٤.

(٢) تفسير المنار ٢٢٤/١.

(٣) تفسير المنار ٢٢٥/١-٢٢٧.

(٤) وقد ذكر رشيد رضا حديثاً بهذا المعنى (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ...وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق...) رواه الترمذي والنسائي وابن حيان، انظر المنار ٢٢٢/١.

(٥) قال سبحانه في تعريف الملائكة خزنة النار ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] .

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩] يقول الشيخ:-

"وإنا لنؤمن بما جاء في الكتاب الكريم من أن الجن كانوا يسترقون السمع ومنعوا من ذلك بعد بعثة النبي ﷺ ولكن لا نعرف كيف كانوا يسترقون السمع، ولا نعرف كنه الحرس الذين منعوهم، ولا المراد بالشهب التي كانت رصداً لهم، والجن أجسام نارية فكيف تحترق من الشهب؟!(١)

وليت الشيخ وقف عند هذا الحد من التوقف عن الخوض في أمور الغيب، ولكنه تابع حديثه:-

"ويرى قوم أن مقاعد السمع هي مواضع الشبه التي يوسوس بها الجن في صدور الناس ليصدوهم عن اتباع الحق، والحرس: هي الأدلة العقلية التي نصبها سبحانه لهداية عباده ، والشهب: هي الأدلة الكونية التي وضعها في الأنفس والآفاق، وعلى هذا يكون المعنى: إن القرآن بما نصب من الأدلة العقلية والأدلة الكونية حرس للدين من تطرق الشبه التي كان الشياطين يوسوسون بها في صدور الزائغين، ويحركونها في قلوب الضالين ليمنعوهم من تقبل الدين والاهتداء بهديه، فمن يفكر في إلقاء الشكوك والأوهام في نفوس الناس بعدئذ يجد البراهين التي تقتلعها من جذورها"(٢).

وهذا تفسير من باب الإشارة ذكره عن قوم كما يقول – ولم يردّ عليه بل بسط شرحه، رغم أن صدر الكلام يفضل عدم الخوض في الآية. ولا يستغرب ارتضاؤه للتفسير الإشاري هنا، فقد تبناه في غيره(٣).

٣- وعلى عكس الصورة في المثالين السابقين، فإن الشيخ يرى الإحجام عن بحث شيء من الغيبيات التي جاءت النصوص بتوضيحها.

ففي خواتيم سورة البقرة عند قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] يذكر الشيخ أن البحث عن ذوات الملائكة وصفاقم وأعمالهم مما لم يأذن الله به (٤).

---

(١) ٢٩/٩٩.

(٢) ٢٩/٩٩.

(٣) سبق في الفصل الثاني من هذا البحث الحديث عن خروج المراغي عن إجماع المفسرين في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠] وقد فسرها الشيخ تفسيراً إشارياً، فانظر.

(٤) ٣/٨٤.

وكلام الشيخ في منع البحث عن ذوات الملائكة بأكثر مما أخبر به الشارع الحكيم مقبول، لأنهم أجسام نورانية من عالم الغيب الذي لا نستطيع تخيله. أما صفات الملائكة وأعمالهم فقد كثر الحديث عنها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعن تقسيمهم إلى ملائكة رحمة وملائكة عذاب وقبض للأرواح ونفخ في الصور ووحي وغير ذلك، إلى جانب وصفهم بأنهم ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] والحديث في هذا يطول... فكيف يمنع الشيخ البحث في صفاتهم وأعمالهم بعد ذلك؟!

قضايا الغيب وحديث الآحاد [١]: -

سبق في المبحث الثالث من الفصل الثاني الحديث عن تأثر الشيخ المراغي بمدرسة المنار، وكان أحد وجوه ذلك التأثر رفضه لحديث الآحاد في العقائد، وينبني عليه موقفه من:

١- رفع المسيح عليه السلام إلى السماء ونزوله إلى الأرض آخر الزمان.

٢- خروج الدجال.

٣- ظهور المهدي.

٤- حقيقة اللوح المحفوظ.

٥- قصة سحر النبي ﷺ [٢].

٦- معراجه ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماوات العلى بجسده.

وينشأ عن هذه المسائل مطلبان:

الأول: موقف العلماء من حديث الآحاد.

الثاني: إثبات تواتر بعض الأحاديث التي حكم الشيخ بآحاديتها.

المطلب الأول: موقف العلماء من حديث الآحاد: -

ثبوت العقائد بخبر الواحد، وإفادة العلم به، موضع خلاف قديم بين العلماء حفلت به كتب الحديث والأصول، ونقلت أقوالهم وأدلة كل فريق منهم على ما ذهب إليه.

---

(١) قال الإمام الغزالي: "حديث الآحاد ما لا ينتهي من الأحاديث إلى حد التواتر المفيد للعلم، فما نقله جماعة من خمسة أو ستة مثلاً فهو خبر الواحد"انظر المستصفى في علم الأصول للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ص ١٧٠ط مكتبة الجندي، مصر.

(٢) وقد مرت في مبحث مستقل في هذا الفصل.

ولا يتسع المقام هنا لأكثر من تلخيص اخترته من كتاب (إرشاد الفحول للإمام الشوكاني)، فبعد أن ذكر – رحمه الله- خلاف العلماء بخبر الواحد وأن الجمهور على وجوب العمل به وأنه وقع التعبد به، نقل الشوكاني عن بعض العلماء أنه لا يقبل خبر الواحد في السنن والديانات [(١)] ويقبل في غيره من أدلة الشرع.

ثم خلص صاحب الإرشاد إلى القول: "وعلى الجملة، فلم يأت من خالف في العمل بخبر الواحد بشيء يصلح للتمسك به، ومن تتبع عمل الصحابة من الخلفاء وغيرهم وعمل التابعين فتابعيهم بأخبار الآحاد وجد ذلك في غاية الكثرة بحيث لا يتسع له إلا مصنف بسيط، وإذا وقع من بعضهم التردد في العمل به في بعض الأحوال، فذلك لأسباب خارجة عن كونه خبر واحد، من ريبة في الصحة، أو تهمة للراوي، أو وجود معارض راجح،أو نحو ذلك"[(٢)] .

وأما المخالفين فقد رفضوا قبول خبر الواحد لأنه يفيد الظن، والظن- بنص القرآن – لا يغني من الحق شيئاً، ولا يصلح أن يكون حكماً شرعياً، ولا يقوى على إثبات عبادة أو دين.

جاءت هذه المعاني في غير موضع من تفسير المراغي:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] يقول: "وفي الآية إشارة إلى أن القول بغير بيّنة ولا حجة لا ينبغي أن يعول عليه، وأن اتباع الظن منكر عند الله"[(٣)].

وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ﴾[يونس: ٣٦] يقول: "إن الظن لا يجعل صاحبه غنياً بعلم اليقين فيما يطلب فيه ذلك كالعقائد الدينية"[(٤)]

وتجد الرد مختصراً مفيداً لدى الإمام الشوكاني رحمه الله ،إذ ذكر استدلالهم بالآية الثانية ثم قال: "ويجاب عن هذا بأنه عام مخصص لما ثبت في الشريعة من العمل بأخبار الآحاد"[(٥)].

(١) وهذا هو ما أكد عليه وكرره الشيخ المراغي في التفسير.

(٢) إرشاد الفحول إلى علم الأصول للشوكاني ص ٤٨-٤٩ وقد وردت هذه المعاني بتوسع في بحثين للدكتور محمد عويضة الأول (احتجاج الصحابة بخبر واحد) والثاني (المنهج النبوي في قبول خبر الآحاد) انظر مجلة دراسات العدد الأول ١٩٨٦ [٦٧-٨٧ و ٨٩-١٠٣] .

(٣) ١٥٩/٢٥ .

(٤) ١٠٥/١١.

(٥) إرشاد الفحول إلى علم الأصول ص ٤٩.

المطلب الثاني: إثبات تواتر بعض الأحاديث التي حكم الشيخ بآحاديتها: -

من أهم القضايا التي ردها المراغي أو تأولها لأنها وردت بأحاديث آحاد كما يرى- نزول المسيح وظهور المهدي وخروج الدجال.

فبعد أن رد حديث رفع ونزول عيسى عليه السلام بحجة أنه آحاد يتعلق بأمر اعتقادي، تأول هذا النزول فقال:

"فزمان عيسى هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر، من غير تقيد بالرسوم والظواهر"[(١)].

أما تأويله للدجال فجاء فيه:-

"وأما الدجال فهو رمز الخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها ، والقرآن أعظم هادٍ للحكم والأسرار وسنة الرسول ﷺ مبينة لذلك"[(٢)].

وقد حمل المراغي على مثبتي أحاديث المهدي، وجاء في كلامه:-

"وأكثر العلماء ينكرون هذه الأحاديث ويقولون إنها موضوعة لا نصيب لها من الصحة، ومن ثم لم يعتد بها الشيخان، ومن هؤلاء ابن خلدون، فقد ذكر الأحاديث التي وردت في المهدي وضعفها وضعف أسانيدها، وانتهت به خاتمة المطاف إلى أنه لم يصح فيه شيء يوثق به..." [(٣)].

وقبل الشروع في بيان كلام العلماء في إثبات تواتر الأخبار في المسيح والمهدي والدجال، لابد من الإشارة إلى أن الاعتماد على كلام ابن خلدون في الحكم على الحديث أمر كان ينبغي على الشيخ المراغي - رحمه الله- أن يدرك خطأه، فابن خلدون ليس من المحدثين الذين يحق لهم الحكم على الحديث ومعرفة علله وأسباب قوته وضعفه.

هذا، وقد أفردت في إثبات تواتر أحاديث المسيح أبحاث ومؤلفات من أشهرها كتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح للمحدث الشيخ محمد أنور الكشميري جمع فيه مئة حديث وحديثاً واحداً بين المرفوع والموقوف، وقد نقل غير عالم النص على ثبوت تواتر الأخبار في هذا المجال، فقال:

"ولعلك قد عرفت مما ذكرنا أن الأحاديث في هذا الباب متواترة، وقد صرح به جماعة من

---

(١) ٣/١٦٩-١٧٠.

(٢) ٣/١٧٠.

(٣) ٩/١٣٣ - ١٣٥.

المحدثين..."[1]، وممن عدهم الإمام ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] [2] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩][3]، ونقل نصه رحمه الله على تواتر أحاديث نزول عيسى عليه السلام[4].

ويدمج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بين أحاديث نزول المسيح وخروج الدجال في الحكم فيقول: "واعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها، ولوفعل وجدها متواترة كما شهدت بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر [5] وغيره. ومن المؤسف حقاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم ، لا سيما والأمر دين وعقيدة"[6].

ويقول صاحب شرح جوهرة التوحيد في خروج الدجال: "وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بخروجه حتى أصبح خروجه من اليقينيات المقطوع بها"[7].

أما ما يتعلق بأحاديث المهدي فقد أفرد لها الشيخ عبد المحسن العباد [8] رسالتين طبعتا معاً، الأولى الأولى بعنوان: الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي والثانية في عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر[9]، جاء في آخرها تحت عنوان:

---

(١) انظر التصريح بما تواتر في نزول المسيح للإمام المحدث محمد أنور شاه الكشميري الهندي تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ص ٥٦، ط ٤ (١٤٠٢هـ -١٩٨٢م) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- حلب.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٣٢/٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٨٢/١ وفي هذا الموضع والذي قبله نص على التواتر حرفياً .

(٤) انظر التصريح بما تواتر في نزول المسيح ص ٥٦-٥٩.

(٥) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر السقلاني ٣٥٨/٦.

(٦) انظر هامش شرح العقيدة الطحاوية تخريج محمد ناصر الدين الألباني ص ٥٠١.

(٧) انظر شرح حوهرة التوحيد للباجوري ص ٣٩٠.

(٨) المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ونائب رئيسها سابقاً.

(٩) وهما رسالتان نشرهما الشيخ في مجلة الجامعة الإسلامية رداً على كتاب (لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر) لرئيس المحاكم الشرعية في قطر سنة ١٤٠٠ هـ عبدالله بن زيد آل محمود ، ثم طبعه الشيخ كتاباً ، انظر عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ص ٣-٤ط ١ (١٤٠٢هـ) مطابع الرشيد بالمدينة المنورة.

(كلمة ختامية في أنه لا علاقة لعقيدة أهل السنة في المهدي بعقيدة الشيعة) قوله:- "إن أحاديث المهدي الكثيرة التي ألف فيها المؤلفون وحكى تواترها جماعة واعتقد موجبها أهل السنة والجماعة وغيرهم من الأشاعرة تدل على حقيقة ثابتة بلا شك، هي حصول مقتضاها آخر الزمان، ولا صلة البتة لهذه الحقيقة عند أهل السنة بالعقيدة الشيعية، فإنما يعتقده الشيعة من خروج مهدي منتظر يسمى محمد ابن الحسن العسكري من نسل الحسين رضي الله عنه لا حقيقة له ولا أصل، وعقيدهم بالنسبة لمهديهم في الحقيقة عقيدة موهومة ، كما أن إمامة الأئمة الماضين عندهم في الحقيقة إمامة موهومة لا حقيقة لها ولا وجود إلا إمامة علي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما وهما بريئان منهم ومن اعتقاداهم بلا شك... فلا عبرة بقول من قفا ما ليس له بعلم وقال إن الأحاديث في المهدي لا تصح نسبتها إلى رسول الله ﷺ لأنها من وضع الشيعة..."[1].

وما تقدم من كلام الشيخ العباد فيه رد صريح على ما ذكر المراغي في شأن المهدي ولم يشر فيه إلا لروايات الشيعة، وبنى رفضه للأحاديث الواردة فيه على كونها شيعية[2].

هذا عرض سريع لأقوال العلماء في تواتر أحاديث نزول المسيح وخروج الدجال وظهور المهدي، ليتبين للقارئ أن حكم الشيخ المراغي بكونها أخبارآحاد تبعاً لمدرسة أستاذه الإمام – غير مسلَّم.

وقد اكتفى البحث بما سبق مع قلة المناقشة والاكتفاء بالنتائج التي توصل إليها العلماء في المسائل موضوع البحث لأن المكث عندها يطول، وليس هذا مجال الاستقصاء لهذه القضايا أو الإحاطة بها من أطرافها، وحسب القارئ هنا أن يقف عند خلاصة القول في الموضوع وهو ثبوت الأحاديث التي ردها المراغي وصلاحيتها للاحتجاج وفق معايير علم الحديث، والله أعلم .

---

(١) انظر عقيدة أهل السنة والأثر ص ٢٢١.

(٢) ١٣٣/٩ ويتبع فيها تفسير المنار ٤١٦/٩-٤٢٣.

المبحث السادس

قضايا عقدية اجتماعية

ثمة بعض المسائل العقدية التي عني بذكرها الشيخ لم يتطرق إليها البحث فيما سبق، وأهمها ما يلي:-

١ - ذم التقليد في أمور العقيدة: -

ذكرت غير مرة أن طبيعة المجتمع الذي عاش فيه المراغي تركت بصمات كثيرة في هذا التفسير، ومن أهم تلك البصمات تركيزه هنا على محاربة مظاهر التقليد في العقيدة والعبادات، حتى إنك لا تكاد تمر بآية تحكي حال الكفار وتقليدهم للآباء، أو تصف مجتمع الرذيلة وتنعى عليه توارثها، إلا كان للمراغي وقفة معها في محاولة للخروج بمجتمعه من دائرة التقليد الأعمى لتجنب مخاطره:

- ففي قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [براءة: ٦] قال: "وفي الآية إيماء إلى أن التقليد في الدين غير كاف، وأنه لا بد من النظر والاستدلال، لأنه لو كان كافياً لوجب ألا يهمل الكافر، بل يقال له: إما أن تؤمن وإما ان نقتلك، فأمهلناه ليحصل له النظر والاستدلال"[(١)] .

والأمثلة على ذم التقليد في تفسير المراغي كثيرة[(٢)].

٢ - التوكل: -

قضية التوكّل من القضايا العقدية التي اضطرب مفهومها في أذهان الناس وأصبح بالنسبة لكثير منهم يعني اللامبالاة والتقاعس والتهرب من المسؤولية، لذا فقد بين الشيخ مفهوم التوكل في قوله:

"فالسعادة في تكميل النفس بصادق الإيمان وفاضل الأخلاق، واطمئنان القلب عند الفرح والحزن ولدى السرور والهم، وتسليم الأمر إلى خالق الخلق ومدبر أمرهم بعد أخذ الأهبة وكمال العدة، وهذا هو التوكل الذي أمرنا به[(٣)].

---

(١) ٦٠/١٠. ٦٠/١٠ ويتبع فيها تفسير المنار ١٦٢/١٠، ونقله المنار بدوره من تفسير الرازي ٢٣٦/١٥، وعبارته: "لوجب أن لا يمهل"لا كما أوردها المراغي: "أن لا يهمل"

(٢) ٤٤/١٧ و ٦٤/٢٣ وغيرها.

(٣) ١٥٩/٢-١٦٠.

وبين المراغي تشويه الناس لصورة التوكل الحقيقية وحذر من ذلك ففي قوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] يقول: "وليس من اتخاذ الأنداد طلب المسببات من أسبابها ... فالدين يحظر علينا أن ننفر إلى الحرب والدفاع عن الأوطان ونحن عزل أو حاملو سلاح دون سلاح العدو المعتدي اتكالاً على الله واعتماداً على أن النصر بيده ، بل يأمرنا بإعداد العدة ثم الاتكال بعد ذلك في الهجوم والإقدام على عناية الله، فمن قصر في اتخاذ الأسباب اعتماداً على الله فهو جاهل بالله، كما أن من التجأ إلى ما ليس بسبب كإنسان مكرم أو ملك مقرب أو ما دون ذلك كصنم أو تمثال، فهو مشرك بالله"(١).

وبعد بيان حقيقة التوكل وتمييزها عن التواكل، ترى الشيخ يستشهد من كلام الله تعالى على وجوب التوكل عليه:

ففي قوله سبحانه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨- ٥٩] قال: "يلاحظ هنا أنه سبحانه وصف نفسه بالأبدية والعلم الشامل ثم بخلق السماوات والأرض ليقرر وجوب التوكل عليه ويؤكده، فإن من أحدث هذه الأجرام العظيمة على ذلك النمط البديع، وجعلها مرفوعة بغير عمد في تلك الأيام، وقد كان قديراً على إبداعها دفعة واحدة بقدرته التي لا تقف على كنهها العقول، جدير بأن يتوكل عليه ويفوض أمره(٢) إليه"(٣).

٣ - كرامات الأولياء: -

من الأمور المستغربة في تفسير المراغي إنكاره لكرامات الأولياء أخذاً من ظاهر قوله سبحانه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧] إذ يقول: "وفيها إبطال للكرامات، لأن من تضاف إليهم، وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا رسلاً ، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب"(٤).

---

(١) ٢/٣٩.

(٢) ليس في الجملة ما يعود عليه الضمير المضاف إليه في (أمره) وكان لابد من وجود فاعل في الجملة ولعله سقط سهواً.

(٣) ١٩/٣١.

(٤) ٢٩/١٠٦.

ونفي الكرامة عن الأولياء هو مذهب المعتزلة، يقول صاحب الفقه الأكبر: "والكرامات للأولياء حق"[(١)]. وفي شرح هذه العبارة يقول الإمام علي القاري: "ولا عبرة بمخالفة المعتزلة وأهل البدعة في إنكار الكرامة"[(٢)].

ويقول صاحب العقيدة الطحاوية: "ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام... ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم"[(٣)] .

والغريب أن عبارة الشيخ المراغي المتقدمة في نفي الكرامات عن الأولياء منقولة من كلام الزمخشري في الكشاف بما يقرب من الحرفية، ومعلوم أنها لفتة اعتزالية من الزمخشري[(٤)]، تعقبها الشيخ أحمد بن المنير بكلام لطيف وأسلوب ساخر إذ يقول:

"قال أحمد: ادعى عاماً واستدل خاصاً ، فإن دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها والمدلول عليها بالآية إبطال اطلاع الولي على الغيب خاصة، ولا يكون كرامة ولا خارقاً للعادة إلا[(٥)] الاطلاع على الغيب لا غير، وما القدرية إلا ولهم شبهة في إبطالها ، وذلك أن الله عز وجل لا يتخذ منهم ولياً أبداً، وهم لم يحدثوا بذلك عن أشياعهم قط، فلا جرم أنهم يستمرون على الإنكار ولا يعلمون أن شرط الكرامة الولاية، وهي مسلوبة منهم اتفاقاً، وأما سلب الإيمان فمسألة خلاف، فما أطمع من يكون إيمانه مسألة خلاف وهو يريد الكرامة!! لأنه لم يؤهَّا، ووالله الموفق[(٦)].

ويسغرب كذلك أن الشيخ المراغي ذكر رأي الرازي في الآية وأنه يرى أن المراد نفي الاطلاع على غيبه المخصوص- وهو قيام الساعة- وانتصر لهذا بأمور ذكرها ولم يرد على ما ذهب إليه الإمام الرازي، رغم أنه أعقب كلامه الذي ينكر فيه الكرامة واستدل لذلك بما رأيت وجعله رأيه عندما قال:

---

(١) انظر شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة بشرح الإمام الملا علي القاري ص ١١٣.

(٢)المرجع السابق.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٩٢-٤٩٤.

(٤) انظر تفسير الكشاف ٤/١٥٠ ط دار المعرفة بيروت لبنان .

(٥) النفي في الجملة منصب على أداة الحصر(إلا) ومفاد الجملة إذاً : أن الكرامة وخرق العادة لا ينحصران في الاطلاع على الغيب وحده، وبغير هذا لا تستقيم الجملة والله أعلم.

(٦) انظر كتاب الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام أحمد بن المنير الاسكندري المالكي في حاشية الكشاف ٤/١٥٠ ط دار المعرفة بيروت- لبنان.

(وفيها -الآية- إبطال الكرامات) ... فكيف يذكر رأيين مختلفين ولا يرد على واحد منهما؟! [1].

ولعل من المفيد القول بأن طبيعة المجتمع المصري وما انتشر فيه من مظاهر ادعى أصحابها أنها كرامات لهم، وهي تخفي تحتها كثيراً من الزيف، إلا من رحم الله، لعل ذلك هو الذي حدا بالشيخ إلى إنكار الكرامة، سداً للطريق على أمثال هؤلاء، ولكن ذلك لا يبرر الخروج عن الحق في المسألة ولا يعفي من إثبات ما أثبت العلماء وارتضوا ، أما طريق الإصلاح فيكون ببيان صفة الأولياء الحقيقيين والتحذير من الأدعياء الدجالين حتى يتبين الذين صدقوا ويعلم الكاذبون. والله أعلم.

---

(١) ٢٩/١٠٦ وانظر تفسير الرازي ٣٠/١٦٨-١٦٩.

الفصل السادس

مسائل الفقه وأصوله

المبحث الأول

آيات الأحكام وأسلوبه في مسائلها الخلافية

لم يكن المراغي – رحمه الله – حريصاً على التوسع في المسائل الفقهية التي يوردها، ولا معنياً بالخوض في الخلافات الفقهية وأسبابها، ومناقشة هذه الأسباب إلا بالقدر الذي يخدم فكرة يريد التأصيل لها في سياق حديثه.

فمن المواضع التي ذكر فيها خلاف الفقهاء لهذا الغرض، ما جاء في تفسير قوله سبحانه: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١] فقد ذكر خلاف العلماء في عدد الكبائر مدعماً بالأدلة، ثم خلص إلى القول: "وكل ذنب يرتكبه الإنسان مع التهاون بالأمر وعدم المبالاة بنظر الله إليه ورؤيته إياه حيث نهاه، فهو مهما كان صغيراً في صورته أو في ضرره يعد كبيراً من حيث الإصرار والاستهتار.

فتطفيف الكيل والميزان – ولو حبة – لمن اعتاده، والهمز واللمز (عيب الناس والطعن في أعراضهم) لمن تعوده، كل ذلك كبيرة ولا شك"[1].

فأنت ترى أن الشيخ إنما تطرق للخلاف ليركز في النهاية على قيمة سلوكية وهي ضرورة النظر إلى الذنب على أنه كبيرة في حق الله تعالى، وعدم الإصرار أو الاستهتار في إرتكابه مهما صغر.

ويمكن إلقاء الضوء على منهج الشيخ في المسائل الخلافية من خلال ما يلي:

١– ذكر الرأي دون نسبته إلى صاحبه:

وقد وقع ذلك كثيراً في تفسير المراغي، ومنه:–

- ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. قال: "ومن لم ينفر حتى غربت شمس اليوم الثاني فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث قبل الزوال أو بعده، ثم ينفر ولا إثم عليه بترك الترخيص"[2] .

---

(١) ٥/٢٢.

(٢) ٢/١٠٨.

- وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] قال: "أي واذكر مشيئة ربك إذا فرط منك نسيان ثم تذكرت ذلك ، وهذا أمر بالتدارك حين التذكر سواء أطال الفصل أم قصر"[١].

- وفي حكم الغناء عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان: ٦] يقول: "والخلاصة أن سماع الغناء الذي يحرك النفوس ويبعثها على اللهو والمجون بكلام يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهم، وذكر الخمور والمحرمات لا خلاف في تحريمه، أما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح كالعرس والعيد وحين التنشيط في الاعمال الشاقة كما كان في حفر الخندق..."[٢] .

وأنت ترى في الأمثلة المتقدمة أن الشيخ لم يتطرق لذكر المذاهب واكتفى بعرض الرأي الذي يميل إليه دون نسبته إلى صاحبه، لأن هدفه كما سبق هو إيصال الحكم إلى القارئ من أيسر طريق.

٢- الاكتفاء بذكر مذهب واحد: -

إذا رأى الشيخ أن ينسب الأقوال إلى أصحابها، فكثيراً ما يكتفي بإيراد رأي واحد، من ذلك:-

ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] قال: "وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: لو ظفرت فيه - أي في الحرم - بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه، ومن ثم قال أبو حنيفة - رحمه الله: من وجب قتله في الحل بقصاص أو ردة أو زنا فالتجأ إلى الحرم، لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يُسقى ولا يباع حتى يضطر إلى الخروج منه "[٣].

وعند قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن

---

(١) ١٣٧/١٥ وهذه إشارة من الشيخ لمذهب ابن عباس رضي الله عنهما في المسألة ، قال ابن رشد: (وكان ابن عباس يرى أن له - أي الحالف - الاستثناء أبداً على ما ذكر) انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد للشيخ محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ٥٨٠/١ تحقيق وتصحيح محمد سالم محيسن وشعبان محمد اسماعيل ط١ مكتبة الكليات الأزهرية (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

(٢) ٧٤/٢١.

(٣) ٨/٤.

﴿يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] قال الشيخ في تفسير المفردات: "والتصليب المبالغة في الصلب أو تكرار الصلب كما قال الشافعي : يصلب بعد القتل ثلاثة أيام بأن يربط على خشبة ونحوها منتصب القامة ممدود اليدين"(١) .

وفي مصارف الزكاة عند قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [براءة: ٦٠] قال الشيخ: "وروي عن الإمام أحمد أنه جعل الحج من سبيل الله"(٢) .

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق: ٦] قال: "وقال أبو حنيفة: تجب النفقة والسكنى لكل مطلقة إن لم تكن ذات حمل"(٣) .

٣- استنباطه الأحكام من الآيات : -

قد يعقب الشيخ بعد تفسير الآية بذكر حكم فقهي مستفاد منها.

تجد ذلك في تفسيره لآية الدين من سورة البقرة، فعند قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قال: "وفي هذا دليل على أن الكتابة من الأدلة التي تعتبر عند استيفاء شروطها ، وعلى أنها واجبة في القليل والكثير وعلى أنه لا ينبغي التهاون في الحقوق حتى لا يضيع شيء منها، وهذه قاعدة من قواعد الاقتصاد في العصر الحديث ، فكل المعاملات والمعاوضات لها دفاتر خاصة تذكر فيها مواقيتها، والمحاكم تجعلها أدلة في الإثبات"(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣] يقول: "... وفي هذا إيماء إلى اشتراط العدل ووجوب تحريه، إلاّ أنه عزيز المنال كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ﴾ [النساء: ١٢٩] والعدل إنما يكون فيما يدخل تحت

---

(١) ١٠٤/٦.

(٢) ١٤٥/١٠.

(٣) ١٤٦/٢٨ .

(٤) ٧٥/٣. ونصُّه على أن كتابة الدين واجبة هو ما يخالفه جمهور الفقهاء وقد ذكر القرطبي ذلك في تفسيره، وذكر ترجيح ابن عطيه لكون كتابة الدين مندوبة لا واجبة. انظر تفسير القرطبي ٣/ ٣٨٣.

طاقة الإنسان، كالتسوية في المسكن والملبس ونحو ذلك، أما ما لا يدخل في وسعه من ميل القلب إلى واحدة دون أخرى فلا يكلف الإنسان بالعدل فيه ...

وقد استبان لك مما سلف أن إباحة تعدد الزوجات مضيق فيها أشد التضييق فهي ضرورة تباح لمن يحتاج إليها بشرط الثقة بإقامة العدل والأمن من الجور.

وإن من يرى الفساد الذي يدب في الأسر التي تتعدد فيها الزوجات ليحكم حكما قاطعا بأن البيت الذي فيه زوجتان أو أكثر لرجل واحد لا تستقيم له حال ولا يستتب فيه نظام"(١).

وبالنظر في الجملتين السابقتين تجد:-

أ- أن الشيخ استشهد بقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء: ١٢٩] على أنه العدل المادي إذ يقول: "وفي هذا إيماء إلى اشتراط العدل ووجوب تحريه وأنه عزيز المنال ... "، ومع ذلك ففي تتمة جملته يشير إلى أن العدل القلبي هو المنفي وقوعه تحت سيطرة الإنسان وأنه غير محاسب عليه، وفي هذا تناقض، فانظر !!

ب- إن نصه على أن تعدد الزوجات ضرورة مضيق في إباحتها أشد التضييق، واستشهاده بواقع المجتمع على ما ذهب إليه، أمر تأثر الشيخ فيه بواقع المجتمع المصري وما يعانيه من المشكلات بسبب غياب الالتزام بأحكام الإسلام عن واقع الأسر.

وما أتى به الشيخ من مبررات لما ذهب إليه من كون التعدد ضرورة لا يقوم دليلاً كافياً على ما يريد ، إذ إن الناس في مجتمعاتهم قد عرفوا التعدد قبل مجيء الإسلام ، وقد أتى الإسلام ليقره بحدوده المعروفة وينظم علاقات أفراد الأسرة بعضهم ببعض ، وكان التعدد كثيراً ومشهوراً في المجتمعات الإسلامية، ولكنه لم يجلب المفاسد التي تحدث عنها الشيخ عندما كان الناس يتمسكون بالإسلام روحاً وشكلاً. ثم أين من واقع أولئك الذين اشتهر فيهم التعدد ما يدل على أنهم لجؤوا إليه مضطرين؟!

وعند قوله سبحانه: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ ﴾ [القصص: ٢٧] يقول الشيخ: "وفي هذا دليل على مشروعية عرض ولي المرأة لها على الرجل، فقد عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان ، وعرضت الموهوبة نفسها على النبي ﷺ"(٢).

---

(١) ٤/١٨٠-١٨١.

(٢) ٢٠/٥٢.

وفي قوله سبحانه في قصة ابراهيم عليه السلام: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات: ٩٧- ٩٩] يقول: "وفي الآية إيماء إلى أن الإنسان إذا لم يتمكن من إقامة دينه على الوجه المرضي في أرض، وجبت عليه الهجرة منها إلى أرض أخرى"(١).

٤- ومن فتاوى الشيخ: -

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠] فبعد أن بين نوعي الربا ساق سؤالاً تصور وروده على ألسنة الناس في عصر غزت أوروبا فيه الأسواق الاقتصادية العالمية، فهل يحق – ضرورة- للشعوب الإسلامية التي تتعامل مع الأوروبين كالشعب المصري – مثلاً – أن تتعامل بالربا كي تحفظ ثروهَا وتنميتها، وحتى لا يسترف الأجنبي ثروهَا وهي مادة حياهَا ... ويسهب الشيخ في الكلام مبيناً أضرب الحلال والحرام ثم يعقب بقوله:- "والمسلم يعرف إن كان محتاجاً إلى الربا ومضطراً إليه أم لا، فإن كان محتاجاً حل له تناوله ويكون مثله أكل الميتة وشرب الخمر ونحوهما، وإلا لم يحل ذلك"(٢) .

وترى من كلام الشيخ أنه لم يصرح بجواب مباشر على السؤال الذي افترض طرحه، وعلق جواز أكل الربا بالضرورة ولكن سياق السؤال يطلب حكم الربا فيما يدعى أنه ضرورة لمسايرة الأسواق الاقتصادية العالمية، وهنا لا بد من وقفة:-

١- جاء في نص السؤال المفترض أن الربا يحفظ الثروة وينميها، وهذا يتعارض مع صريح النص القرآني: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] فكيف جعل ما توعد الله تعالى عليه بالمحق سبباً في حفظ الثروة وتنميتها؟!

٢- إنْ فهم من كلام الشيخ أنه يعتبر أكل الربا ضرورة في الحالة التي ذكرها السؤال، فإن هذا لا يسلم ، فالضرورة تكون فيما لو لم يلجأ إليه زهقت بسببه النفس أو لحق بها ضرر لا يدفع إلا بارتكابها، وهذا ما يؤكده الشيخ محمد الحامد – رحمه الله – في رد لفتوى شبيهة هذه، إذ يقول:- "أنا أفهم الاضطرار إلى الاقتراض بالربا في نحو ما إذا كان مسلم في بيداء من الأرض

(١) ٧١/٢٣.

(٢) ٦٧/٤.

وقد نفد زاده واشتد به الجوع حتى خاف الهلاك، وأبى عليه الرفاق أن يمنحوه أو يقرضوه ما يبلغه العمران إلا بالربا، ففي هذه الحال يكون مضطراً ولا حرج عليه إن اقترض بالربا يوماً فيوماً، قدراً يسيراً يقيم صلبه ويقيه الموت جوعاً، وعمله هذا داخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣][1]

٣- ما يعرضه السؤال من استتراف الأجنبي ثروة الأمة بأخذه الربا منها دون أخذها شيئاً منه مدفوع بالتجربة الحقيقية القابلة للتجدد إن صدقت النيات وأحسن أرباب المال تصرفهم فيه.

فمن تجارب البنوك الإسلامية ما حدَّث به مؤسس بنك دبي الإسلامي من أن مصرفه استطاع أن يكسب ثقة البنوك العالمية حين رفض التعامل معها بالربا في قروضها منه ، الأمر الذي حدا بها إلى زيادة حجم التعامل معه، وكانت النتيجة مزيداً من الأرباح[2].

٤- والنقطة السابقة توصل إلى انتفاء الضرورة للتعامل بالربا ، فإن سوء الإدارة وسوء التصرف بالمال هو الذي يجلب الفقر ويمحق البركة، وفي هذا يقول الشيخ الحامد: "لعل الكاتب إذا فكر في تبذير المسلمين وتبديدهم أموالهم في تحصيل الكماليات، بل في وجوه العصيان واللهو واللعب، لعله إذا فكر هذا التفكير جيداً يرى أن لا ضرورة بالمعنى الصحيح إذ لم يصل بنا الفقر إلى حدها.

إن ما ينفقه المسلمون يومياً في الوجوه التي لم يأذن بها الله عز وجل كاف -لو جمع - لإنشاء أجل المشروعات الإقتصادية وفتح أبواب الأعمال المجدية لألوف العاطلين عن العمل"[3] .

وفي قوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] يقول: "فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من عورات الرجال والنساء (ما بين السرة والركبة)، وإذا نظرن إلى ما عدا ذلك بشهوة حرم، وبدونها لا يحرم، ولكن غض البصر عن الأجانب أولى بهن وأجمل"[4] .

وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧] جاء في تعريفه ابن السبيل: "الذي انقطع عنه ماله ولا يمكن

---

(١) ردود على أباطيل - الشيخ محمد الحامد- ص ٥١٧ ط الشؤون الدينية. قطر.

(٢) حدث الباحث بهذا أحد المستشارين الشرعيين لمؤسس بنك دبي الإسلامي سعيد لوتاه.

(٣) ردود على أباطيل - محمد حامد ص ٥١٦.

(٤) ٩٩/١٨.

أن يصل إليه لبعد الشقة، لكنها الآن سهلة وهي على أساليب شتى، فيمكن المرء أن يطلب ما يشاء بحوالة على أي مصرف في أي بلد على سطح الكرة الأرضية، ومن ثم فهذا النوع لا يوجد الآن"[1].

والعجب من هذه الفتوى!! فالشيخ يفترض أن موطئ الأقدام واحد في السهولة والخدمات والاتصال، وهذا عملياً غير صحيح، فكم يحدِّث المرء عن مناطق لم يصلها البريد بعد، ولا تتوافر فيها الخدمات المصرفية، فماذا نسمي من انقطع من ماله وزاده فيها؟!

إن قياس الأمور على الظروف التي يعيشها المرء في مجتمعه دون النظر إلى ظروف البيئات المختلفة الأخرى، يخرج بالفتوى عن التقدير الصحيح للمكان والزمان والأشخاص.

ثم افترض أن بقاع الأرض جميعها قد غطيت بالخدمات العصرية الحديثة، فماذا يصنع شخص كان يحمل كل ما يملك في سفر، فانقطع في سفره وليس له في بلاده ما يكفل عودته إليها؟! وماذا نسميه بعد أن حكم الشيخ بانتفاء وجود ابن السبيل في هذا الزمان؟

٥ - رأي الجمهور واتفاق الفقهاء: -

قد يضرب الشيخ عن ذكر الخلاف في المسألة ويكتفي بذكر رأي الجمهور، في إشارة ضمنية إلى عدم أهمية الخلاف في الموضوع، وقد ينقل اتفاق الفقهاء على رأي في المسألة الواحدة .

فمن المسائل التي حكى فيها رأي الجمهور:

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢] قال: "وجمهور العلماء على أن الخشوع ليس شرطاً للخروج من عهدة التكليف وأداء الواجب، وإنما هو شرط لحصول الثواب عند الله، وبلوغ رضوانه[2].

ومن المسائل التي حكى فيها اتفاق العلماء وإجماعهم:

ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٥] قال: "والخلاصة: إن التزوج بالمرأة في العدة محرم قطعاً، بل الخطبة فيها محرمة، والعقد فيها باطل بإجماع المسلمين"[3].

- ومنها ما جاء في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ [النساء: ٢٢] قال:

---

(١) ٢٨/٣٩.

(٢) ١٨/٥

(٣) ٢/١٩٥.

"والمذاهب الأربعة متفقة على تحريم الاستمتاع بالأختين بملك اليمين أو بالنكاح والملك، كأن يكون مالكاً لأحداهما ومتزوجاً للأخرى فيحرم عليه أن يستمتع بهما، ويجب عليه أن يحرم إحداهما على نفسه، كأن يعتق المملوكة أو يهبها ويسلمها للموهوبة له"[1].

وفي قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ [المائدة: ٩٥] قال: "وقتل المحرم بحج أو عمرة للصيد حرام بالإجماع"[2].

ووقع أن ذكر الشيخ اتفاق الفقهاء ليرى خلافه:

- جاء هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ [النساء: ٤٣] فقد تبع المراغي ما جاء في المنار نقلاً عن الأستاذ الإمام من أن الآية تفيد ترخيص التيمم للمسافر وجد الماء أم لم يجده وهذا رد لاتفاق المذاهب الأربعة كما ذكر صاحب المنار.

وقد ذكر السيد رشيد رضا كلاماً طويلاً لأستاذه ينتصر فيه لما رأى ويضعف ما ذهب إليه الجمهور[3]. وهو ما لخصه المراغي في تفسيره بقوله: "والخلاصة أن حكم المريض والمسافر إذا أرادا الصلاة كحكم المحدث حدثاً أصغر أو ملامس النساء ولم يجد الماء، فعلى كل هؤلاء التيمم فقط ، قاله الاستاذ الإمام، لكن المعروف في المذاهب الأربعة أن شرط التيمم في السفر فقد الماء، فلا يجوز مع وجوده، وهذا بخلاف ظاهر الآية"[4].

وبالرجوع إلى تفسير المنار تجده يقول: "واحتمال ربط قوله تعالى (فلم تجدوا ماءً) بقوله (وإن كنتم مرضى أو على سفر) بعيد بل ممنوع البته ...، على أنهم لا يقولون به في المرضى، لأن اشتراط فقد الماء في حقهم لا فائدة له، لأن الأصحاء مثلهم فيه ، فيكون ذكره لغواً يتنزه عنه القرآن، ونقول: إن ذكر المسافرين كذلك، فإن المقيم إذا لم يجد الماء يتيمم بالإجماع، فلولا أن السفر سبب للرخصة كالمرض لم يكن لذكره فائدة، ولذلك عللوه بما هو ضعيف متكلف"[5].

---

(١) ٤/٢٢٢.

(٢) ٧/٣٢.

(٣) انظر تفسير المنار ٥/٩٧-٩٩.

(٤) ٥/٤٨.

(٥) تفسير المنار ٥/٩٩.

ولله در الإمام ابن تيمية الذي رد هذا الكلام بعبارة قصيرة بسيطة، فقد جاء في فتاواه:

"فقوله: (فلم تجدوا ماء) يتعلق بقوله (على سفر) لا بالمرض، والمريض يتيمم وإن وجد الماء، والمسافر إنما يتيمم إذا لم يجد الماء. ذكر سبحانه النوعين الغالبين: الذي يتضرر باستعمال الماء، والذي لا يجده"[1].

فأنت تجد في قول ابن تيمية (ذكر سبحانه النوعين الغالبين ...) تفريق بين سبب التيمم للمريض وسببه للمسافر، وهما النوعان الغالبان، فلا ضير في الجمع بينهما.

ورحم الله الأستاذ محمد عبده وسامحه، فأين التكلف في مثل قول ابن تيمية؟! لقد كان يسعه ومن تبعه من تلاميذ أن يقفوا عند اتفاق الفقهاء المجتهدين الذين ملكوا ناصية اللغة قبله، وفهموا مدلولات النصوص، وراعوا قواعد أصول الفقه حتى تم لهم من المعرفة ما أهلهم للاجتهاد، فالجرأة على مخالفتهم مع عدم امتلاك آلة اجتهادهم، هو التكلف، والله أعلم.

٦ - المراغي واختلاف الفقهاء : -

أ- ورد في غير موضع من التفسير ما يدل على فهم الرجل لاختلاف الفقهاء فيما ذهبوا إليه من آراء.

ترى هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [البقرة: ١٧٦] إذ يقول: "وليس هناك عذر للمسلمين في الاختلاف في دينهم، لأن الله أوجد لكل مشكل مخرجاً، على أن ما تختلف فيه الأفهام لا يقتضي الشقاق والنزاع ، بل يسهل على جماعة المسلمين من أهل العلم أن ينظروا فيما اختلف فيه ، وما يرون أنه الراجح يعتمدون عليه إذا تعلق بمصلحة الأمة والأحكام المشتركة بينها[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، يبين المراغي أسباب اختلاف الفقهاء ويتفهمها[3].

وقد ذم الشيخ التعصب للآراء الفقهية غير مرة، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣٩٨/٢١ ، تصوير ط١ (١٣٩٨هـ) .
(٢) ٥٣/٢.
(٣) ١٩/٤.

عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٤٠] قوله: "وفي الآية دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يدل على التنقص والاستهزاء بالأدلة الشرعية والأحكام الدينية، كما يقع من أُسَراء التقليد الذين استبدلوا آراء العلماء بالكتاب والسنة ولم يبق في أيديهم إلا قال إمام مذهبنا كذا وقال فلان من أَتباعه كذا، وإذا استدل أحد بآية قرآنية أو بحديث نبوي سخروا منه وظنوا أنه جاء بخطب شنيع، وجعلوا رأي إمامهم متقدماً على ما نطق به الكتاب وأرشدت إليه السنة"(١).

وبعد، فقد لجأ الشيخ في تفسيره إلى أسلوب العرض السريع للقضايا الخلافية التي يرى من الضرورة ذكرها، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ [البقرة: ١٨٤] يقول: "وأكثر الائمة كمالك وأبي حنيفة والشافعي على أن الصوم أفضل لمن قوي عليه ولم يشق ، ويرى أحمد والأوزاعي أن الفطر أفضل عملاً بالرخصة"(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [النساء: ٥] قال: "وهنا الإشهاد واجب عند الشافعية والمالكية، إذ إن تركه يؤدي إلى التخاصم والتقاضي كما هو مشاهد ، وجعله الحنفية مندوباً لا واجباً"(٣).

ب – ترجيح ما يراه مناسباً من الآراء في المسألة:

قد يميل الشيخ بعد عرض عدة آراء في المسألة إلى واحد من هذه الآراء مع ذكر مسوغ اختياره له، من ذلك: ما ورد في مسألة صلاة القصر في السفر وشروطها، حيث ذكر أقوال العلماء فيها ثم عقب عليها بقوله: "فالحق ما عليه الحنفية وغيرهم، من وجوب القصر في السفر، خلافاً للشافعية الذين أجازوا الإتمام"(٤).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ [الأنعام: ١٢١] قال

---

(١) ١٨٤/٥.

(٢) ٧٢/٢.

(٣) ١٩٠/٤.وانظر كذلك ١٠٠/١٨.

(٤) ١٣٨/٥

: "وما يذبح عند استقبال ملك أو أمير أو وزير أفتى بعض الحنفية بتحريم أكله لأنه مما أهل به لغير الله، وقال بعض الشافعية: هم إنما يذبحونه استبشاراً بقدومه، فهو كذبح العقيقة لولادة المولود، ومثل هذا لا يوجب التحريم ، وهذا هو الراجح الذي عليه المعول"[١].

وفي بيان مصرف الزكاة – في سبيل الله تعالى – ذكر أقوال العلماء في ذلك، ثم قال: "والحق أن المراد بسبيل الله مصالح المسلمين العامة التي بها قوام أمر الدين والدولة دون الأفراد، كتأمين طرق الحج وتوفير الماء والغذاء وأسباب الصحة للحجاج، وإن لم يوجد مصرف آخر، وليس منها حج الأفراد لأنه واجب على المستطيع فحسب"[٢] .

مما تقدم تقف على أن الشيخ لا يتبنى مذهباً بعينه ولكنه يرجح ما يقوى في نظره دليله.

---

(١) ١٨/٨

(٢) ١٤٥/١٠.

المبحث الثاني

بيان حكمة التشريع

بحث الشيخ في حكمة تشريع كثيرمن من الأحكام التي بينتها الآيات الكريمة ، حتى وصلت المواضع التي بحث فيها إلى ما يزيد على الأربعين، انطلاقاً من إيمانه بضرورة الوقوف على حكمة التشريع ، "إذ معرفة التشريع مع حكمته هي التي تحدث العبرة والعظة الباعثة على الامتثال"(١).

وهذه بعض الأمثلة مما يراه المراغي حكمة للتشريع :

- في بيان حكمة تشريع الجهاد يقول:

"وإنما فرض علينا الجهاد ليكون سياجاً ووقاية لصد من يقاوم هذه الدعوة ويمنع نشر هذا النور في أرجاء المعمورة ، وكف الكافرين عن المؤمنين كيلا يزعزعوا ضعيفهم قبل أن يتمكن الإيمان من قلبه، ويقهروا قويهم بفتنته عن دينه كما كانوا يفعلون ذلك في مكة جهراً، ومن ثم قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة: ١٩٣] ولن يكون كذلك إلا إذا كفت الفتن عنه وقوي سلطانه حتى لا يجرؤ على أهله أحد"(٢).

- وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١١٥] قال: "والحكمة في استقبال القبلة أنه لما كان من شأن العابد أن يستقبل وجه المعبود، وهو بهذه الطريقة محال على الله، شرع للناس مكاناً مخصوصاً يستقبلونه في عبادتهم إياه، وجعل استقباله كاستقبال وجهه تعالى"(٣).

وهذا توجيه نقله الشيخ رشيد رضا في المنار عن أستاذه الإمام(٤) ونقله عنهما المراغي، ولكنه لا يسلم، إذ كيف يجعل استقبال الكعبة كاسقبال وجه الله، وبينهما فرق كما بين الخالق والمخلوق!! وما يذكره الأستاذ من أن شأن العابد أن يستقبل وجه المعبود فهو معنى مقرب مما عهده الناس في عبادة غيره بالباطل، والله أعلم.

- وفي حكمة شرع الوضوء والغسل ذكر الشيخ في غير موضع من تفسيره أن مدارها على تنشيط

---

(١) ١٧٩/٢.

(٢) ٣/١٨.

(٣) ١٩٩/١.

(٤) انظر تفسير المنار ٣٥٧/١-٣٥٨.

الجسم ونظافته وتكريم المرء لنفسه وأهله بالمحافظة على هذه النظافة ليكون مـؤهلاً لحضـور كـل مجتمع، ولقاء أشراف الناس وفضلائهم(١) .

والحقيقة أن هذه الأمور التي تتردد بين الناس أنها حكمة لمشروعية الوضوء والاغتسال يمكن الإجابة عنها بأكثر من وجه، فإذا كان الاغتسال لتنشيط الجسم ففي الناس من إذا اغتسل استرخت أعضاؤه وشعر بالنعاس، وإذا كان للنظافة فماذا نقول برجل اغتسل وتنظف قبل النوم ثم احتلم؟! أو اغتسل ولم ينو، فإنه في قول كثير من العلماء لم يصح.

- وفي الحكمة من حضور طائفة من المؤمنين لحد الزنا يذكر الشيخ أن المقصود من ذلك افتضاح أمر الزناة والمبالغة في تأنيبهم(٢).

والحق أن التشهير بالناس وفضحهم ليس من آداب الإسلام ولا من مقاصده، ولو كانوا عصاة ومذنبين، والأقرب مما ذكر الشيخ أن يكون حضور الناس تنفيذ حد الزنا مقصوداً لوعظهم بترك سلوك طريق هذا المحدود ، وتخويفهم من السير إلى نفس مصيره(٣).

وفي إشارة من الشيخ إلى أن حكمة التشريع قد لا تصلها مدارك البشر، قال في تفسير قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الصافات : ١٠٦]:

"ولله عز اسمه أن يبتلي من يشاء من عباده بما شاء من التكاليف، وهو الفعال لما يريد لا راد لقضائه ولا مانع لقدره، وكثير من التكاليف قد تخفى علينا أسرارها وحكمها، وهو العليم بها وبما لأجله شرعها "(٤).

وليت الشيخ – رحمه الله – جعل هذه الكلمات منهاجاً له في كثير من المواضع التي استخلص عندها حكماً تشريعيةً لم تخل من المقال، أو لم تكف لتكون وحدها هي الحكمة من تشريع الحكم.

---

(١) ٤٧/٥ و ٦٥/٦ و٦٦.

(٢) ٦٨/١٨ و٧٠.

(٣) وقد ذكر بعض المفسرين الوجه الذي ذكره الشيخ المراغي : انظر تفسير الخازن – لباب التأويل في معاني التنزيل – للشيخ علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي المعروف بالخازن ٣٦٥/٤ من مجمع التفاسير ط ٢ دار الدعوة استنبول – تركيا ، (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) وانظر تفسير الألوسي ٨٣/١٨ ، وقد ذكر الألوسي – رحمه الله – الوجه الذي فضله الباحث كذلك .

(٤) ٧٥/٢٣.

على أنه يجدر التنبيه إلى أن الحرص على معرفة حكمة التشريع في كل حكـــم يوقـــع في الزلـــل والتكلف، والأصل في التعامل مع العبادات هو الامتثال الكامل من غير حاجة للوقوف علـــى حكمـــة تشريعها ، فإن سهل الوصول إليها من غير تقوّل ولا تمحل فخير، وإلا فاشتغالنا بالامتثـــال أولى مـــن الاشتغال بالمقال.

والله أعلم ...

المبحث الثالث

بعض مسائل أصول الفقه – استنباطها من الآيات

وظف الشيخ المراغي بعض قواعد أصول الفقه لخدمة التفسير، كما حاول استخلاص القواعد الأصلية من النصوص القرآنية الكريمة.

ويتناول هذا المبحث القضايا الأصولية في تفسير المراغي من خلال ما يلي:

١ - إشارات سريعة لبعض القضايا الأصولية: -

- قد يستنبط الشيخ بعض القواعد الأصولية من الآية دون الإتيان بنص القاعدة كما ذكرها الأصوليون، من ذلك :-

- ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] فبعد تفسير الآية قال: "وبهذا نعلم أن الأصل إباحة الانتفاع بكل ما خلق الله في الأرض، فليس لمخلوق حق في تحريم شيء أباحه الله إلا بإذنه[١] .

وهو بهذا يشير إلى القاعدة الأصولية: (الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل التحريم).

- وتجد الشيخ يذكر بعض قضايا الأصول ليصل من خلالها إلى بيان حكم شرعي. فها هو عند كلامه عن مسافة السفر الذي يباح فيه الفطر يقول: "وهذه المسافة وإن قطعت الآن في دقائق معدودات مبيحة للفطر، إذ العبرة بقطع هذه المسافة لا بالزمن الذي تقطع فيه "[٢].

وهو بهذا يشير إلى أنّ علة الإفطار في السفر هي المسافة لا الزمن الذي تقطع فيه والعلة ركن من أركان القياس عند الأصوليون"[٣].

وفي قوله سبحانه: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة: ٦٧]، يشير الشيخ إلى المسألة الأصولية (هل يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة؟) فيرى أن التبليغ المباشر للأحكام حتم لا يجوز كتمانه على أي حال ، وإلا اجتهد الرسول ﷺ بتأخير بعض الوحي

---

(١) ٧٦/١.

(٢) ٧١/٢.

(٣) انظر إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٠٦.

إلى أن يقوى استعداد الناس لقبوله ، وعدم إيذائه ﷺ لأجله[1].

- وفي قوله تبارك اسمه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]، يقول: "وتخصيص الأميين بالذكر لا يدل على أنه لم يرسل لغيرهم، فقد جاء العموم في آيات أخرى كقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧][2].

وهو بهذا يدفع مفهوم المخالفة عن الآية الكريمة[3].

٢ -تصريحه بالقضية الأصولية وكلامه عنها: -

قد يستنبط الشيخ قاعدة أو مسألة أصولية من الآية ثم يعقب على هذا الاستنباط غالباً، من ذلك:-

- ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًۭٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] قال: "وفي الآية إرشاد إلى منع التقليد لمن قدر على الاجتهاد، فإذا اتبع المرء غيره في الدين ممن علم أنه على حق كالأنبياء والمجتهدين فهذا ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله"[4] .

- وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة: ٢١٩] يقول: "وفي الآية إرشاد إلى القاعدة العظيمة التي دونها علماء الإسلام فيما بعد وهي(درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) ، وإلى القاعدة الأخرى (ارتكاب أخف الضررين إذا كان لابد من أحدهما)[5].

- وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ﴾ [النساء: ٥٩] يقول الشيخ: "أي فإذا لم يوجد نص على الحكم في الكتاب ولا في السنة ينظر أولو الأمر فيه لأنهم هم الذين يوثق بهم، فإذا اتفقوا وأجمعوا وجب العمل بما أجمعوا عليه، وإن اختلفوا وتنازعوا

---

(١) ١٥٩/٦، وقد نقل الشوكاني عن أبي بكر الباقلاني رحمهما الله القول بإجماع أهل الشرائع على امتناع تأخير البيان عن وقت الحاجة، انظر إرشاد الفحول للشوكاني ص ١٧٣.

(٢) ٩٥/٢٨.

(٣) مفهوم المخالفة هو حيث يكون المسكوت عنه مخالفاً للمذكور في الحكم إثباتاً ونفياً فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به ، ويسمى دليل الخطاب، انظر الإرشاد الفحول للشوكاني ص ١٧٩.

(٤) ٤٥/٢.

(٥) ١٤٣/٢.

وجب عرض ذلك على الكتاب والسنة وما فيهما من القواعد العامة، فما كان موافقاً لهما علم أنه صالح لنا ووجب الأخذ به وما كان مخالفاً لهما علم أنه غير صالح ووجب تركه، وبذا يزول التنازع وتجتمع الكلمة.

وهذا الرد واستنباط الفصل في الخلاف من القواعد هو الذي يعبر عنه بالقياس، والأول هو الإجماع الذي يعتد به"[1].

وفي ختام سورة المائدة جعل الشيخ من أهم الأصول التي انفردت فيها السورة بيان أن (الضرورات تبيح المحظورات)[2].

وفي قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣] بعد أن فسر الذين ظلموا بأنهم المشركون قال: "ولو فرضنا أن سبب النزول هم المشركون، (فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)"[3].

وبعد ...

فقد ظل حضور مسائل أصول الفقه في تفسير المراغي محدوداً لأن بسطها والتوسع فيها يفتح المجال أمام المزيد من التفريعات والمداخلات، وليس هذا مما يبحث عنه ناشد اليسر في الوصول إلى فهم بسيط للآية، وهو من كتب المراغي تفسيره من أجله.

لذا فإنك لم تجد مكاناً للخلافيات الأصولية في هذا التفسير، ولا للشروح المستفيضة أو غيرها مما توسع فيه أهل الأصول، كل الذي تراه إشارات مختصرة للقواعد والمسائل الأصولية مرة بالنص ومرة بالمعنى.

---

(١) ٧٢/٥-٧٣ ، وما يذكره الشيخ هنا بمجموعه هو الاجتهاد، وقد ركز على أهميته في الأمة المسلمة غير مرة، انظر تفسير قوله نعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ...﴾ [المائدة: ٤٨] ١٣١/٦-١٣٢.

(٢) ٦٨/٧.

(٣) ٩٣/١٢.

الفصل السابع

الاتجاهات المعاصرة في تفسيره

المبحث الأول
الاتجاه العلمي

تمهيد

في كل جزء من أجزاء هذه الدراسة تشعر بأنك بحاجة إلى تكرار الحديث عن تأثر الشيخ المراغي بمدرسة المنار، التي قامت في خضم انبهار المجتمع العربي بالإنجازات الحضارية والعلمية للمجتمعات الغربية.

لقد كان اتجاه مدرسة المنار إصلاحياً في زمان أقبل الناس فيه على الغرب وحضارته، وبهروا باختراعاته ومكتشفاته، فحملت هذه المدرسة على عاتقها تقديم الإسلام بصورته الحضارية المواكبة للتقدم، وبيان أن ما توصلت إليه عقول الغربيين وابتكاراتهم مسبوق بما في القرآن من إشارات فنية وعلمية تبهر العقول لو التفتت إليها .

وقد وصف الشيخ المراغي في مقدمة تفسيره ما يحتاج إليه الناس في هذا العصر من كتب التفسير ، وأنها يجب أن تضم إلى آراء مؤلفيها "آراء أهل الذكر من الباحثين في مختلف الفنون التي (ألمع) إليها القرآن على نحو ما أثبته العلم في عصرنا"[1].

وللوقوف على منهج الشيخ المراغي في الحديث عن القضايا العلمية المعاصرة لا بد من دراسة لمواضع مختارة من تفسيره ، مع البحث في أهم المصادر التي رجع إليها وتأثر بأصحابها، ومناقشة ما لا يسلم من آرائه أو نقوله.

منهج المراغي في القضايا العلمية:-

يتناول البحث منهج الشيخ المراغي في القضايا العلمية من خلال ما يلي:

- أهم مراجعه:-

١- تفسير المنار: وسيشير البحث إلى بعض الأمثلة من اقتباس المراغي منه في مواضعها إن شاء الله.

٢- كتاب الإسلام والطب الحديث للدكتور عبد العزيز اسماعيل: من السهل على قارئ هذا التفسير أن يلحظ اهتمام المراغي بهذا الكتاب، فهو ينقل منه نصوصاً مطولة أحياناً، ويثني على

---

(١) ٤/١. هكذا وردت (ألمع) بالعين وليتها كانت (ألمح)!!

مؤلفه في سياق الكلام.

ومن أمثلة ذلك:-

- ما جاء تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦] قال: "قال د. عبد العزيز باشا إسماعيل عليه سحائب الرحمة في كتابه(الإسلام والطب الحديث): والحكمة في تبديل جلود الكفار أن أعصاب الألم هي في الطبقة الجلدية، وأما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية فالإحساس فيها ضعيف، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذي لا يتجاوز الجلد يحدث ألماً شديداً بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد إلى الأنسجة لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألماً كثيراً، فالله يقول لنا: إنَّ النار كلما أكلت الجلد الذي فيه الأعصاب نجدده كي يستمر الألم بلا انقطاع، ويذوقوا العذاب الأليم، وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الإنسان، وكان الله عزيزاً حكيماً"[١].

٣- بحوث ومقالات متفرقة عن بعض أهل الاختصاص:-

وذلك كاستفتائه د. عبد الحميد العرابي في نظرية الحمل[٢]، كذلك استشارته الأستاذ عبد الحميد سماحة وكيل المرصد الفلكي المصري بحلوان[٣]، وما نقله عن استاذ الرياضيات في جامعة بنسلفانيا من آراء حول الأرض والمجموعة الشمسية[٤]، وغير ذلك.

ملامح منهج الشيخ في القضايا العلمية:-

يبدو للقارئ وهو يدرس القضايا العلمية في هذا التفسير أن الشيخ قد وفى بوعده في التطرق لما أثبته العلم في عصر(٥)، حتى إنه ليبالغ في بسط مسائله وإعطائها صبغة الحقائق، وهي قد لا ترقى إلى ذلك أحياناً.

وتظهر الإطالة في هذا الجانب عندما ينقل نصوصاً كاملة حول الموضوع الذي يتحدث عنه، من

(١) ٦٨/٥ وكذلك ما ورد في ١٣٣/٣-١٣٤، وما يذكره عند قوله تعالى ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥]، وغير ذلك... ويظهر إجلاله وحبه للدكتور عبد العزيز باشا وهو يقول: "قال الطبيب التقي عبد العزيز باشا اسماعيل طيب الله ثراه..."انظر ١٩٧/٧، ولا يجد القارئ ذكر هذا الكتاب في قائمة مراجع الشيخ رغم تكرار الاقتباس منه أكثر من عدد من المراجع التي احتوها القائمة مثل تفسير الباقلاني ومقدمة ابن خلدون، انظر ٢١/١-٢٢.

(٢) ١١٢/٣٠-١١٥

(٣) ١١/٢٣.

(٤) ٢٦/١٦.

كتاب (الإسلام والطب الحديث) أو مما يجاب عنه من كلام لأهل الاختصاص.

فها هو ينقل ما يزيد على نصف الصفحة في تفسير قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الأنعام:من٩٥] مفادها أن إخراج الحي من الميت هو نمو الحي بأكل أشياء ميتة وأما إخراج الميت من الحي فهو الإفرازات مثل اللبن [(١)].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] قال الشيخ:- "وقد أثبت العلم الحديث ما يتبين منه أن في كل عالم من العوالم الأرضية والسماوية ما لا يحصى من النعم على عباده، وعليك أن تلقي سمعاً لمختلف الآراء التي اهتدى إليها العلماء في العصر الحاضر، قال الأستاذ المدرس لعلوم الرياضيات التطبيقية في جامعة بنسلفانيا بأمريكا في ١٩٢٨م، وهي أحدث الآراء في منشأ الكائنات وعدم التناهي في الزمان والمكان خلاصته:..."وعدد الشيخ تسع عشرة نقطة تتعلق بمعلومات عن الأمور السماوية الأخرى بالأرقام [(٢)].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] ذكر الشيخ نظرية علماء الفلك في حركة الكواكب واستقرارها، ثم خلص إلى أن القرآن أثبت ما دل على صحته الكشف أن الكواكب متحركة، ثم قال: "وقد طلبت إلى الأستاذ عبد الحميد سماحة كيل المرصد الفلكي المصري بحلوان ان يدلي إلي بما أثبته علماء الفلك حديثاً في النظريات التي نصت عليها الآيات فكتب إلي ما يلي..." [(٣)]

وذكر أربع آيات (دلائل على الإعجاز) تستفاد من هذه الآية الكريمة وقد استطرد الشيخ رحمه الله فيما سماه (نظريات) تضمنتها الآيات ومعلوم أن النظرية غير الحقيقة، فالنظرية أمر قابل للدراسة والثبوت أو البطلان مع تقدم العلم ودقة التجارب.

وقد يستطرد الشيخ في ذكر معلومة لا تلزم لفهم النص، من ذلك ما جاء في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ [المرسلات: ٢٧] يقول: "وهذه الجبال متصلة بالطبقة الصوانية التي هي

---

(١) ١٩٧/٧-١٩٨.

(٢) ٢٦/١٦-٢٩، ويقف المرء طويلاً عند هذه الأرقام، والأجدر أن نترفع بكتاب الله تعالى عن تفسير آياته بتخمينات وضعها العلماء قبل عشرات السنين.

(٣) ١٠/٢٣-١٤.

أبعد طبقات الأرض عن سطحها، وتلك الطبقة تضم في جوفها كرة النار المشتعلة التي في باطنها وظاهرها هذه القشرة التي نحن عليها"[(١)].

ومن ذلك استطراده في بيان معنى البروج في سورة البروج، إذ يقول: "واحدها برج، ويطلق على الحصن والقصر العالي، وعلى أحد بروج السماء الإثني عشر ، وهي منازل الكواكب والشمس والقمر"[(٢)].

ولو وقف عند هذا لكان كافياً في وضوح المراد، ولكنه استطرد ليبين زمن مسير القمر في كل برج، ثم مسير الشمس، ثم أسماء البروج التي تسير فيها الشمس، ثم تفرع الفصول الأربعة من هذا المسير.

ذلك كله جاء في شرح المفردات، ثم عاد في الإيضاح ليتكلم عن الزمن اللازم لوصول ضوء الكواكب إلى الأرض، وسرعة الضوء في الثانية الواحدة ، ثم خلص بعد ذلك إلى بُعد الكواكب عن الأرض تبعاً للزمن الذي يستغرق ضوؤها في الوصول إلينا"[(٣)] .

وأخيراً ففي تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥-٧] يقول الشيخ: "وقد استفتيت في نظرية الحمل وكيفية تكوين الجنين النطاسي البارع عبد الحميد العرابي بك وكيل مستشفى الملك سابقاً، فأجابني حفظه الله بما يأتي... "ونقل نصاً تحت عنوان (كيفية حصول الحمل ونمو الجنين في الرحم) استغرق قريباً من أربع صفحات[(٤)].

وإسهاب الشيخ في مثل هذه القضايا كثير، لا مجال لحصر أمثلته، وليس ذلك من مراد البحث [(٥)].

---

(١) ١٨٤/٢٩.

(٢) ٩٧/٣٠.

(٣) ٩٨/٣٠-١٨٤.

(٤) ١١٢/٣٠-١١٥.

(٥) من أشهر الموضوعات التي استطرد فيها الشيخ غير ما ذكر، فوائد العسل والحديث عن النحل، انظر ١٠٥/١٤-١٠٨.

ولم يخل تفسير المراغي من إشارات علمية سريعة، رغم كثرة الإطالة والإسهاب في معالجة القضايا العلمية التي يذكرها.

من ذلك ما جاء في تفسير معنى (البرق) إذ يقول فيه: "هو الضوء الذي يلمع في السحاب غالباً، وربما لمع في الأفق حيث لا سحاب، وأسباب هذه الظواهر اتحاد كهربية السحاب الموجبة بالسالبة، كما تقرر ذلك في علم الطبيعيات"[1].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢] قال:- "وقد يكون المراد بتلاها أي تبعها في كل وقت، لأن نوره مستمد من نور الشمس،فهو لذلك يتبعها، وقد قال بهذا الفرَّاء قديماً، وأثبته علماء الفلك حديثاً [2].

- استخدام القضايا العلمية لتوضيح بعض الأمور الشرعية:-

سخر الشيخ المراغي بعض المفاهيم أو المخترعات العلمية لتقريب شيء من قضايا الغيب التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

– فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩] أراد الشيخ أن يقرب هذه القضية الغيبية إلى الأذهان ويذكر أن العلم الحديث أجازها، فقال:وقد دلت تجارب الأطباء في العصر الحديث على أن من الناس من يبقى حياً زمناً طويلاً ، لكنه يكون فاقد الحس والشعور، وهو المسمى لديهم بالسبات، وهو النوم المستغرق، ويستعمله أهل الرياضيات في الهند، فقد شوهد شاب قد نام نحو شهر، ثم أصيب بدخل في عقله، وآخرون ناموا أكثر من ذلك، ومتى ثبت هذا فالذي يحفظ الأجسام مثل هذه المدة قادر أن يحفظها مئة سنة وثلاثمئة سنة، فهذا من الممكنات لا من المستحيلات، وقد تواتر به النص فيجب التسليم به،

---

(١) ٥٩/١.

(٢) ١٦٦/٣٠.

والتجارب التي عملت تقرب بيان إمكانه من أذهان الذين يعسر عليهم أن يميزوا بين ما هو مستبعد لعدم ألفه في مجرى العادة، وما هو محال لا يقبل الثبوت لذاته"[1] .

ولنا عند كلام الشيخ وقفة: -

١- إن الله تعالى تعبدنا بالتصديق بكل ما أخبر به الوحي من الغيوب، والفرق الجوهري بين المؤمن والكافر تسليم الأول بما وراء عالم الشهادة من الغيوب، ومنازعة الثاني فيه، فالإيمان الصحيح هو مطلق التسليم دون الحاجة إلى تقريب ، وإن كان لا بد، فإن المسلم ببدء الخلق أول مرة ثم بعث الخلق يوم القيامة بعد كونهم رفاتاً يسهل عليه التسليم بإماتتهم في الدنيا ثم إحيائهم مرة أخرى قبل يوم القيامة لأمر يريده سبحانه، وغير المسلم بذلك أصلاً يجمد عقله عن استيعاب تقريب من مثل هذا النوع، لو سلمت صحة هذا التقريب.

٢- التسليم بصحة تقريب الصورة كما بينها الشيخ أمر فيه نظر، فالآية تنص على حصول الموت ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِأْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ دون النوم[2]، وبينهما فرق كبير يجعل التقريب في أَساسه غير صحيح.

أما ما يستشهد الشيخ به فهو السبات العميق وهو نوم مستغرق لعلة من مرض أو تأثير روحي أو علمي.

والموت فيه آية واضحة على قدرة الله المطلقة، فهو معجزة دالة على إمكان حصول البعث بعد الموت لمّا استبعده ذلك الذي ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، أما الاستغراق في النوم فله أسبابه المادية المعروفة، وقد أصبح ظاهرة علمية مشهورة في أيامنا هذه، وشتان بين المعجزة وظواهر العلم[3].

- وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] يدافع الشيخ عن طلب إبراهيم عليه السلام معرفة شيء من

---

(١) ٢٢/٣-٢٣.

(٢) وقد نص على وقوع الموت المعروف كل من اطلع الباحث على أقوالهم في الآية، انظر تفسير ابن كثير ٣١٤/١ والكشاف ١٥٧/١، والألوسي ٢١/٣.

(٣) فقد أثبت الشيخ المراغي نفسه الفرق بين المعجزة والاكتشاف العلمي كما بيّنّا في مبحث النبوة والأنبياء من الفصل الخامس وانظر ١-١٢٨و ٢٨/٣و ١٦٢/٣-١٦٣.

كنه الغيب الذي لا يعرفه بأن هذه طبيعة البشر يودون دائماً التعرف على المجهول، ويأتي لذلك بأمثلة من المبتكرات العلمية وخفائها على كثير من الناس، فيقول:

"وإنا الآن لنؤمن بأمور كثيرة إيماناً ولا نعرف كيفيتها ونود لو نعرفها، فهذا الأثير (التلغراف اللاسلكي) ينقل أخبار العالم في لحظة ولا نعرف كيفية ذلك ، بل أكثر من ذلك نقل الصور بالتلغراف من الأقطار النائية والقارات البعيدة، ومثله أصوات المذياع(الراديو) التي تنتشر في جميع أقطار العالم بكل اللغات ، وتسمع في أرجاء المعمورة، ولا يعرف كثير من الناس كيف تصل إليهم"[(1)].

وتلاحظ هنا انه استخدم القضايا الحديثة لا ليقرب بها فهم الغيوب، ولكن ليجعلها مشتركة معها في الخفاء على العقل البشري المحدود ، على أن الأمر يحتاج إلى مزيد من الدقة.

فقضايا الغيب وخاصة أمر كيفية البعث بعد الموت لا سبيل للعقل- بأسبابه المحدودة- إلى معرفته، وهي في حقيقتها أعمق من عالم المادة.

أما القضايا العلمية فخاضعة لتطور العقل البشري ، وما يؤتيه الله للناس في كل عصر من أسباب التطور الذهني .

- في قوله سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١] يقول:- "أي للإنسان ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من المضار ويراقبون أحواله... وليس أمر الحفظة بالبعيد عن العقل بعد أن أثبته الدين وبعد أن كشف العلم أَن كثيراً من الأعمال العامة يمكن إحصاؤها بآلات دقيقة لا تدع فيها شيئاً إلا تحصيه، فقد أصبحت المياه والكهرباء في المدن تعد بالآلات (العدادات) فالمياه التي يشربونها، والكهرباء التي يضيئون بها منازلهم تحصى وتعد كما يعد الدرهم والدينار، وكذلك هناك آلات تحصي المسافات التي تقطعها السيارات في سيرها، وأخرى تحصي تيارات الأنهار ومساقط المياه إلى غير ذلك من دقيق الآلات التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة من الأعمال إلا تكتبها وتحصيها، وكلما تقدمت العلوم وكشفت ما كان غائباً عنا كان في ذلك تصديق ايما تصديق لنظريات الدين[(2)]، ووسيلة حافزة إلى الاعتراف بما جاء فيه مما يخفى على بعض

---

(١) ٢٧/٣.

(٢) هو تعبير غير دقيق، والشيخ يريد بقوله (تصديق لنظريات الدين) تصديق لرأي الدين، واستعمال (النظرية يتنافى مع حقائق الدين، فالنظرية أمر خاضع للبحث والتجربة، قابل للخرق.

الماديين الذين لا يقرون إلا بما يرونه رأي العين ، ولا يذعنون إلا بما يقع تحت حسهم، وبهذا يصدق قول القائل (الدين والعقل في الإسلام صنوان لا يفترقان وصديقان لا يختلفان)"[(1)].

والحق أن تسجيل الملائكة لأعمال البشر والإيمان بهذه الوظيفة للملائكة لا يحتاج إلى الاستشهاد بطرق التسجيل والعد الحديثة، لأن الكافربالملائكة لا يقف عند إمكانية التسجيل والإحصاء من عدمها، وإنما يقف عند حقيقة وجود الملائكة أصلاً، فكيف سنقنعه بوجود هذا الصنف من المخلوقات غير الواقعة تحت إدراكنا المباشر ولا القابلة للتقريب مما نعلم من علوم، اللهم إلا إذا شبهناهم أنفسهم بالعدادات وأدوات الحساب، وهذا مرفوض، لأنه خروج بالملائكة عن حقيقتهم، فلا نتعدى بهم ما وصفهم الله إرضاء لأصحاب القلوب الميتة، وكأننا نستجدي إيمانهم .

وأخيراً ففي قوله سبحانه: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٣- ٤] قال: "أي أنه تعالى أرسل عليهم فرقاً من الطير تحمل حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش ، فابتلوا بمرض الجدري والحصبة حتى هلكوا [(2)].

وقد يكون هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، أو تكون هذه الحجارة من الطين اليابس المسموم الذي تحمله الرياح فيعلق بارجل هذا الطير، فإذا اتصل بجسم دخل مسامه ، فأثار قروحاً تنتهي بفساد الجسم وتسقط لحمه.

ولا شك أن الذباب يحمل كثيراً من جراثيم الأمراض فوقوع ذبابة واحدة ملوثة بالمكروب على الإنسان كافية في إصابته بالمرض الذي تحمله، ثم هو ينقل هذا المرض إلى الجم الغفير من الناس، فإذا أراد الله أن يهلك جيشاً كثير العدد ببعوضة واحدة، لم يكن ذلك بعيداً عن مجرى الإلف والعادة، وهذا أقوى في الدلالة على قدرة الله وعظيم سلطانه من أن يكون هلاكهم بكبار الطيور وغرائب الأمور وأدل على ضعف الإنسان وذله أمام القهر الإلهي! وكيف لا وهو مخلوق تبيده ذبابة وتقض مضجعه بعوضة، ويؤذيه هبوب الريح"[(3)].

---

(١) ٣/٧٧.

(٢) وقد وردت الإشارة إلى إصابة جيش أبرهة بهذين المرضين في سيرة ابن هشام لأبي محمد عبد الملك بن هشام (ت.٢١هـ)١/٦٥، دار الفكر –القاهرة، والطبقات الكبرى محمد بن سعد البصري (ت٢٣٠ هـ) ١/٩٢ دار صادر – بيروت ط(١٩٨٥).

(٣) ٣٠/٢٤٣.

وقد تأثر الشيخ المراغي بما ورد عن أستاذه الإمام في تفسير سورة الفيل، وكل ما ذكره هنا موجود في تفسير جزء عم للأستاذ محمد عبده (١).

وقد تطرق الأستاذ سيد قطب إلى ما ذهب إليه الأستاذ محمد عبده من محاولة تقريب حادثة الفيل إلى مفهوم العلم الحديث، وعزا ذلك إلى طبيعة عصر الإمام ومحاولته مواجهة ضغط الخرافة من جهة، وضغط الفتنة بالعلم من جهة أخرى، مما ترك أثره في مدرسة الأستاذ الإمام مبالغة في الاحتياط وميلاً إلى جعل مألوف السنن الكونية هو القاعدة الكلية لسنن الله، فشاع في تفسيره وتفسيري تلميذيه الأستاذ رشيد رضا والأستاذ عبد القادر المغربي، شاع فيها جميعاً الرغبة الواضحة في رد الكثير من الخوارق إلى مألوف سنة الله دون الخارق منها، وإلى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه (المعقول)، وإلى الحذر والاحتراس الشديد في تقبل الغيبيات.

وقد عرض الأستاذ سيد لما أورده الإمام من إصابة جيش أبرهة بالجدري والحصبة، فذكر أن المألوف من أعراض هذين المرضين لا يتفق مع ما روي من آثار الحادث بأجسام الجيش وقائده، فإن الجدري أو الحصبة لا يسقط الجسم عضواً عضواً وأنملة أنملة ولا يشق الصدر عن القلب، وهذه الصورة التي يوحي بها النص القرآني: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[الفيل: ٥] إيحاء مباشراً قريباً، وما روي من ظهور الجدري في الجزيرة عام الفيل لأول مرة ليس فيه أنهما ظهرا بسبب الطير الأبابيل (٢).

وللباحث عند ما جاء من كلام المراغي وقفة: -

١- ذكرت الآية الكريمة أن الله تعالى أرسل على أصحاب الفيل طيراً، ولم تجر العادة ولا إلف الناس أن يسمى البعوض أو الذباب طيراً حتى نفترض أن يكون كذلك، ثم إن المفسرين ذكروا أن هذا الطير كان يحمل في رجليه حجرين ويحمل في منقاره حجراً أمثال الحمص والعدس(٣)، وهذا أمر آخر يبعد أن يكون معه الطير المذكور ذباباً او بعوضاً، إذ إن حجمهما أقل من حبة الحمص ، مما يوقع الشيخ في ما يخشى من عدم قبول العقول المادية لمثل هذا الغيب.

٢- يرى المراغي أن الحجارة التي رمي بها أهل الفيل علقت في أرجل الطير بفعل الريح، ويذكر هذا على سبيل الفرض – كما مر في عبارته- والناظر في كتب التفسير يجد أن المراغي تصرف في

---

(١) انظر تفسير جزء عم –محمد عبده ص ١٦١-١٦٢.

(٢) انظر في ظلال القرآن – سيد قطب ٨/٦٧٠-٦٧١.

(٣) وقد ذكروا ذلك تبعاً لما أورده أصحاب السير، انظر سيرة ابن هشام ٦٥/١، وطبقات ابن سعد ٩٢/١ وانظر تفسير ابن كثير ٤/٥٥٠ ، وقد ذكر ابن كثير أن هذا الطير دون الحمام حجماً يعني أقل منه بقليل.

رواية لابن كثير – رحمه الله – تنص على أن الله أرسل ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادها شدة فأهلكوا جميعاً[1].

وشتان بين ما افترضه الشيخ وبين هذه الرواية، إذ إن افتراض الشيخ يوحي بأن الحجارة لصقت بأرجل الطير اتفاقاً أثناء تحريك الرياح لها!!

٣- خالف الشيخ المراغي أقوال المفسرين في حجم الطير الأبابيل [2] ليخلص إلى النتيجة التي يريـــد، وهي أن صغر حجم الطير أقوى في الدلالة على قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه، وأدل على ضعف الإنسان وذله أمام القهر الإلهي.

ولعمر الحق، ما هكذا يتعامل مع تفسير كلام ربنا سبحانه!!

أنخالف قول علماء التفسير وأساتذتنا فيه لأجل حكمة نرى تحقيقها في هذه المخالفة؟! ثم هل تقف الدلالة على قدرة الله في قصة أصحاب الفيل عند حجم الطير المنفذ لعقابهم؟!

إن في كون جنود الله في تلك المعركة من المخلوقات غير العاقلة – على وجه التحديد- ثم ما استعملوه من سلاح كان له أثره مع عدم اشتهاره في ذلك الزمان، دلالة واضحة على عظمة الله تعالى في تلك الحادثة .

واتباع الشيخ لتقريب الأمور الشرعية من قضايا الكشف العلمي يوقع في مزالق كثيرة يخشى أن يكون أخطرها ليّ أعناق النصوص والخروج بتفسيرها عن إجماع المفسرين ومألوفهم، مع الأخذ بعين الاعتبار أن عالم الشهادة شيء يختلف عن علام الغيب جملة وتفصيلاً، فالقياس أو الاستدلال بأحدهما على الآخر أَمر لا يصح أصلاً ، كما أن من أساسيات الفهم الصحيح أن الحسن ما حسنه الشرع، لا ما حسنته عقولنا باجتهادنا بمنآى عن أصول الشريعة.

وإن من أخطر عواقب الاستشهاد بعلوم العصر لتفسير كتاب الله تعالى أن يقع المفسر في استبعاد قضية يظن أن القرآن يسانده في استبعادها، ثم ما يلبث أَن يثبت وقوعها، وهو ما وقع فيه الشيخ رحمه الله حين تحدث عما يسمى بلغة اليوم أطفال الأنابيب، وقد نقل عن (كثير من العلماء) كما يقول أنهم يعتبرونها نظرية يصعب تحقيقها.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤] قال: "بل بلغ ببعض العلماء الألمان أن حاولوا إيجاد البشر بطريقة صناعية علمية بتنمية البذرة التي يولد

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/٥٥١.

(٢) إشارة إلى ما ذُكر من أنها دون الحمام حجماً .

منها الإنسان إلى أن صارت علقة فمضغة، وزعم أنه يمكن بوسائل أخرى تغذية المضغة في حرارة كحرارة الرحم إلى أن تتولد فيها الأعضاء حتى تصير إنساناً تاماً، وقال إنه يمكن إيجاد معامل للتفريخ البشري كمعامل تفريخ الدجاج، ولكن الكثير من العلماء قالوا: إن هذه النظريات لا يمكن إخراجها من حيز الإمكان إلى حيز الوجود بالفعل"(١).

وأنت ترى أن الشيخ تحدث عن أمر كان قبل عشرات السنين حلماً لأحد العلماء اعتبره الكثيرون مبالغة أو تخيلاً، ونحن اليوم نبحث في الحكم الشرعي للتلقيح الصناعي وأطفال الأنابيب (٢) بعد أن ثبت نجاح تجربتهم وولد بالفعل أطفال لقحوا في الأنابيب خارج رحم المرأة.

ولقد كنّا في غنى عن أن نحشو تفسير كلام الله تعالى بهذه المسائل التي يتطور العلم بها بتطور المعرفة البشرية، فنكون بهذا الحشو قد أولنا كلام الله بقدر لا يخدمه ولكن يفتح الطريق أمام أصحاب الشبهات والشهوات ليتهموا هذا الكتاب المعجز بالقصور، وما القصور إلا في فهمنا له وتحميله عبء هذا القصور.

ولا ينفع حسن النية في هذا المجال، إذ لابد في تفسير كتاب الله من الاتباع مع الإخلاص، وتوافر أحدهما دون صاحبه مهلكة .

---

(١) ٣٩/٨ ،وقد نقل المراغي هذا عن تفسير المنار بما يقرب من الحرفية، انظر المنار ١٠٢/٨.

(٢) وما يتصل بهذه القضية العلمية تشعبت مجالات بحثه الفقهية .انظر مقالاً بعنوان (طفل الأنابيب والميراث) للشيخ مصطفى أحمد الزرقا– مجلة الأمة– العدد الثامن والعشرون– السنة الثالثة– (ربيع الآخر ١٤٠٣هـ – كانون الثاني ١٩٨٣ م).

المبحث الثاني

الاتجاه الاجتماعي وأثر السيرة النبوية فيه

تمهيد

استوعبت معالجة القضايا الاجتماعية المعاصرة من هذا التفسير ما لم تستوعبه مختلف الموضوعات التي بحثت أو سيأتي بحثها، كل على حدة، فلا تراه يغفل في تفسير آية من الآيات عن توجيهها وجهة اجتماعية يربطها بواقع الناس فيصلح بها فهماً سقيماً، أو ينقد سلوكاً معوجاً، أو يقارن بين عادة اجتماعية صالحة وأخرى ذميمة.

وقد حاول البحث حصر المواطن التي وردت فيها إشارات اجتماعية، فوجد أنه من الصعب استيعابها في الدراسة ، والطريقة المثلى في الحديث عنها جمع المتشابه منها تحت عنوان واحد والتمثيل لها، بما يوضح الفكرة ويبين نهج الشيخ وأسلوبه.

وكان ينتظر من الشيخ – وهو الذي أعطى القضايا الاجتماعية هذا الاهتمام أن يشير إلى نصيب الاتجاه الاجتماعي من تفسيره في المقدمة، ولكنه لم يفعل ، كل الذي ذكره أنه يعد بتفسير يلائم فهم الناس ويتفق مع المنهج العلمي ويأخذ بآراء أهل الذكر في كل فن [(١)].

وهو بهذه الإشارة يعطي الاتجاه العلمي في مقدمة التفسير من العناية ما لم يحظ به الاتجاه الاجتماعي، رغم أن الحيز الذي يشغله هذا الأخير من التفسير أكبر وأشمل.

١–دروس اجتماعية من السيرة النبوية: -

أفاد الشيخ من بعض أحداث السيرة في القرآن فوجه تفسيرها للوقوف عند بعض قضايا المجتمع ، ولفت الأنظار إلى ما في تلك الأحداث من عبر للمسلمين في هذا الزمان.

تجد ذلك في أماكن متفرقة من التفسير:

١– ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥] بين الشيخ أثر الإيمان في مجتمع الصحابة ، في إيماء إلى ضرورة ترسم خطاهم بعد أن رقى بهم إيمانهم من حضيض التخلف، قال: "وقد كان أثر هذا الإيمان أن زكت نفوسهم وطهرت قلوبهم وعلت هممهم ، فأتوا بالعجب العاجب من فتح البلاد والشعوب وسياستها سياسة عدل وحكمة، مما شهد لهم به أعدى

(١) ٤/١.

أعدائهم ، وسجله لهم التاريخ في سجل الدول العظيمة الرقيّ والتقدم حين كان الناس في ظلام دامس، وحين كانت أرقى الأمم في تلك العصور تسوس رعاياها بالخسف والعسف، فانقذها مما ترسف فيه من قيود الاستعباد، وجعلها تتنفس في جو من الحرية لم تر مثله، وكفى بالله شهيداً لهم"[١].

٢- ويدعو الشيخ إلى العودة إلى سيرة النبي ﷺ للقضاء على أمراض المجتمع، وأهمها الفرقة والخلاف، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٩] إذ يقول:- "والعبرة في هذا القصص أن نبتعد عن الخلاف في الدين والتفرق فيه إلى شيع ومذاهب كما فعل من قبلنا، ولكن واأسفا وقعنا فيما وقع فيه السالفون، وتفرقنا طرائق قددا، وأصبنا من الخذلان والذل بسبب هذا التفرق ما لا نزال نئن منه..."[٢].

٣- وفي وجوب الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في الأَعمال الخيرية وبذل المال في سبيل الله ، ذكر الشيخ عدة نصوص من حياة الصحابة تبرهن على كرمهم وبذلهم، في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ثم خلص إلى القول: "وفي هذه الآثار وأَمثالها ما ينبغي أن يكون عظة لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فيقتدي بأولئك الأبرار الطاهرين، ويجعلهم المثل العليا للبذل في سبيل الله"[٣].

٤- وفي صورة أخرى من صور وجوب الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ يذكر الشيخ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] أن نهج الصحابة رضوان الله عليهم كان قائماً على مراقبة القائمين بالأعمال العامة... إلى أن يقول: "وأمة هذه حالها، تسود غيرها من الأمم باجتماع كلمتها واتفاق أهوائها[٤] إذ لامطمح لها إلا رفعة شأن دينها وعزّة أبنائها وسيادتها العالم كله، ولن يتم ذلك إلا إذا أعد أهلها للأمر عدته، وكملوا أنفسهم بالمعارف والعلوم التي تحتاج إليها الأمم التي تبغي السعادة والرقي، وتخلقوا بفاضل الأخلاق وحميد الصفات، حتى يكونوا مُثلاً عليا تحتذى، ويشار إليهم بالبنان.

---

(١) ٣/٨٤.

(٢) ٣/١٢٠-١٢١.

(٣) ٣/٢١٣.

(٤) هذا تعبير غير مناسب للمقام، وليته قال:اتفاق أهدافها.

وإن ما أودع في ديننا من هذا – إشارة إلى فاضل الأخلاق– وما خلفه لنا السلف الصالح من الكنوز والثروة العلمية ،فيه غنية لمن يريد الخير والفلاح"[1].

٥- ويذكر الشيخ بعض حكم تعدد زوجات النبي ﷺ فيسهب في ذلك ،ويقسم أسباب التعدد إلى عامة وخاصة، ثم يصف أَغراضه بأنها أغراض اجتماعية اقتضتها الدعوة ودعا إليها حب النصرة [2] ، في إشارة من الشيخ إلى أثر سيرته ﷺ في إصلاح المجتمع المسلم ،ودأبه ﷺ على التماس صالح الأمة في كل تصرفاته.

٦- وما ورد في تفسير المراغي من نماذج السيرة المطهرة كثير، غير أنه يكتفي في أكثره بذكر الحادثة مجرّدة ، وكأنما يجعلها في ذاتها درساً اجتماعياً دون الحاجة إلى تعليق أوتعقيب [3].

٢- السنن الاجتماعية في القرآن الكريم: -

تكرر ذكر السنن الإلهية [4] وما يتصل منها بالمجتمعات في هذا التفسير، تبعاً لما دأب عليه صاحب المنار من التركيز على السنن الإلهية في النفس والمجتمع [5].

١- ففي قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ ﴾[آل عمران: ١٥٥] قال: "وفي هذا إيماء إلى سنة من سنن الله في خلق البشر وأعمالهم، وهي أن المصايب التي تعرض لهم خاصة في أنفسهم أو في شؤوهم العامة إنما هي آثار طبيعية لبعض أعمالهم، ولكن الله قد يعفو عن بعض الأعمال التي لا أثر لها في النفس وليست ملكة ولا عادة لها، بل صدرت هفوة غير متكررة "[6].

٢- وفي حديثه عن الابتلاء يبين الشيخ أن فائدة إخبارنا بوقوعه في قوله سبحانه: ﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾[آل عمران: ١٨٦] هي أن نعرف السنن الإلهية

---

(١) ٢٢/٤-٢٤.

(٢) ٤٧/٢٢-٥١.

(٣) ١٣٥/٢و ١٠٧/٣ و٨٧/٥وغيرها.

(٤) السنة: السيرة والطبيعة، وسنة الله :حكمه وأمره ونهيه،انظر القاموس المحيط– مجدالدين محمد ابن يعقوب الفيروز أبادي ص ١٥٥٨ ط ٢ مؤسسة الرسالة (١٤٠٧هـ –١٩٨٧م).

(٥) أثبت ذلك "التفسير والمفسرون" للذهبي ٥٧٩/٢.

(٦) ١٠٦/٤.

ونهيء أنفسنا لمقاومتها [1]، فإن من تقع به المصيبة فجأة على غير انتظار يعظم عليه الأمر ويحيط به الغم حتى ليقتله في بعض الأحايين، لكنه إذا استعد لها اضطلع بها وقوي على حملها [2].

٣- وفي تلخيصه لأهم ما اشتملت عليه سورة الأعراف يذكر في النقطة السابعة "سننه تعالى في الاجتماع والعمران البشري، ويتضمن ذلك إهلاك الله الأمم بظلمها لنفسها ولغيرها، وأن للأمم آجالاً لا تتقدم ولا تتأخر عنها، بما اقتضته السنن الإلهية العامة ابتلاء الله الأمم بالبأساء والضراء تارة، وبالرخاء والنعماء أخرى.. وأن لله في إرث الأرض واستخلاف الأمم والسيادة على الشعوب سنناً لا تتبدل... ولله سنن في سلبها من قوم وجعلها إرثاً لقوم آخرين... "[3].

٤- ويفرق الشيخ بين سنة الله في الأمم وسننه في الأفراد، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[هود: ٣]، يقول: "وهذه سنة مطردة في ذنوب الأمم ،وهي فيها أظهر من ذنوب الأفراد ، فالمشاهد أن الأمم التي تصر على الظلم والفسوق والعصيان يهلكها الله تعالى في الدنيا بالضعف والشقاق وخراب العمران، حتى تزول نعمتها وتتمزق وحدتها [4].

٥- وأخيراً فإن الشيخ ينبه إلى ضرورة معرفة سنن الله المتعلقة بالإنسان ومجتمعه ويحذّر من ضرر الجهل بها، وذلك في قوله: "ولكن واأسفاه قد أضحى المسلمون من أجهل الشعوب بسنن الله تعالى في الأكوان وبالعلوم والمعارف وصاروا مضرب الأمثال في التأخر والخمول والكسل..."[5].

٣- أمراض المجتمع: -

استعرض الشيخ في تفسيره جُل مظاهر الضعف في المجتمع المسلم من خلال الحديث عن أمراض المجتمع المصري.

ونظراً لطبيعة الفترة الزمنية التي عاشها المراغي رحمه الله في وطنه مصر، وما تقاذفتها آنذاك من تيارات الاستعمار والفساد والالتصاق بمظاهر الدنيا،نظراً لذلك، جاء الحديث عن أمراض المجتمع في

---

(١) والأحسن ان يقول: ونهيء أنفسنا لمقاومة آثارها لأن سنن الله لا تقاوم.

(٢) ١٥٤/٤.

(٣) ١٥٩/٩-١٦٠.

(٤) ١٦٩/١١ وقد ورد هذا المعنى مطولاً في تفسير قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ...﴾[الأعراف: ٥]. انظر ١٠٢/٨-١٠٣.

(٥) ١٣٧/٨.

حيز من هذا التفسير ليس باليسير، تناول أشكالا ًكثيرة من هذه الأمراض، يستعرض البحث نماذج منها:-

١ -انتهاك حرمات الدين: -

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] تحدث الشيخ عن تأويل اليهود للتوراة وتحريفها،ثم قال: "ومثل ما يفعل مثله بعض المسلمين إذ ينتهكون حرمات الدين بمثل تلك التأويلات، فيمنعون الزكاة بحيلة، ويأكلون أموال الناس بحيلة أخرى، ويشهدون الزور بحيلة ثالثة وهكذا..."(١).

٢- الخمر والميسر: -

في كلام طويل ذكر الشيخ أضرار الخمر والميسر، قال: "أما الخمر فلها مضار في البدن والنفس والعقل والمال وفي تعامل الناس بعضهم مع بعض"ثم جعل تفصيل ذلك في نقاط هي: مضارها الصحية، مضارها العقلية ،مضارها المالية، مضارها في المجتمع ،مضارها النفسية (٢).

٣-الدخّان: -

أشار الشيخ إلى التعلق بحب الدخان رغم العلم بضرره، في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران: ١٤] قال: وقد يحب الإنسان شيئاً وهو يراه شيناً، وضاراً لا نافعاً، ويود لذلك لولم يحبه، كما يحب بعض الناس شرب الدخان على تأذيهم منه، ومن أحبّ شيئاً ولم يزين له يوشك أن يرجع عنه يوماً ما، ومن زين له حبه فلا يكاد يرجع عنه"(٣).

٤- التسول: -

حمل الشيخ على هذه العادة الاجتماعية التي تعدّ مرضاً من الأمراض السارية في مجتمعنا، في كلام مفصل يقول فيه: "وقد أرشدنا هدي الدين إلى ان النفوس يجب أن تكون كريمة في ذاتها مهما ألح عليها الفقر، وأن تتعود الإحسان بقدر الطاقة لتسمو عن الرذائل التي قد تجرها إليها الحاجة، فتبتعد بقدر الإمكان عن ذل السؤال ومدّ الأيدي إلى الناس بطلب الإحسان، وإراقة ماء الوجه أمام بيوت الاغنياء،

---

(١) ١/١٨٣.

(٢) انظر كلامه بتمامه ٢/١٤٠-١٤٢.

(٣) ٣/١٠٨.

لما في ذلك من الذلة والصغار، وهي ما لا يرضاها مؤمن لنفسه يعتقد أن الأرزاق في قبضة الله، وهو الذي يعطي ويمنع.

وقد جعل لكسب المال أوجهاً كثيرة يستطيع المرء ان يسعى إليها ليحصل عليه، وقد وردت أحاديث كثيرة في الحض على اكتساب المال من كل طريق حلال ، والبعد عن ذل السؤال"[1].

٥ -التغالي في المهور: -

أكد الشيخ أن المغالاة في المهور مفسدة اجتماعية خطيرة، إذ يقول: "وإن التغالي في المهور قد صار من أسباب قلة الزواج، وقلة الزواج تفضي إلى كثرة الزنا والفساد، والغبن أخيراً على النساء أكثر...، وهكذا تتحكم التقاليد والعادات حتى تفسد على الناس سعادتهم وتقوض نظم بيوتهم وهم لها منقادون بلا تفكير في العواقب"[2] .

٦- الكبر: -

في تفسيره قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٩] وصف الشيخ التعالي على الناس وإظهار العظمة بأنه من الصفات البغيضة والافتخار الممقوت والخيلاء المذمومة لدى عقلاء الناس، من جراء أنها تقوض كيان المجتمع وتفسد نظامه وتفرق شمل الأمة وتقسمها طبقات، وفي ذلك تخاذلها، وطمع العدو في امتلاك ناصيتها.

وفي هذا تحذير لنا أيما تحذير، فكثير ممن يظهرون النعم إنما يريدون التعالي والتفاخر. وكم ممن يقيم الزينات أو يصنع الولائم لعرس او مأتم لا يريد بذلك إلا إظهار ثرائه وسعة ماله بين عشيرته وبني جلدته، فيكون قارون زمانه، وتكون عاقبته الخسف لما أوتيه من مال، ويذهب الله ثراءه ويجعله عبرة لمن اعتبر [3].

٧-الفرقة والاختلاف: -

اتبع الشيخ أسلوب الوعظ الخطابي في الإنكار على أهل الفرقة في المجتمع المسلم، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[المؤمنون: ٥٣] يقول الشيخ: "فيا أتباع محمد ﷺ ما لكم كيف تفرقتم أحزاباً؟ هل اختلاف المذاهب كشافعية ومالكية وزيدية وشيعية

---

(١) ولم يذكر شيئاً من هذه الأحاديث، انظر٤/٧٠.

(٢) ٤/٢١٧.

(٣)٢٠/٩٧-٩٨.

يفرق العقيدة؟ وكيف يكون هذا سبب التفرقة؟ فهل تغير الدين؟ وهل تغير القرآن؟ وهل تغيرت القبلة؟ وهل حدث إشراك؟ كلا كلا ، فإذا كان العيب قد لحق الأمم المختلفة في تنابذها، فما أجدركم أن يلحقكم الذمّ على تنابذكم وأنتم أهل دين واحد، ولا علّة لهذا إلاّ الجهالة الجهلاء، فقد خيم فوق ربوعكم ومدت طنبه بين ظهرانيكم لأنكم فرطتم في كتاب ربكم: ظننتم أن أسس الدين هي مسائل العبادات والأحكام، وتركتم الأخلاق وراءكم ظهرياً ..."[1]

٨-النفاق: -

ذكر الشيخ في تفسير سورة التوبة أن المنافقين فريقان: فريق عرفوا بأقوال قالوها وأعمال عملوها، وفريق مردوا على النفاق وحذقوه حتى لا يشعر أحد بشيء يستنكره منهم.

ويقرر الشيخ أن المنافقين يخدمون المستعمر خدمة خفية لا تشعر بها الأمة لأنهم مرنوا على النفاق "وأشد المنافقين مروداً على النفاق أعوان الملوك المستبدين الذين يلبسون الباطل لباس الحق ويروجونه في أعين الجماهير خدمة لأولئك الملوك"[2].

٩-الإصرار على المعصية: -

يرى الشيخ ان الإصرار على المعصية يجعلها خلقاً من أخلاق المجتمع وعادة مستحكمة في الامة، ولذلك يجب على أفرادها الإنكار على من يفعل المنكر وتغييره أو النهي عنه [3].

وإلى جانب استعراض الشيخ لكثير من أمراض المجتمع، فإنه يشير إلى بعض مواطن العلاج.

- من ذلك ما مرّ في المثال السابق من ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضرورة النظر في تصرفات الناس، فما هو حسن منها مضينا عليه، وما هو قبيح طرحناه ليستقيم أمر المجتمع
- وفي موضع آخر ذكر الشيخ توازن الشريعة الإسلامية، وهو من أهم المزايا التي تقضي على الخلل والمرض في المجتمع، فقال: "وقد جمع الإسلام بين مصالح الروح والجسد للوصول إلى السيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة، فهو وسط بين اليهودية المفرطة في حب المال والنصرانية الروحانية الزاهدة.

(١) ٣١/١٨.
(٢) ١٢/١١.
(٣) ١٤٨/٤.

فمن أهم مقاصده الإصلاحية في الاجتماع البشري هداية الناس إلى العدل في أمر المال ليبتعدوا عن شر طغيان الأغنياء على الفقراء، ونصوص الدين في هذا الباب هي الغاية التي لايطمح مصلح في التطلع إلى ما بعدها، وهي هادمة لمزاعم من يفتات على الإسلام من أرباب الجهل والهوى"[١].

وقد يومئ الشيخ إلى علاج المرض الاجتماعي إيماء من غير وعظ مباشر، تجد ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤] قال: "وتلك هي سياسة الدول الكبرى في العصر الحاضر، وذلك هو دستورها في حكمها لمستعمراتها، وقد نقش حكامها في صدورهم ذلك الدستور الذي ساروا عليه: (فرق تسد) وطالما أجدى عليهم في سياسة تلك البلاد التي يعمها الجهل ويطغى على أهلها حب الظهور ويرضون بالنفاية والقشور"[٢] .

وفي كلام الشيخ إشارة إلى ضرورة نبذ الجهل من المجتمع وحب الظهور والرضى بسفاف الأمور.

وهكذا، فقد أسهب الشيخ في استعراض أمراض المجتمع ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها فجاءت جمله فيها طويلة، وكان أسلوبه يميل إلى الوعظ غير المباشر في كثير من الأحيان.

٤- قضايا الأسرة: -

أ – الأسرة نواة المجتمع:-

يؤكد الشيخ المراغي أن الأسرة هي نواة المجتمع "فما الأمة إلا مجموعة الأسر والبيوت، فصلاحها بصلاحها، وفسادها بفسادها، ومن لا بيت له لا أمة له، ومن قطع لحمة النسب فكيف يصل ما دونها؟ وكيف يكون جزءاً من الأمة يسره ما يسرها ويؤلمه ما يؤلمها، ويرى في منفعتها منفعته وفي مضرتها مضرته؟ ونظام الفطرة قاضٍ بأن صلة القرابة أمتن الصلات، وجاء الدين حاثاً عليها، مؤكداً لأواصرها، مقوياً لأركانها، مقدماً لحقوقها على سائر الحقوق بحسب درجات القرابة"[٣] .

ويتحدث المراغي عن علاقة الوالدين بولدهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] فيرى أن حبهما له أسباب، يذكرها، ويرى أن ترك النص على حب الوالدين للولد سببه أنه لا يحتاج إلى ما يقويه ويوثق صلته كونه فطرياً[٤].

---

(١) ١٨/١١.

(٢) ٣٢/٢٠-٣٣.

(٣) ١٥٧/١.

(٤) ١٥٦/١-١٥٧.

وعن الأصل في تكوين الأسرة وضرورة اختيار الأم المناسبة لطفل المستقبل، يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٥] "أي وصبركم عن نكاح الإماء خير لكم من نكاحهن لما في ذلك من تربية لقوة الإرادة، وتنمية ملكة العفة، وتغليب العفة على عاطفة الهوى، ومن عدم تعريض الولد للرق وخوف فساد أخلاقه بإرثه منها المهانة والذلة، إذ هي بمنزلة المتاع والحيوان، فربما ورث شيئاً من إحساسها ووجدانها وعواطفها الخسيسة"[١].

ب- نظام الطلاق كما يصوره القرآن الكريم:-

في قوله سبحانه: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] تحدث عن حكمة التدرج في احتساب الطلقات[٢].

وفي آيات الطلاق عموماً يركز الشيخ على ضرورة الإفادة من أحكام القرآن الكريم لما لها من دور في علاج مشكلات المجتمع ومن أبرزها كثرة الطلاق، وما يتصل به من مشكلات.

ففي التعقيب على تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢] قال:- "وفي الآية دليل على أن المؤمن حقاً لا بد أن يتعظ به-أي بعدم جواز العضل- فالذين لا يتعظون به ولا يعملون به فليسو بمؤمنين، بل هم يقولون آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، لأنهم لم يتلقوا أصول الإيمان بالدليل، فلم يقع من نفوسهم موقع التأثير في مسالك الوجدان... فكم كان عضل النساء مدعاة للفسوق، مفسدة للأخلاق، وسبباً في اختلال نظم البيوت وشقاء الذرية"[٣].

---

(١) ١٢/٥ وانظر تفسير المنار ٥/٢٣.

(٢) ١٧١/٢.

(٣) ١٨٣/٢.

جـ- الزوجة والولد في الأسرة:-

يتحدث الشيخ عن مترلة كل من الزوجة والولد في قلب الرجل، وأثر ذلك في الأسرة.

اقرأ ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤]: "وقدم حب النساء على حب الأولاد مع أن حبهن قد يزول وحب الأولاد لا يزول، لأن حب الولد لا يعظم فيه الغلو والإسراف كحب المرأة، فكم من رجل جنى حبه للمرأة على أولاده، فكثير ممن تزوجوا بما فوق الواحدة وأفرطوا في حب واحدة وملوا أخرى أهملوا تربية أولاد المبغوضة وحرموهم سعة الرزق، وقد وسعوه على أولاد المحبوبة، كم من غني عزيز يعيش أولاده عيشة الذل والفقر، وليس لهذا من سبب إلا حب والدهم لغير أمهم، فهو يفعل ذلك للتقرب وابتغاء الزلفى لديها"[1].

د – تعدد الزوجات في نظر الشيخ:-

وفي قضية تعدد الزوجات يشدد الشيخ على أن الأصل ألا يلجأ إليه إلا عند الضرورة، وقد سبق بسط هذه القضية في فصل القضايا الفقهية، ويأتي البحث هنا بما يخص موضوع المبحث من علاج لقضايا الأسرة.

استمع إليه وهو يقول:- "إن تعدد الزوجات يخالف المودة والرحمة وسكون النفس إلى المرأة، وهي أركان سعادة الحياة الزوجية، فلا ينبغي لمسلم أن يقدم عليه إلا ضرورة، مع الثقة بما أوجبه الله من العدل، وليس وراء ذلك إلا ظلم المرء لنفسه وامرأته وولده وأمته"[2].

وبالوقوف عند عبارة الشيخ ترى:-

١- أنه جزم أن التعدد يخالف المودة والرحمة، ترى كيف يشرع الإسلام حكماً فيه هذه النقيصة، وأصول الدين تقوم على الكمال مع الرحمة في كل شيء؟!

٢- ويأتي جواب الشيخ على النقطة الأولى، بأن هذا التشريع كان لضرورة، وهذا لا يسلم، إذ ما هي الضرورة التي دعت كثيراً من الصحابة إلى التعدد حتى صار ظاهرة منتشرة في مجتمع الصحابة والسلف والخلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى.

أكلّ هذا ضرورة ؟!

ويؤكد الشيخ على ضرورة مراعاة أسس الحياة الزوجية وأثر ذلك على الأسر التي يتكون من مجموعها المجتمع، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ

(١) ١٠٩/٣ وانظر تفسير المنار٣/١٩٧-١٩٨.

(٢) ١٨٣/٤ وانظر تفسير المنار ٣/١٩٧-١٩٨.

﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ١٢٩]: "وفي الآية عظة وعبرة لمن يتأملها من عباد الشهوات الذين لا يقصدون من الزوجية إلا التمتع باللذات الحيوانية دون مراعاة أهم أسس الحياة الزوجية التي ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] ولا يلاحظون أمر النسل وإصلاح الذرية، هؤلاء السفهاء الذواقون الذين يكثرون من الزواج ما استطاعوا، ولا باعث لهم إلا حب التنقل والملل من السابقة، ولا يخطر لهم أمر العدل في بال، عليهم أن يتقوا الله ويفكروا في ميثاق الزوجية وفي حقوقها المؤكدة وفي عاقبة نسلهم وشؤون ذريتهم، وفي حال أمتهم التي تتألف من هذه البيوت المبنية على أسس الشهوات والأهواء، وفي حال ذريتهم التي تنشأ بين أمهات متعاديات"[١].

هـ- مكانة المرأة في الإسلام: -

ويتبع الحديث عن قضايا الأسرة ذكر مكانة المرأة في الإسلام، وقد أشار الشيخ لشيء من ذلك في غير موضع، أبرزها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] إذ يقول: "إن الإسلام رفع النساء إلى درجة لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع الماضية، بل لم تصل إليها أمة من الأمم التي بلغت شأناً بعيداً في الحضارة والمدنية، فهي وإن بالغت في تكريم النساء واحترامهن وتعليمهن العلوم والفنون، لا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من التصرف في مالها بدون إذن زوجها وقد أعطى الإسلام هذه الحقوق للمرأة منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، وكانت في أوروبا من نحو مئة سنة تعامل معاملة الرقيق كما كانت في الجاهلية أو أسوأ منها حالاً"[٢].

هذا، وإن الحديث عن الاتجاه الاجتماعي في تفسير المراغي يطول ويصعب استقصاؤه، وما ساقه البحث من أمثلة كافٍ في تبين معالم منهجه في هذا الجانب إن شاء الله، على أنه لا يفوت التنبيه إلى الأثر الواضح لمدرسة المنار في الاتجاه الاجتماعي في تفسير المراغي[٣].

---

(١) ٧٣/٥ وانظر المنار٥/٣٦٦-٣٦٧.

(٢) ١٦٧/٢.

(٣) وقد سبقت إحالات لتفسير المنار في عدد من الأمثلة كما رأيت، والتعرض لقضايا المجتمع كان أبرز معالم تفسير المنار، انظر التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي ٥٧٩/٢.

الفصل الثامن

موقفه من الإسرائيليات

الإسرائيليات

مفهومها، أقسامها

مفهومها: الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية والنسبة فيها إلى اسرائيل وهويعقوب بن اسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام.

والإسرائيلية: قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي[1].

هذا من حيث ظاهر لفظها، إلا أنه يراد بها ما هو أوسع من ذلك وأشمل، وهو ورود الحادثة عن مصدر نصراني كذلك، ويطلق لفظ الإسرائيليات للتغليب، فقد اشتهر النقل عن بني إسرائيل لكثرتهم وشدة اختلاطهم بالمسلمين، من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن كثر دخول الناس في دين الله[2].

ويذهب باحثون إلى أبعد من إطلاق لفظ الإسرائيليات على أخبار اليهود والنصارى، ليجعلوا مفهومه شاملاً كل دخيل على التفسير، وبخاصة ما فيه مبالغة ودس وكذب وتخريف[3].

أقسام الإسرائيليات: -

١- ما وافق منها شريعتنا كتعيين اسم صاحب موسى بأنه الخضر عليه السلام، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله ﷺ كما رواه البخاري[4].

٢- ما خالف شريعتنا كالذي يروى في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤] فقد نقل ابن كثير رحمه الله أخباراً عن السلف وصفها بالغرابة وقال:

"وكلّها متلقاة من قصص أهل الكتاب"[5] على أنها في جوهرها تطعن في عصمة سيدنا سليمان عليه السلام، وشريعتنا تنص على عصمة الأنبياء وابتعادهم عن التصرفات المخلة بالمروءة، وهي ما أثبتت الروايات الإسرائيلية بعضها لسليمان عليه السلام، وحاشاه من ذلك.

٣- مسكوت عنه، وليس في شريعتنا ما يؤيده أو ينقضه ، وذلك عموماً مثل تعيين أسماء الأشخاص

---

(١) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ،د. رمزي نعناعة ص ٧١ نشر وتوزيع دار القلم بدمشق ودار الضياء ببيروت ط١ (١٩٣٠هـ- ١٩٧٠م).

(٢) انظر تفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي (٦٥/١).

(٣) وهو ما ذكر د. نعناعة أنه سيعتمد في كتابه (الإسرائيليات)انظر ص ٧٤ منه.

(٤) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاي باب التفسير ٤٠٩/٨.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣٤/٤-٣٦.

والأماكن ، وذكر تفصيلات القصص التي اختصرها القرآن الكريم، ما لم يرد فيهـا مخـالف للشريعة الغراء[1] .

أما ما وافق شريعتنا وما هو مسكوت عنه فيها ، فهذان القسمان نتعامل معهما على ضوء فهمنـا للحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولـوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]"[2].

الإسرائيليات في تفسير المراغي: -

جاء في مواضع متفرقة من تفسير المراغي رفضه للاعتماد على الإسرائيليات في التفسير، خصوصاً ما يتعلق منها بقضايا العقيدة.

فقد ورد في تفسير الآية الرابعة من سورة البقرة أن الإيمان على الوجه الصحيح يحصل من أحـد طريقين ، ذكر أن الثاني منهما "خبر الرسول- ﷺ- بعد أن تقوم الدلائل على صدقه فيما يبلغ عن ربه، أو خبر من سمع منه بطريق لا تحتمل ريباً ولا شكاً، وهي طريق التواتر، كالعلم بأخبار الآخرة وأحوالها، والعلم العلوي وأوصافه، وعلينا أن نقف عند ذلك، فلا نزيد فيه شيئاً ولا نخلطه بغيره مما جاء عن طريق أهل الكتاب أو عن بعض أهل السلف بدون تمحيص ولا تثبت من صحته، وقد دونـه المفسـرون في كتبهم وجعلوه في صلب الدين ، وهو ليس منه في شيء"[3].

كذلك يرى الشيخ عدم جواز استفتاء النصارى في شيء من العلم، فقد جاء في تفسير قوله تعالى:

---

(١) ذكر هذه الأقسام الثلاثة الشيخ الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون"١/١٧٩، وأشار إليها الشـيخ المراغـي في التفسير باقتضاب انظر ٩/١٤٠، وقد نقلها عن تفسير المنار في نص، انظر ٩/٤٣٧ منه.

(٢) رواه البخاري، انظر فتح الباري كتاب التفسير حديث (٤٤٨٥) ٨/١٧٠.

(٣) وهذا من تأثر الشيخ المراغي بأستاذه الإمام فقد نقل صاحب المنار عنه ما نصه"وقد قلت لكم غير مرة إنـه يجـب الاحتراس في قصص بني اسرائيل وغيرهم من الأنبياء وعدم الثقة بما زاد على القرآن من أقوال المؤرخين والمفسرين، فالمشتغلون بتحرير التاريخ والعلم يقولون معنا: إنه لا يوثق بشيء من تاريخ تلك الأزمنة الـتي يسـمونها أزمنـة الظلمات إلا بعد التحري والبحث واستخراج الآثار، فنحن نعذر المفسرين الذين حشوا كتب لتفسير بالقصص التي لا يوثق بها، لحسن قصدهم، ولكننا لا نعول على ذلك ، بل ننهى عنه ونقف عند نصوص القرآن ولا نتعداها، وإنما نوضحها بما يوافقها إذا صحت روايته"انظر تفسير المنار في تفسير قوله تعـالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة: ٦٧]: ١/٢٨٧-٢٨٨، وانظر المراغي ١/٤٤-٤٥.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]: "أي ولا تستفت النصارى في شأنهم، فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب، من غير استناد إلى دليل قاطع ولا نص صريح، وقد جاءك من ربك الحق الذي لا مرية فيه، فهو الحاكم المقدم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال السابقة، وفي الآية دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم"[(١)] .

وقد حمل الشيخ على بعض رواة الاسرائيليات من السلف، واتهم منهم كعب الأحبار ووهب بن منبه بالتخريف إذ يقول: "وعلى الجملة فبطلا الإسرائيليات وينبوع الخرافات في تحديد عمر الدنيا هما كعب الأحبار ووهب بن منبه، وقد جعلاه ستة آلاف، وهو في التوراة سبعة آلاف ،غشاً للمسلمين"[(٢)] وقد ورد مثل هذا الإتهام في غير موضع من التفسير وكثيراً ما يكون متابعة لما جاء في تفسير المنار[(٣)].

ورغم هذا الرفض للأخبار الإسرائيلية من قبل الشيخ وحمله على نقلتها، فليس هذا هو منهج الرجل بكل معالمه، ويمكن تلخيص منهجه بالنقاط التالية:-

١- يرفض الشيخ المراغي الاسرائيليات التي تخالف مسلمات العلم أو يرفضها العقل، ومن ذلك:-

رده لما جاء في وصف قوة قوم هود عليه السلام ، قال: "وقد روي في قوتهم روايات ليست بنا حاجة إلى تصديقها، كقولهم إن الرجل منهم كان يقتلع الصخرة من الجبل بيديه ويجعلها حيث يشاء"[(٤)].

٢- يقبل الشيخ الإسرائيلية التي تعدّ استكمالاً فرعياً لقضية أوردها القرآن الكريم، فهو – مثلاً- في تفسير سورة يوسف يعتمد كثيراً على روايات اسرائيلية ، مثل ذكره اسم أخي يوسف الذي قال: (لا تقتلوا يوسف) وأنه كان يريد إخراجه من الجب وإرجاعه إلى أبيه [(٥)] وتعيين جهة

---

(١) ١٥/١٣٦.

(٢) ٩/١٣٢ وكلام المراغي مقتبس من المنار الذي تحمل عبارته بتمامها شتماً أقسى مما نقله المراغي، انظر المنار ٩/٣٩٨.

(٣) ٩/١٤٠ و٢١/٦ وانظر المنار ٩/٤٣٥، وقد فطن د. الذهبي في التفسير والمفسرون لهذا الاتهام الذي افتئت فيه على كعب الأحبار ووهب بن منبه- رحمهما الله- ففنده ورد عليه بأسلوب علمي لا مجال لعرضه هنا، انظر التفسير والمفسرون ١/١٩٣-١٩٧.

(٤) ٢٤/١١٦.

(٥) ١٢/١١٩.

القافلة التي وجدت يوسف في الجب[1]، ولمن قرر إخوته أن يبيعوه ، ومن الذي أخرجه من الجب[2]، وعلى من كان يخلع لقب العزيز في مصر[3]، وغير ذلك.

٣- يقبل الشيخ الإسرائيلية المؤيدة لما جاء في القرآن الكريم، ومن أبرز الأمثلة على ذلك: ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، قال: "فقد جاء في الفصل العشرين من السفر الخامس منها – أي التوراة- (أقبل الله من سينا وتجلى من ساعير، وظهر في جبال فاران، معه الربوات عن يمينه)[4]، وقد نقل الشيخ نصاً طويلاً من الإنجيل يدل على المعنى نفسه[5].

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، يؤكد مضمون هذه الآية بما جاء في انجيل يوحنا: "في البدء كانت الكلمة، والكلمة كانت عند الله، والله هو الكلمة فيصير معنى الفقرة الثالثة من إنجيل يوحنا: (والله هو المسيح) وهذا عين ما اسنده القرآن إليهم"[6]

٤- يرفض الشيخ المراغي الإسرائيليات المخالفة للشرع الحنيف ونصوص القرآن الكريم، من ذلك: ما جاء في قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز إذ يقول: "وما نقل من الإسرائيليات عنها وعنه من الوقاحة فكذب، فمثل هذا لا يعلم إلا من الله، أو من الرواية الصحيحة عنها أو عنه، ولا يستطيع أحد أن يدعي ذلك"[7].

وهذا من رفضه لما يتنافى مع شرعنا من إثبات العصمة للأنبياء عليهم السلام.

٥- يعتمد الشيخ على الأخبار الإسرائيلية في بيان مبهمات القرآن الكريم، وقد ورد تفصيل هذا في مبحث المبهمات من الفصل الرابع، مما يغني عن إعادته هنا.

---

(١) ١٢/١٢٣.

(٢) ١٢/١٢٤.

(٣) ١٢/١٢٥.

(٤) ٢٨/٨٤.

(٥) ٢٨/٨٥.

(٦) ٦/٨٢.

(٧) ١٢/١٢٩.

الفصل التاسع

تفسير المراغي ما له وما عليه

هذا الفصل يقدم خلاصة عن منهج الشيخ المراغي تجمع شتات الملحوظات المختلفة مختصرة من غير إخلال إن شاء الله. ويتكون الفصل من مطلبين:

الأول: ما عليه.

الثاني: ما له.

أما عن تقديم ما عليه في الدراسة، فليختم البحث في الحديث عن التي هي أحسن، إن شاء الله.

المطلب الأول

ما عليه

أولاً: قضايا منهجية

١- الفكرة التي صاحبتنا في كل فصل من فصول البحث هي تأثر الشيخ المراغي بمدرسة الإمام محمد عبده، وليس هذا مما يؤخذ على الشيخ، ولكن اتباعه لأفكار هذه المدرسة دقيقها وجليلها، وسيره خلف أستاذه في كل المسائل التي عالجها، فإن خالف جمهور المفسرين خالفهم معه، وإن خرج على اتفاق الفقهاء تابعه، وإن رفض الاحتجاج ببعض ما في الصحيحين من الآثار لحقه، كل ذلك وغيره مما فصله البحث سابقاً خرج بتفسير المراغي عن الاستقلال بالرأي وحجبه عن الإبداع والإتيان بجديد.

٢- أشار البحث فيما سبق إلى خروج الشيخ المراغي عن إجماع المفسرين في بعض المسائل، حتى لقد أغرب القول وابتعد عن ظاهر النص أحياناً[(١)] ويعود هذا إلى ما ذكر في النقطة السابقة من تأثره بمدرسة المنار الذي يلحظ القارئ خروجه عن مألوف التفسير في مواطن عديدة.

٣- يتبين لك من قراءة مبحث الاتجاه العلمي في الفصل السابع أن الشيخ المراغي حاول جاهداً استمالة عقول الماديين وقلوبهم لهذا الدين عن طريق تقريب كثير من أمور الدين - خصوصاً الغيبيات - إلى عالم الشهادة المحسوس، وهذا المنهج جرَّ الشيخ - تبعاً لمدرسة الإمام - إلى الإغراب في تفسير بعض الآيات مما ورد بسطه سابقاً.

٤- ساهم في إخراج تفسير المراغي بحجمه الكبير أمران بارزان:

الأول: المعنى الجملي

وفيه لخص الشيخ المراد من مجموعة الآيات التي هو بصدد شرحها، فجاء كثير مما في الإيضاح تكراراً لما في المعنى الجملي، ومع ذلك فنحن لا نستطيع تكوين فكرة مختصرة كافية عن شرح الآيات بقراءة هذا المعنى الجملي دائماً، ولو كان كذلك لوجد القارئ فيه مزية وفائدة.

وقد أومأ الشيخ إلى ضخامة تفسيره حينما ذكر أنّه قسّمه إلى ثلاثين جزءاً ليسهل حمله والتنقل به[(٢)] وليته - رحمه الله - استغنى عن هذا العنوان، وضمَّ ما سوى تلخيص الفكرة مما جاء تحته، مثل أسباب

---

(١) وأمثلة ذلك كثيرة لا يكاد يخلو من الحديث عنها فصل من الفصول السابقة.

(٢) انظر مقدمة التفسير ١/٢٠.

الترول والربط بين الآيات... ليته ضمَّ ذلك إلى الإيضاح، إذاً لساهم في الاختصار.

الثاني: الخلاصة

أشار الفصل الثاني إلى أن أسلوب الشيخ في تلخيص أفكاره بقوله: "والخلاصة"أو "قصارى ذلك"كان أحد الأسباب التي أظهرت التفسير بمجلداته العشرة.

والحق أن في هذه الخلاصة تكراراً واضحاً، بل إن بعضها لا يلخص المعنى السابق بل يأتي بفكرة إضافية.

وإذا علمت أنه لم يترك الخلاصة في جلّ الآيات التي فسرها، وأنه قد يجعل للخلاصة خلاصة[1]، وقفت على سبب إشغالها مساحة ليست باليسيرة وكان يسعه أن يكون تفسيره خلاصة مختصرة، وهو الذي أنشأه للعامة، إذاً لما احتاج إلى هذه الخلاصة ولخرج حجم تفسيره مناسباً.

٥- ولعل أهم ما يؤخذ على الشيخ هو الاضطراب الواضح في منهجه في معالجة بعض قضايا التفسير، ومن ذلك:

أ -المبهمات

قرر الشيخ أن الأفضل عدم الخوض في المبهمات، ثم وجدناه عند التطبيق يخوض فيها، ويذهب إلى أبعد من ذلك حين يعتمد على الإسرائيليات في تحديد بعضها، وبذا يظهر الاضطراب في منهجه بين التنظير والتطبيق.

ب -الأسماء والصفات

عرفت من قبل اضطراب قول الشيخ في تعريف الاستواء والعرش، فقد تعددت تعريفاتهما في أماكن مختلفة من التفسير من غير إسقاط لبعضها أو تقديم بعضها على بعض.

ج -الإسرائيليات

ذمَ الشيخ المراغي نقلة الأخبار الإسرائيلية ونصّ على رفضها حين قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]: "وفي الآية دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم"[2].

---

(١) ومثل هذا ما تجده في تفسير قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١- ٢] وقد جاء ما في الخلاصتين بمعنى واحد. انظر ١٩٩/٣٠.

(٢) ١٣٦/١٥.

ومع ذلك فقد استشهد الشيخ بكثير من الإسرائيليات في تفسيره، كما مرَّ في الفصل السابق.

ثانياً: ملحوظات موضوعية

١- في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، يقول الشيخ: "والإمداد بالملائكة يصح أن يكون من قبيل الإمداد بالمال الذي يزيد في قوة القوم وأن يكون من الإمداد بالأشخاص الذين ينتفع بهم ولو نفعاً معنوياً، وذلك أن الملائكة أرواح تلابس النفوس فتمدها بالإلهامات الصالحات التي تثبتها وتقوي عزيمتها"[١].

لقد أوّل الشيخ الإمداد بالملائكة – تبعاً لما جاء في المنار – ولكنه اختصر ما ذكره رشيد رضا من اختلاف العلماء في حصول الإمداد بالملائكة فعلاً، وذكر ما خلص إليه من تأويل إمداد الملائكة بالإمداد بالمال أو الرجال، خروجاً من الخلاف الواقع بين العلماء في الإمداد بالملائكة على وجه الحقيقة[٢].

ويصلح هذا المثال أن يكون مؤكداً لما ورد في الملحوظات المنهجية من سير المراغي خلف مدرسة المنار في كل ما خالف فيه المفسرين، حتى لتشعر أنك تحاكم تفسير المنار في ردّك على إغراب المراغي؛ لأن ما جاء به الأخير مختصراً سبقه إليه الأول بإطناب وإسهاب.

ولله درّ الشيخ الألوسي الذي يكفينا مؤونة الردّ في هذا المقام حين يرفض التأويل في تعقيب طويل على شبه النافين لوقوع الإمداد بالملائكة حقيقة، حتى يخلص إلى القول: "ومجرد الاستبعاد – يعني استبعاد نزول الملائكة للنصر – لا يجدي نفعاً ولو ساغ التأويل لذلك لزم تأويل أكثر هذه الشريعة، بل الشرائع بأسرها، وربما أفضى ذلك إلى أمر عظيم، فالواجب تسليم كل ممكن جاء به النبي ﷺ وتفويض تفصيل ذلك وكيفيته إلى الله تعالى"[٣].

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ذكر الشيخ أن أول من اجترأ على

---

(١) ٤/٥٧.

(٢) انظر تفسير المنار ٤/٩٢.

(٣) روح المعاني للألوسي ٤/٤٨.

الإعلان عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عبد الملك بن مروان حين قال على المنبر: "من قال لي اتق الله ضربت عنقه"(١).

وكان حرياً بالشيخ – رحمه الله – أن يستعلي بتفسير كتاب الله عن شتم سلف هذه الأمة، فمن أساء منهم فقد أفضى إلى ما قدم، والتاريخ الذي حمل إلينا سيئات بني أمية وغيرهم يحتاج إلى تمحيص، وكان المرء ينتظر من الشيخ المراغي ومن قبله صاحب المنار أن يسيرا على ما تعهدا ملازمته في التفسير، وهو المنهج العلمي...

فأين تحقيق هذه الجملة التي نسبا فيها منع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأحد الخلفاء العلماء؟! وما تراها إلا من وضع أحد أعداء الدولة الأموية.

وأعظم بما جاء في كتاب (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ) في حق هذا الخليفة العالم العابد، وليت كل ناشد للحق يتأمل ما ذكره الكتاب من روائع تعجب معها لجرأة المفترين على هذا الرجل وتاريخه.

فقد ذكر د. إبراهيم شعوط في كتابه ما أورده ابن حجر في (تهذيب التهذيب) ومنه: "... قال العجلي: وخطب – أي عبد الملك بن مروان – خطبة بليغة، ثم قطعها وبكى، ثم قال: يا رب إن ذنوبي عظيمة، وإن قليل عفوك أعظم منها، فامسح بقليل عفوك عظيم ذنوبي. فبلغ ذلك الحسن فبكى، وقال: لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا"(٢). فسبحان الله!! رجل يتملكه الخشوع ويبكي في خطبته خشية من الله يرمى بتهديد من أمره بالمعروف بالسيف؟!

وهاك ما هو أصرح في استبعاد هذه الفرية:

قال ابن كثير في البداية والنهاية: "سأل رجل عبد الملك أن يخلو به، فأمر من عنده بالانصراف، فلما خلا به وأراد الرجل أن يتكلم، قال عبد الملك: احذر في كلامك ثلاثاً: إياك أن تمدحني، فإني أعلم

---

(١) ٤/٢٩ وهذا ما اختصره من كلام طويل للمنار نال فيه من دولة بني أمية ورماها بالخبث والاستبداد، انظر تفسير المنار ٣/٥٠.

(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ د. إبراهيم شعوط ص٢٨١ ط ٥ (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) المكتب الإسلامي وانظر تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٦/٤٢٢–٤٢٣ ط١ دائرة المعارف النظامية بالهند سنة (١٣٢٦هـ).

بنفسي منك، أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب، أو تسعى إليّ بأحد من الرعية، فإنهم إلى عدلي وعفوي أقرب منهم إلى ظلمي وجوري..."[1].

والعبارة الأخيرة في النص المتقدم تناقض الفرية تماماً، فعبد الملك حريص على العدل والعفو، وهذا لا يتناسق مع إغلاق أفواه الرعيّة عن كلمة الحق[2].

ألا ليت الشيخ لم يعجل في اتهام هذا الخليفة العالم[3]، واتبع الأسلوب العلمي في تمحيص النصوص ومقابلتها، إذاً لما وقع في محظور أن يلعن آخر هذه الأمة أولها.

٣- جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥]، قول الشيخ: "في هذا دليل على أن فرعون لم يصل إلى السحرة بشيء مما هددهم به لأنهم من أكبر الأتباع الباذلين أنفسهم في سبيل الله"[4].

وكان الشيخ قبل ذلك قد ذكر في تفسير سورة (طه) ما نصه: "ولم يرد دليل أنه – فرعون – نفَّذ ما صمّم عليه في عقابهم، ولكن الراجح أنه نفذ ذلك كما يرشد إلى ذلك قول ابن عباس وغيره من السلف: (أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء بررة)"[5].

وفي النص الثاني ما يدل على تناقض قول الشيخ، إذ قرر أولاً أن السحرة لم يعاقبوا، ثم استشهد بكلام السلف على وقوع عقابهم.

ويمكن أن يجاب عن كلام الشيخ في استدلاله بآية القصص على عدم نيل فرعون من السحرة بأن الآية تدل على حصول الغلبة لموسى وأتباعه بما يؤيدهم الله به من آيات، وقد تحقق هذا بالفعل، عندما سجد السحرة إيماناً، فتحققت الغلبة لموسى وهارون، أما السحرة، فأي غلبة لهم أعظم من إبطالهم فرية فرعون وتركهم الدينونة له، وجاءت نجاة موسى ومن معه حين لحقهم فرعون وجنوده لتؤكد تتمة

---

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص٢٨٢ وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٦٥/٩ ط٢ مكتبة المعارف بيروت لبنان (١٩٧٧م).

(٢) أما ما رمي به عبد الملك من محاربة خصومه فتأول منه بأنه واجب عليه حماية الدولة من الخارجين عليها باعتباره الخليفة الشرعي الذي يجب أن تجتمع عليه الكلمة، انظر أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص٢٨٤.

(٣) نقل د. إبراهيم شعوط في كتابه أقوال العلماء في إثبات العلم والفقه لعبد الملك، انظر أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص٢٨١.

(٤) تفسير المراغي ٥٧/٢٠.

(٥) ١٣٢/١٦.

الغلبة، وشهادة السحرة لتؤكد فوز الدنيا بفوزهم بالشهادة[١].

٤- وما يقرب من التفسير الإشاري ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [المُلك: ٥] قال المراغي: "أي: وهذه الكواكب لا تقف عند حدّ الزينة، بل بضوئها يكون ما في الأرض من رزق وحياة وموت، بحسب الناموس الذي سننّاه، والقدر الذي أمضيناه، ويكون في العالم الإنساني وعالم الجن نفوس تتقاذفها الأهواء وتتجاذبها اللذات والشهوات التي تنجم من العناصر المتفاعلة بسبب الأضواء المشعة النازلة من عالم الكواكب المشرقة في السماء"[٢].

ولا يعلم من أين فهم الشيخ المعنى الذي فسّر به الآية، فأين في الآية ما يدل على النفوس التي تتقاذفها الأهواء وتتجاذبها اللذات؟!

وما هي العناصر المتفاعلة التي يتحدث عنها؟! وكيف نجعل ما يترل من شهب من السماء، سبباً للذات والشهوات؟!

ولا يتوقف في تفسيره عند هذا الحدّ، بل يذهب إلى تأويل (الرجوم) في الآية إلى أنها الظنون، إذ يقول: "فالنفوس الفاضلة والنفوس الشريرة استمدت من هذه المادّة المسخرة المقهورة، فصارت سبباً لثواب النفوس الطيبة وعذاب النفوس الخبيثة، وصار لهم فيها رجوم وظنون إذ هم قد استمدوا شيطنتهم من مظاهر الطبيعة الناشئة من الحرارة والضوء"[٣].

وغاية ما ذكره المفسرون في هذه الآية أنها تدل على رجم الشياطين بالشهب الملقاة من الكواكب في السماء[٤]، بل لقد أشار الشيخ الألوسي في تفسيره إلى بطلان ما ذكره المراغي من تفسير الرجوم بالظنون، وأحال في الرد على ذلك إلى ما سبق من التفسير[٥].

ولا مجال لبسطه في هذا المقام، فليرجع إليه.

٥- من تفسير القرآن بالقرآن ما لم يكن مطابقاً لمعنى الآية موضع التفسير، ولعل حرص الشيخ

---

(١) والذي يفهم من كلام المفسرين في تهديد فرعون للسحرة بعد إيمانهم أنه نفّذه انظر ابن كثير ١٥٩/٣ ولم يقف الباحث على رأي يخالفه عند المفسرين.

(٢) ٨/٢٩.

(٣) ٨/٢٩.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٣٩٦/٤ وانظر الكشاف للزمخشري ١٢١/٤-١٢٢.

(٥) روح المعاني للألوسي ١٠/٢٩، وقد ذكر في تفسير سورة الصافات كلاماً طويلاً في آراء الناس بالكواكب والنجوم والنجوم ورفض أن يكون للكواكب أثر في السعادة والشقاوة مما يذكره المراغي، انظر الألوسي ١٠٢/٢٠-١٢٣.

الشديد على البحث عن آية أو آيات توافق المعنى المراد أو توضحه، فيما هو بصدد تفسيره، كان سبب مجانبته الدقة في بعض الأحيان. من ذلك:

أ- في قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، قال: "ونحو الآية قوله: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا﴾ [الإسراء: ٧٤- ٧٥][1].

وظاهر أن الآيتين اللتين ساقهما ليستا نحو الآية المتقدمة، إذ في الأولى يقرر الحق سبحانه رغبة الكافرين في لين النبي ﷺ في دينه بالركون إلى آلهتهم[2].

وفي الآيتين التاليتين إثبات أن ثبات النبي هو محض فضل من الله، ثم ذكر عاقبة الميل إلى الكافرين وملاينتهم، حتى لو وقعت من أحبّ الخلق إلى الله، وهذا محال.

والمعنيان متكاملان وليسا متطابقين.

ب- وفي قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدَّثر: ٣] قال: "أي عظّم ربك ومالك أمرك بعبادته والرغبة إليه دون غيره من الآلهة والأنداد.

ونحو الآية قوله: ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢] [3] وأنت ترى أن آية النحل هي نحو كلامه الذي فسّر به آية المدثر، وليست نحو الآية بنصها"[4].

هذه هي أهم الملحوظات التي يرى الباحث تسجيلها على تفسير المراغي، وقد كانت جميعها في مضمونه، ولابدّ من الإشارة قبل الفراغ من هذا المطلب إلى أن تقسيم الشيخ تفسيره ثلاثين جزءاً كان يسجل له من الحسنات شكلاً، إذ يحقق هذا التقسيم ما ذكره في مقدمته من سهولة في اصطحاب التفسير في الحلّ والترحال[5] ولكن طباعته أخلّت بهذه الفائدة، فخرج الكتاب في عشر مجلدات تكاد تفوق كثيراً من كتب التفسير حجماً...

---

(١) ٢٩/٣١.

(٢) انظر تفسير الألوسي ٢٩/٢٦.

(٣) ٢٩/١٢٥.

(٤) ذكر المفسرون في معنى التكبير أنه التعظيم، انظر ابن كثير ٤/٤٤٠ والكشاف ٤/١٥٦ والألوسي ٢٩/١١٦.

(٥) ١/٢٠.

المطلب الثاني

ما له

تنقسم حسنات هذا التفسير إلى قسمين كما يلي:

أولاً: من حيث الشكل

جاء تفسير المراغي مرتباً، إذ اعتمد فيه الشيخ أسلوب العناوين الرئيسة والجانبيّة.

- ومن العناوين الرئيسة ما كان ثابتاً مثل: شرح المفردات والمعنى الجملي[1]، والإيضاح.

ومنها ما كان يستدعيه المقام مثل: عناوين خلاصة ما جاء في السورة[2]، وقصص الأنبياء، كما جاء في قصص هود عليه السلام[3]، وغيرها كثير.

- أما العناوين الجانبيّة، فقد كثرت عندما كان المقام يحتاج إلى زيادة إيضاح أو استدراك[4].

ثانياً: من حيث المضمون

١- الاتجاه الاجتماعي

لعلَّ من أبرز حسنات هذا التفسير أن صاحبه عاش مشكلات مجتمعه، فسخّر تفسيره للحديث عنها ومحاولة إيجاد حلول للكثير منها، وقد رأيت في الفصل السابع كيف تفرعت قضايا المجتمع التي تحدث عنها، وكيف وظف الرجل فهمه للآيات لعرض أمراض المجتمع ومحاولة التركيز على فاعليّة القرآن الكريم في حلّها.

وتفسير المراغي بهذا يدخل في عداد كتب التفسير الحديثة التي تأثرت بالمسحة العصرية.

وإذا كان البحث قد ركّز – سابقاً – على علاقة هذا التفسير بتفسير المنار، فإن من المفيد الإشارة هنا إلى أن الاتجاه الاجتماعي في تفسير المراغي كان أكثر وضوحاً وأشد تركيزاً منه في تفسير المنار.

٢- التفسير الموضوعي

تعددت مظاهر التفسير الموضوعي في تفسير المراغي، وقد ارتفعت بهذا التفسير عناية صاحبه بإظهار القرآن الكريم لحمة واحدة بربطه بين أول السورة وآخر سابقتها، ولم يكد هذا يتخلف في سورة

---

(١) بغضّ النظر عما سبق أخذه على هذا العنوان من ملحوظات.

(٢) انظر – مثلاً – ختام تفسير سورة البقرة. ٨٩/٣.

(٣) ١٩١/٨.

(٤) انظر قوله (تذنيب) في قصة يونس عليه السلام ٨٤/٢٣.

من السور.

كذلك فإن حصر محتويات السورة الذي تكررت الإشارة إليه غير مرّة يندرج تحت مظاهر اهتمام الشيخ بالتفسير الموضوعي.

ومما لم يعرض البحث لذكره من هذه المظاهر: دفع توهم التعارض بين الآيات:

فقد كثرت محاولات الشيخ للتوفيق بين معاني الآيات التي يتوهم الناظر فيها تعارضها، ومثاله:

- ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] قال: "ولا منافاة بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]، لأن المراد لا يكلمهم تكليم تكريم ورضاً"[(١)].

- وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٧٥] قال: "ولا منافاة بين هذا وبين قوله الآتي: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ [الزُّخرُف: ٧٧] لأن تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة، فتختلف بهم الأحوال، فيسكتون تارة لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج، ويشتد عليهم أخرى فيستغيثون"[(٢)].

٣- التفسير التحليلي

عني الشيخ بتحليل النص القرآني، فقد بحث في أصول الكلمات واشتقاقها، وتطرق إلى ترادف بعض الألفاظ. وقد ظهر تحت عنوان – شرح المفردات – أثر تخصص الشيخ في اللغة، رغم أنه أنجز وعده بعدم التوسع في فروعها[(٣)].

وقد خدم الشيخ الكلمة القرآنية كذلك بأكثر من بيان معناها وذكر أصلها واشتقاقها، فها هو يحاول توجيه اختيار المفردة دون غيرها في الآية:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧] "وفي التعبير بصرف الأبصار وتحويلها إيماء إلى أنهم يوجهون أبصارهم إلى أصحاب الجنة بالقصد والرغبة، ويلقون إليهم السلام، ويكرهون رؤية أصحاب النار، فإذا حوّلت أبصارهم إليهم من غير قصد ولا رغبة، بل بصارف يصرفهم إليها، قالوا ربنا لا تجعلنا معهم حيث

---

(١) ١٩٤/٧.

(٢) ١١٠/٢٥.

(٣) وقد مرَّ تفسير ذلك كله في الفصل الثالث من البحث.

يكونون، وفي ذلك من استعظام حال الظالمين واستفظاع مآلهم وشناعة أمرهم ما لا يخفى"[1].

كذلك عني الشيخ بالجملة القرآنية دراسة وتحليلاً.

استمع إليه وهو يدرس قول السحرة عندما بطل سحرهم وآمنوا: "وإنما قالوا (بـرب هـارون وموسى) ولم يقصروا على قولهم (رب العالمين) لأن فرعون كان قد ادعى الربوبية: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] والألوهية إذ قال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] فلو قال ذلك فحسب لقال فرعون: آمَنُوا بي، وإنما لم يقتصروا على ذكر موسى، بل ذكروا هارون وقدموه خوفاً من هذه الشبهة أيضاً، إذ إن فرعون كان يدّعي ربوبيته لموسى، لأنه رباه في صغره كما قال: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشعراء: ١٨][2].

٤- وضوح المعنى وسهولة الألفاظ

وفّى الشيخ المراغي بوعده في أن يكون هذا التفسير سهل المأخذ يشاكل حاجة الناس في عصرنا في أسلوبه وطريق رصفه ووضعه[3].

فلست تجد في التفسير كلمة تحوجك للرجوع إلى المعجم غالباً، ولا تلمس تكلفاً في تكوين العبارة ولا إيصال الفكرة، لذا فإنك تستطيع أن تجزم باستيعاب طلاب المدارس لما جاء فيه، وقد ذكر الأستاذ عادل المراغي – ابن الشيخ – للباحث أن هذا التفسير مقرر على الطلاب في بعض مدارس أندونيسيا.

ولولا الإطالة والإسهاب الذي غلب على التفسير لعُدّ من المراجع التي تنفع بسيط الثقافة إذا أراد الوقوف على معنى آية في كتاب الله دون عناء.

رحم الله الشيخ المراغي، فقد اجتهد في خدمة كتاب الله قدر وسعه بنيّة صالحة تقرأ معالمها بين سطور تفسيره، ولا نزكيه على الله.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ١٦٠/٨.

(٢) ١٣٠/١٦، وقد فطن الشيخ الألوسي لهذه النكتة في تفسيره. انظر روح المعاني ٢٣٠/١٦.

(٣) انظر مقدمة التفسير ٤/١.

الخاتمة

هذا هو الشيخ أحمد المراغي، وتفسيره، استوعب البحث في فصوله التسعة الحديث عنهما، فألقى ضوءاً على حياة الرجل مما تيسر من لقاء الباحث بأحد أبنائه، ثم قلّبت الدراسة صفحات تفسيره بعناية حتى شملت جميع الجوانب التي يمكن الحديث عنها كما أحسب.

وأحسب أن الكتاب قد خرج بالنتائج التالية:

١- إثبات الصلة الوثيقة بين تفسير المراغي ومدرسة المنار، متمثلة بتفسير المنار للسيد رشيد رضا، وتأثر الشيخ أحمد المراغي الكبير بشخصية الأستاذ محمد عبده وفكره.

٢- إطلاع القارئين على علاقة الشيخ المراغي بمعطيات عصره الثقافية والاجتماعية والسياسية من خلال صفحات تفسيره.

٣- لم يكن تفسير المراغي متفرداً في منهجه ولا مجدداً في أسلوبه ومحتوى تفسيره لاعتماده الكبير على تفسير المنار.

٤- تفسير المراغي من التفاسير الضخمة، وساعد على تضخيم حجمه كثير من الإضافات التي تطرق إليها البحث، وكان بمقدور الشيخ أن يستغني عنها.

٥- تفسير المراغي من التفاسير السهلة، إذ ابتعد صاحبه عن ذكر مصطلحات الفنون والتوسع فيما لا يفهمه العامة منها كما وعد في مقدمته، لذا فهو يدرس في مدارس أندونيسيا.

هذا، وقد كانت طبيعة البحث تتطلب النظرة الموضوعية لما جاء في تفسير المراغي في سبيل الوصول إلى صورة صادقة عن منهجه، ولأجل ذلك وجد الباحث نفسه في حاجة أحياناً للتنبيه إلى الخطأ وتصويبه، ولم يكن الهدف من ذلك تطاولاً ولا مجاوزة للحد بالتعدي على أهل العلم، فما العبد الفقير إلا طالب علمٍ ينشد التزود منه دائماً.

سائلاً المولى جلَّ في علاه أن يرزقنا الوقوف مع النفس عند حدودها، فرحم الله امرأً عرف قدر نفسه فوقف عند حده، وجزى الله الشيخ المراغي خير الجزاء إذ كان تفسيره سبباً في تحصيل كثيرٍ من الفائدة أثناء الكتابة.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

والحمد لله رب العالمين

تم بحمد اللّٰه

الفهـــرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

البنية العامة لتفسير المراغي

الفصل الثالث

اللغة والبلاغة في تفسيره

الفصل الرابع

عنايته بمباحث علوم القرآن

الفصل الخامس

المسائل العقدية في تفسيره

الفصل السادس

مسائل الفقه وأصوله

الفصل السابع

الاتجاهات المعاصرة في تفسيره

الفصل الثامن

موقفه من الإسرائيليات

الفصل التاسع

تفسير المراغي: ما له وما عليه

المؤلف في سطور

د. أحمد داود محمد شحروري

مكان وتاريخ الولادة: عمان ١٩٦٢م.

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم ١٩٩٩م.

- مدرس الفقه وأصوله- كلية الحقوق بجامعة الزيتونة الأردنية الخاصّة.
- عضو هيئة عامة – جمعية المحافظة على القرآن الكريم.
- عضو هيئة عامة- جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية- عمان.
- عضو عامل- رابطة الأدب الإسلامي- مكتب عمان.
- عضو هيئة علماء فلسيطين في الخارج؟